مفتاح السعادة ومصباح السيادة
في موضوعات العلوم

تأليف

أحمد بن مصطفى

الشهير

بطاش كبري زاده

المجلد الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

بديع بيان[١] لا يحتذى مثالُه، ومنيعُ تبيان لا يحتظى[٢] مَنَالُه. توشيح حبير الكتاب بطراز المحامد وأعلامها، وترشيح صدور الخطاب برايات المدائح وأعلامها. فلله الحمد في الآخرة والأولى، وله المثل الأعلى في فاتحة كل كتاب، وله الشكر على جزيل ما أولى من نعم يتبدى منها العجب العجاب. وأوثق عصام ماله انفصام، الاعتصام بالصلاة والسلام على رسوله محمد، جامع علوم الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ما سئل في العلوم عن المسائل، ووُشِّحَ بالمحامد صدور الكتب والرسائل.

أما بعد:

فهذه بَثٌّ لما وقر في صدرى من العلوم الفاخرة، وعين بعد أثر في تحصيل سعادة الآخرة، أمليتها بقلم يبدى العجاب، إذا سأل أو أجاب، ويُنْسَى حسَّانُ وسَحبانُ، إذا أبان في البيان، فجاءت بحمد الله بديع المثال في كل باب من التبيان منيع الشأن رفيع الجناب عند العلماء والأعيان. مخضت فيها حقائق العلوم عن درَرِها، ومحضت نصحى في استخراج دُرَرِها. وشربت من النهر صبابتها بعد أن عرفت مجاريها، وتعلمت الرمى من القوس وقد كنت باريها.

---

(١) البيان: الفصاحة وما تبين به الشيء ومنه يقال للكلام مطلقاً بياناً والكلام الواضح الدلالة على المراد. هـ.أ.

(٢) الحظوة: حصول المرام من حظيت المرأة إذا أخذت مرادها من الزواج. هـ.أ.

فهاكم أخواني، وعلى التقوى أخداني، مدينة علم على الباب، منيع الجناب، رفيع الأسوار، سحيق الأقطار؛ وجنة أشجارها مورقة، وأنهارها مونقة، وأكلها دائم في الليل والنهار، وظلها قائم في الهجير والأسحار، ونعيمها مقيم، ومزاجها من تسنيم. ودونك خزانة من فض ختامها، أطلع على نبأ يقين، وحق مبين، وسر مخزون، ودر مكنون، وليس وراءها مزيد لرائد، ولا دونها مرام لجاحد. ومنحتك منيحة: ان رَوَّيتَ فيها ترويك درها. وآثرتك أحاديث تقول حين تسمعها: لله درها. وقدمت اليك سفينة تعبر بها بحاراً بعيدة الأغوار، وتتخلصْ في قاموسها وتيارها من البوار. وَرحَّلتك مطية تصل بها إلى رياض، وتشرب هنيئاً لك مما فيها من الحياض، وتجتنى أطايب أثمارها، وتقف على عجائب أسمارها.

واياك ثم اياك، أن تظن ــ وبعض الظن اثم ــ أنك حصلت من هذا العلم قدراً لا مزيد عليه، حتى تنتصب لأن يرجع الكل اليك، فتقعد متكئاً على أريكة العُجْب، وتستلقي على كتفي الفراغ، وتمد على بساط الكسل رجليك، وتعد نفسك من جهابذة الفضلاء، وتحسب نفسك من دهماء العلماء، وتظن أنك أحرزت الفضائل بشطريها، وملكت الكمالات بقطريها، وفزت من مارية بقرطيها، وتقول: ها أنا برزت على لداتي، وتفرغت عن تكميل ذاتي، فيهب في دماغك أعاصير حب الرياسة، وتهتاج لتربية أشياعك إلى تقلد السياسة. فهيهات هيهات ما خطر ببالك، وهجس في خيالك. ان هذا طيش يوجب الحِرْمان، بل همهمة الحسبان ووسوسة الشيطان. يتراءى منها مخايل الزور، و يتدسس فيها حبائل الغرور.

أين أنت من قول سيد الأنبياء، وسند الأصفياء:

«لا بورك لي في صبيحة لا أزداد فيها علماً»، مع أن ربه أدبه فأحسن تأديبه.

وقوله صلوات الله عليه وسلامه:

«من استوى يوماه فهو مغبون».

وإن أردت المزيد عليه في هذا الباب، فتأمل قول رب الأرباب:

﴿وَقُل رَب زِدْنِي عِلماً﴾[1].

وقوله عز وجل:

﴿... وَفَوقَ كُلِ ذى علمٍ عَلِيمٌ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الواردة في الكتاب الكريم.

وإلى الله المشتكى من قوم وقعت بين أظهرهم اليوم، إذ غلب عليهم الجهل وطمهم، وأعماهم حسن الظن بأنفسهم وأصمهم. كلما هديتهم إلى العلم كان أصم وأعمى لهم، ويحسبون أنهم يحسنون أعمالهم. وما غرز في غريزتهم إلا العصبية والجدال، وما طبع نخيرتهم إلا على تنقيص أهل الكمال. والعالم بينهم موجوم تتلاعب به الصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان. وأيم الله هذا الزمان قد افترض فيه السكوت، وأن تصير حلسا من أحلاس البيوت. ولولا ما ورد في صحيح الأخبار: «من علم علماً فكتمه الجم بلجام من النار»، لسددت فم الدواة وكسرت سن الأقلام، وانقطعت في زاوية الى وقت الحمام بأمر الله الملك العلام. إلا أن القلوب بين أصبعين من أضابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء وكل يوم هو في شأن.

ثم انك ان أخطرت بالبال، أيها الطالب للفضل والكمال، أن الفنون كثيرة، وتحصيل كلها بل جلّها يسيرة، مع أن مدة العمر قصيرة، وتحصيل آلات التحصيل عسيرة، فكيف الطريق إلى الخلاص عن هذا المضيق، فتأمل فيما قدمت اليك من العلوم اسماً، ورسماً، وموضوعاً ونفعاً، وفيما اخترعت من التفصيل، في طريق التحصيل؛ ومن آداب بها غرس التمني يثمر، وليل الترجي يقمر؛ بعد عفاء طلل العلم ودروسه، وأفول أقماره وشموسه. بحيث يقول الراؤون أعجب بما أوتي هذا من الإصابة، والتبرير على الذين مضوا من

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ٧٦.

العصابة. فإن سهل عليك تحصيل تلك العلوم كلها فحبذا وقل: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾(١) كما قال أفلاطون: ما من علم مستقبح إلا والجهل به قبح، وكما قال القائل:

احرص على كل علم تبلغ الأملا ... ولا تموتن بعلم واحد كسلا
النحل لما رعت من كل فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا
الشمع في الليل ضوء يستضاء به ... والشهد يبرى باذن الباريء العللا

وان أعجلك الوقت وخشيت أن يخترمك الشواغل بالغوث، فخذ ما قال القائل:

ما حوى العلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سنة
انما العلم منيع عوره ... فخذوا من كل علم أحسنه

وإن اختلج في صدرك وقلبك، ودار في خلدك وليك، أن الأغراض مختلفة في أمر العلوم، وتتفاوت في الميل اليها الطباع والفهوم، وتتباين في استحسانها العادات والرسوم، حتى يعد طائفة من قبيل الجنون تحصيل ما عند الآخرين من الفنون، إذ كل حزب بما لديهم فرحون، فمن أين نعرف الأفضل على الإطلاق، الذي حصل في حسنه الاطباق من علماء الآفاق؟ فنقول: الذي يثلج صدرك ببرد اليقين، وتعرف مطلوبك على التعيين، قول من قال بطريق الاجمال:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... الا الحديث وإلا الفقه في الدين
والعلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سواه فوسواس الشياطين

وقد قيل:

جميع العلم في القرآن لكن ... تقاصر عنه افهام الرجال

وبالجملة: العلوم التي يتوسل بها الى السعادة الأبدية في دار السلام، في جوار القدس عند الملك العلام، ما سأل جبريل عن النبي عليهما الصلاة

---

(١) سورة الأعراف، آية ٤٣.

والسلام، وأشار بالسؤال عن الإيمان إلى أصول الدين، المسمى «بالكلام»، بشرط أن لا يتبع الباحث على الأهواء والأوهام، بل يبحث على قواعد عقائد الإسلام. وعن الإسلام، إلى علم الفقه، الباحث عن الحلال والحرام، وعن الإحسان إلى علم التصوف، الذي هو ثمرة الإيمان ونتيجة الإسلام وأما التفسير والحديث، فداخلان فيما ذكر، كما ستعرفه ان شاء الله الملك العلام. وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام، فلا علينا أن نوجه عنان الاقلام إلى صوب الشروع في المرام. و بالله التوفيق والاعلام.

وسميت الرسالة: بـ **(مفتاح السعادة ومصباح السيادة).** وقدمت أمام المقصود عدة مقدمات، هي مفتاح الميامن والبركات، ثم أتبعها في ضمن الطرفين بعدة دوحات، فيها ثمرات طيبات.

والمرجو من فضل الله تعالى، أن يجعل سعيي مشكوراً، وصنيعي مبروراً، ويجعلني غداً بأعمالي مسروراً، أنه الجواد الكريم والبر الرؤوف الرحيم.

المقدمة الأولى

في بيان فضيلة العلم والتعلم والتعليم

بالآيات، والأخبار، والآثار، ودلائل يرتضيها العقل السليم.

واكتفيت من كل منها بالقليل، إذ العبرة بقوة الأدلة لا بكثرتها.

فضيلة العلم:

أما الكتاب ــ فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ الله أنَّهُ لاَ الهَ الا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأولُو العِلِم...﴾[1].

فانظر كيف بدأ بنفسه سبحانه، وثنّى بملائكته، وثلّث بأهل العلم. وقال تعالى:

﴿يَرفَعِ الله الذين آمنوا مِنكُم والذين أوتُوا العِلمَ دَرجَات..﴾[2]. قال ابن عباس: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام.

وقال تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الذين يَعْلَمُونَ وَالذين لاَ يَعْلَمُونَ...﴾[3] أو لم يكف بالعلم وأهليه الشرف الأصيل، والمجد الأثيل، أمثال هذه الآيات الواردة في التنزيل.

ومن كان حق له مادحا   فحق على الناس أن يمدحوه

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

أما الأخبار ــ فقوله، صلى الله عليه وآله وسلم: « العلماء ورثة الأنبياء »، ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة. وقال صلى الله عليه وسلم: « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد؛ أما أهل العلم: فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد: فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ». وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء ». وقال، صلى الله عليه وآله وسلم: « يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء ». فأعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة. وقال، صلى الله عليه وآله وسلم: « يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة، ثم يبعث العلماء، ثم يقول: يا معشر العلماء، اني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم ». وقال صلى الله عليه وسلم: « من طلب العلم لغير الله، لم يخرج من الدنيا حتى يأبى عليه العلم فيكون لله؛ ومن طلب العلم لله، فهو كالصائم نهاره، والقائم ليله؛ وان باباً من العلم يتعلمه الرجل، خير له من أن يكون أبو قُبَيْس ذهبا له فأنفقه في سبيل الله ».

وأما الآثار ــ فقول علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: العلم أفضل من المال بسبعة أوجه:

العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة.

العلم لا ينقص بالنفقة، والمال ينقص بها.

المال يحتاج إلى الحافظ، والعلم يحفظ صاحبه.

إذا مات الرجل خلف ماله، والعلم يدخل معه قبره.

المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لا يحصل إلا للمؤمن.

جميع الناس محتاجون إلى العالم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

العلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه.

وقال حكيم: القلب ميت، وحياته بالعلم؛ والعلم ميت، وحياته الطلب؛ والطلب ضعيف، وقوته بالمدارسة، ومحتجب بعد المدارسة وإظهاره بالمناظرة، وإذا ظهر بالمناظرة، فهو عقيم، ونتاجه بالعمل. فإذا زوج العلم بالعمل، توالد وتناسل ملكاً أبدياً لا آخر له.

وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم. الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال ابن عباس: خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام، بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطى المال والملك معه.

وقال أيضاً: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من احيائها.

وكذا روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل.

قال الشافعي رحمه الله: من شرف العلم، أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن دفع عنه حزن.

قال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عز لم يوجد بعلم فإلى ذل مصيره.

وقال علي، رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المساجد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثَلْمةً لا يسدها إلا خلف منه.

وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء. والطير في الهواء، ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره.

فضيلة التعلم:

أما الكتاب ـ فقوله تعالى: ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾[1]؛ وقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

وأما الأخبار ــ فقوله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة».

وقال صلى الله عليه وسلم: ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع».

وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وقال: «أطلبوا العلم ولو بالصين».

وقال: «من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام، فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة».

وأما الآثار ــ فقد قال ابن عباس، رضي الله عنهما: ذللت طالبا مطلوباً.

وقال أبو الدرداء، رضى الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إليَّ من قيام ليلة، وقال أيضاً: العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم.

وقال أيضاً: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك.

قال الشافعي رحمه الله: طلب العلم أفضل من النافلة.

وقال ابن عبد الحكيم: كنت عند مالك، أقرأ عليه العلم، فدخل وقت الظهر، فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية.

فضيلة التعليم:

أما الكتاب ــ فقوله تعالى: ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجِعُوا إِلَيْهِم ﴾(١) والمراد هو التعليم.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه﴾[1]. وهو ايجاب للتعليم.

وقال: ﴿أدْعُ إلى سَبِيلِ ربك بالحكمة﴾[2].

وأما الأخبار ــ فقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذاً إلى اليمن: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها».

وقال صلى الله عليه وسلم: «من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صِدّيقاً».

وقال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها و يعلمها».

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فرأى مجلسين: أحدهما يدعون الله عز وجل و يرغبون اليه، والثاني يعلمون الناس؛ فقال: أما هؤلاء فيسألون الله عز وجل، ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وانما بعثت معلماً. ثم عدل إليهم وجلس معهم.

وأما الآثار ــ فقول عمر رضى الله عنه: من حدث بحديث فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل.

وقال ابن عباس، رضى الله عنهما: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

وقد روى أن سفيان الثوري، قدم عسقلان فمكث أياماً لا يسأله انسان، فقال: اكتروا لي، هذا بلد يموت فيه العلم.

وقال عطاء: دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ليس أحد يسألني عن شيء، وإنما قالا ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به.

وأعلم أن فضل العلم مما نطق به الكتب السابقة من كتب الله.

أما التوراة ــ فقال جل وعلا فيها لموسى عليه السلام: «عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له، فتعلمها ثم أعمل بها، ثم أبذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والأخرى».

وأما الزبور ــ فقال سبحانه: «قل لأحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الأتقياء، فإن لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء، فإن لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء، فإن التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في واحد وأنا أريد هلاكه».

واعلم أن العقل كالبذر، والعلم كالشجر، والتقى كالثمر، ولذلك قدم الله سبحانه التقى على العلم، والعلم على العقل.

وأما الانجيل ــ فقد قال عز من قائل، في السورة السابعة عشرة منه:

«ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال إلى النار. اطلبوا العلم وتعلموه فإن العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم، وإن لم يرفعكم لم يضعكم، وإن لم يغنكم لم يفقركم، وإن لم ينفعكم لم يضركم. ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل، إذ العلم يشفع لصاحبه، وحق على الله أن لا يخزيه وأن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشر العلماء، ما ظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا أن ترحمنا وتغفر لنا؛ فيقول: اني قد استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم، بل لخير أردته بكم، فادخلوا في صالحي عبادي إلى جنتي برحمتي».

ثم انك إذا عرفت من الأدلة النقلية قدراً يحصل به التنبيه على المرام، فلنورد من الأدلة العقلية، ما يحصل لك اليقين التام.

وأعلم أن شرف الشيء وفضيلته أما لذاته أو لغيره، والعلم جائز لكلا الشرفين، وجامع لكلتا الفضيلتين، لأنه لذيذ في نفسه فيطلب لذاته ولغيره، فيطلب لأجله من وجوه:

أما (الأول): فلا يخفى على أحد من مزاوليه، لأنها لذة لا نهاية لها ولا لذة فوقها؛ وكان محمد بن الحسن، يقول عندما تنحل له مشكلات العلوم: أين أبناء الملوك من هذه اللذة، سيما إذا كانت الفكرة في ملكوت السموات والأرضين وفي أسرار رب العالمين.

وأيضاً: أن شرف العلم لا يقبل العزل، كعزل الولاة والأمراء وسائر أرباب المناصب الدنيوية، ومع دوامها لا مزاحمة فيها لأحد، لأن المعلومات متسعة للطلاب وان كثروا، بل تزيد بكثرة الشركاء، بخلاف حطام الدنيا وجاهها، ولهذا يكثر فيها البغضاء، ويعظم في تحصيلها الشحناء، ومع كونها أو في اللذات وأدومها وأشملها وأعمها، لا ترى أحداً من الولاة والأمراء وسائر أبناء الدنيا لا يتمنون أن يكون عزهم كعز العلماء، إلا أن الموانع الشهوانية تمنع عن نيلها. هذه هي اللذائذ الحاصلة في نفس العلم.

وأما اللذائذ الحاصلة له لغيره:

أما في الأخرى: فلكونه وسيلة تارة إلى أعظم اللذائذ الأخروية، وأخرى إلى أكمل السعادات الأبدية. أما الأول: فلذة الوصول إلى جوار رب العالمين، والبلوغ إلى مرضاته التي هي المقصد والسعادة الكبرى، ولذة النظر إلى وجهه الكريم التي هي غاية الغايات ومنتهى جميع السعادات.

وأما (الثاني): فلأن العلم لا أقل من أن يكون سبباً للوصول إلى الأفق المبين، ولحوق زمرة الملأ الأعلى في جوار رب العالمين. ولا يخفى أنه لا بلوغ إلى شيء منها إلا بالعمل المتوقف على العلم، فهو رأس السعادات ورئيسها.

وأما المنافع الدنيوية: فالعز والوقار، ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع، ولو أبتلي بداء الحسد والعناد؛ ألا ترى أن بعض الجهلة المعاندين قالوا، عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك عن خبر

وأيضاً، ترى أغبياء الترك، وأجلاف العرب، يصادفون طباع أنفسهم مجبولة على التوقير لشيوخهم، لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة، بل البهيمة تجدها توقر الإنسان بطبعها، لشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها، حتى أنها تحتشمه وتنزجر بزجره، وإن كانت قوتها أضعاف قوة الإنسان، وما ذاك إلا لاختصاصه بالعلم.

المقدمة الثانية

في شرائط المتعلم ووظائفه

وهي كثيرة.

قال زيتون: سمعت أرسطو طاليس يقول: سمعت معلمي أفلاطون يقول: سمعت معلمي سقراط يقول: ينبغي لمن يتعلم الحكمة أن يكون شاباً فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا، صحيح المزاج، محباً للعلم، حيث لا يختار على العلم شيئاً من الأشياء؛ ويكون صدوقاً لا يتكلم بغير الصدق؛ ويكون محباً للإنصاف بالطبع لا لتكلف؛ ويكون متديناً أميناً عالماً بالوظائف الشرعية والأعمال الدينية، غير مخل بواجب فيها، ويحرم على نفسه ما يحرم في ملة نبيه، ويوافق الجمهور في الرسوم والعادات المستعملة عند أهل اليونان؛ ولا يكون قط سيء الخلق، ويرحم على من دونه في المرتبة؛ ولا يكون أكولاً ولا متهتكاً ولا خاشعاً من الموت، ولا جامعاً للمال إلا بقدر الحاجة، فإن الاشتغال بطلب أسباب المعيشة مانع عن التعلم.

وأعلم أنا نكتفي من الشرائط بعشرة. ونفصلها ههنا في ضمن عشر وظائف:

الوظيفة الأولى: تزكية النفس عن رذائل الأخلاق:

وهذه متقدمة على الكل، تقدم طهارة الجوارح على عبادة البدن: أعني الصلاة، إذ العلم عبادة القلب، وجوارحها أوصافها وأخلاقها. فلا بد من تطهيرها قبل الشروع في العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب». فكما أن الملائكة لا تدخل البيوت المحسوسة إذا وجد فيها الكلاب الصورية، كذلك لا تدخل البيوت المعنوية: أعني القلوب، إذا

وجد فيها الكلاب الباطنية: أعني خبائث الأخلاق وأنجاس الصفات. حكي عن بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم أولاً، فإن وجدوا فيه خلقاً ردياً منعوه التعليم أشد المنع، وكانوا يعتذرون عنه بأن العلم يصير آلة يستعين بها في الفساد؛ وان وجدوه مهذب الأخلاق قيدوه في «دار التعليم» وعلموه، ولا يطلقونه قبل الاستكمال خيفة من أن يقصر في العلم، فيفسد به دينه ودين غيره.

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تعلموا أولاد السفلة، فإن هم نالوا الشرف حرصوا على مذلة الأحرار، والسبب فيه غلبة سوء الخلق في أولاد السفلة. وأما ما تراه عالماً سيء الأخلاق فذلك عالم باللسان دون القلب، وعالم باصطلاح هذا الزمان دون السلف، إذ لو ظهر نور العلم على قلبه لحسنت أخلاقه، فإن أقل درجات العالم، أن يعرف أن المعاصي ورذائل الأخلاق سموم مهلكة، وهل تطيب نفس عاقل يتناول السم؟ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «من ازداد علماً ولم يزدد من الله هدى لم يزدد من الله إلا بعداً»؛ وقال بعض المحققين: معنى قولهم، تعلمنا العلم لغير الله، فأبى العلم أن يكون إلا لله، أن العلم امتنع وأبى أن يحصل إلى أن يحصل النية لله تعالى، وما حصل قبلها كان حديثاً يفترى، وانما الصيد في جوف الفرا.

الوظيفة الثانية: تحصيل الاخلاص في مقاساة هذا الملك الوعر، وقطع الطمع عن قبول زيد وعمرو. ولكل امرىء ما نواه، لا ما جمعه في صدره وحواه، على وفق عجبه وهواه. أما قرع سمعك أن بعضاً من العلماء، لما سمع قول حبيب رب العالمين: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً، فجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، وفعل ذلك طمعاً في الحكمة فلم يحظ منها بطائل، رأى في المنام هاتفاً يقول: انك ما أخلصت لله بل للحكمة. والأعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى. فينبغي أن ينوي في التعلم، أن يعمل بعلمه لله تعالى واليوم الآخر، وأن يعلم الجاهل، و يوقظ الغافل، و يرشد الغوي، و يؤيد من ليس بقوي، فإن التعلم لغير الله حرام باطل، وطلب العلم لا للعمل به ضائع، وفي الحديث: «علم لا ينتفع به ككنز لا ينفق منه».

ونفع العلم: حسن الإهتداء في العبادة. فمن لم يَزدد بالعلم ورعاً وزهداً لم يزدد من الله إلا مقتاً وبعداً. وقد كان صلى الله عليه وسلم، يتعوذ بالله تعالى من علم لا ينفع. وكان يقول: «العلم علمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع؛ وعلم على اللسان، فذلك حجة الله تعالى على بني آدم». وقال «أشد الناس عذاباً من لم ينفعه الله بعلمه». ومن لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب. كما يزل القطر عن الصفا. قال بعض العلماء الصالحين: الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب. أقول: ولقد جربته كثيراً ووجدته كما قال. وقال صلى الله عليه وسلم: «من تعلم العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، وليماري به السفهاء، ويقبل به وجوه الناس إليه، وليأخذ به الأموال».

ومن جملة التسويلات الشيطانية: أن يؤخر العمل إلى أن يتمهر ويتمهر في العلم، وهذا من جملة خداع النفس، إذ ربما يفاجئه الموت ويخترمه الأجل قبل القيام بحق العمل، فيصير إلى النار مع الفساق والفجار.نبهنا الله تعالى وإياكم هذه الغفلة.

الوظيفة الثالثة: تقليل العلائق الدنيوية حتى الأهل والأولاد والوطن فإن العلائق صارفة وشاغلة للقلوب. وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق وفهم الدقائق. وقد قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت على خطر من الوصول إلى بعضه؛ وأيضاً: الفكرة المتوزعة كجدول تفرق ماؤه فيختطف الهوى وينشف الأرض فلا يبقى منه ما يبلغ المزرعة.

الوظيفة الرابعة: ترك الكسل والتشمر لنيل المعالي. وإيثار السهر في الليالي. وقد قيل: ما اشتار العسل من اختار الكسل. فعليك بحزم العزم وتطلب الحزم. ومن جملة أسباب الكسل: الاعتماد على الاستقبال، فإن ذلك ربما يخترم الآمال، ويمنع الأشغال. ومن المقرر لدى العامة والخاصة، أن فوت الفرصة مما يورث الغصة.

قال الشاعر:

إذا هجع النوام اسبلت عبرتي ... وأنشدت بيتاً فهو من أحسن الشعر
أليس من الخسران أن لياليا ... تمر بلا شيء وتحسب من عمر
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر

ومن جملة أسباب الكسل في اكتساب العلم: تذكر الموت والخوف منه. فاعلم أن تذكره ينبغي أن يكون من جملة أسباب التحصيل، اذ لا عمل يحصل به الاستعداد للموت، أفضل من العلم والعمل به. وجعله سبب الكسل: أما من عدم الوقوف على فضل العلم، أو من جعله سبباً للأمور الدنيوية المنقطعة بالموت.

وأما الخوف من الموت، فلا ينبغي أن يتسلط على الإنسان، بحيث يشغله عن الاستعداد للأمور الأخروية. وقوله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا ذكر هادم اللذات»، يدل على أنه ينبغي أن يكون ذكره سبباً للانقطاع عن اللذات الفانية دون الباقية. وطريق نفي الخوف عن الموت أنه: أما لأجل مفارقة الدنيا، وذلك حمق وخرق، وأما لما بعد الموت، وذلك غير مفيد إلا أن يتداركه، وتداركه الاستعداد له في الحال ولا نفع لمجرد الغم لذلك، بل اللائق أن يبقى ساكن القلب، منتظراً لقضاء الله وقدره، و يتحقق أن ما قدر فهو كائن، و يتذكر قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قَبل أن نبرأهَا﴾(١) الآية.

ثم ان الغم لأجل الموت، أما لفوت شهوة بطنه وفرجه، وأما على ما يخلفه من ماله، وأما على جهله بحاله بعد الموت ومآله، وأما على ما قدمه من عصيانه. (أما الأول): فجهل، لأن لذة الطعام، دفع ألم الجوع، ولذة الجماع: دفع ألم دغدغة المنى لأوعيته. وطلب هاتين اللذتين كارادة داء ليلتذ بدوائه. والإكثار من القعود في الحمام ليلتذ بشرب ماء بارد.

(وأما الثاني): فن جهله بخساسة المال وحقارة الدنيا، بالإضافة إلى النعيم

(١) سورة الحديد، آية: ٢٢.

المقيم الموعود للمتقين. على أنك أن لم تترك المال فهو يتركك قطعاً، كما قيل:

تناضله الآفات من كل جانب فتخطئه طوراً وطوراً تصيبه

وعليك أن تعرف أن الدنيا جمة المصائب، وكدرة المشارب. تورث للبرية أنواع البلية مع كل لقمة غصة. فإن تأملت لماض فذلك لا يلم ما شعث، ولا يرم ما انتكث؛ وإن كان لحاضر فذلك بقضاء الله وقدره، ومع ذلك فنقض؛ وإن كان لمستقبل، فإن كان مما يحتمل وقوعه فذلك حمق، إذ الحزن الحاضر لأمر محتمل الوقوع خارج عن طور العقل، وإن كان محقق الوقوع كالموت فستعرف حاله. قال تعالى: ﴿لكيْلا تأسوْا على ما فاتكم ولا تَفرحوا بما آتاكم﴾[1]. قيل: هذه الآية جامعة لأصول الزهد بتمامها.

(وأما الثالث): فعليه أن يطلب علماً يكشف حاله بعد الموت، كما قال حارثة للنبي، صلى الله عليه وسلم: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها.

وهذا العلم انما يحصل بمعرفة حقيقة النفس، وكيفية علاقتها بالبدن، ووجه خاصيته التي خلق البدن لها، ووجه التذاذه بخاصيته وكماله، مع معرفة الرذائل المانعة له من كماله. وقد نبه الشرع عليه في مواضع كثيرة، وأمر بالتفكر في النفس، كما أمر بالتفكر في ملكوت السموات والأرض.

(وأما الرابع): فلا ينفع الغم فيه، بل المداواة المبادرة بالتوبة، وإصلاح ما فرط من أمره كمن انفجر عرقه وهو يغتم له ولا يعصبه. وأيضاً الفائت لا يتدارك فليشتغل بالمستقبل.

وأما حال الإنسان عند الموت، فثلاثة:

الأول ــ ذو بصيرة.

يعلم أن الحياة رق، والموت عتق، وأن الدنيا كخطفة برق، وإن طال مكثه فيها. فهذا لا يغتم لموته إلا لما يفوت من خدمة ربه، والازدياد من قربه،

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٣.

فإذا عجز عن خدمة ربه، ربما اشتاق إلى الموت. قيل لبعضهم عند موته: لم تجزع؟ قال: لأني أسلك طريقاً لم أعهده، وأقدم على رب لم أره، ولا أدري ما أقول ولا ما يقال لي.

والثاني ــ ردي البصيرة.

رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، ويئس من دار الآخرة، كما يئس الكفار من أصحاب القبور. فإذا خرج إلى دار الخلود أضر به كما يضر رياح الورد بالجُعْل. فالدنيا سجن الأول وجنة الثاني، وشتان ما بينهما. والأول كعبد دعاه مولاه للإحسان، والثاني كعبد آبق رد إلى مولاه مأسوراً مقهوراً ناكس الرأس مخزياً من جنايته.

والثالث ــ رتبة بين الرتبتين.

رجل عرف غوايل الدنيا وكره صحبتها، ولكن أنس به وألفه فيكره الخروج منه، فإذا خرج ورأى ما أعد للصالحين، وقال: ﴿وقالوا الحَمدُ لله الذي أذهَبَ عنَّا الحَزَنَ ان ربَّنا لَغَفوٌ شكورٌ. الذي أَحَلَّنَا دار المقامة من فضله لا يَمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوبُ﴾[1]. وذلك كالصبي يبكي للإنتقال عن رحم الأم ثم إذا أنس فضاء العالم لا يتمنى الإنتقال إليها. وقد ثبت عند المحققين أن الموت ولادة ثانية وأن فضاء الدنيا بالنسبة إلى عالم الآخرة نسبة الرحم إلى الدنيا. كما قال بعضهم: ينبغي أن يكون شكرنا «لعزرائيل» كشكرنا «لجبرائيل» و«ميكائيل» عليهم السلام. كما ورد في الدعاء: اللهم صل على «محمد» و«جبرائيل» و«ميكائيل» وملك الموت. فإن جبرائيل وميكائيل سببان لسبيل الخلاص في الآخرة بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم، وعزرائيل سبب لإخراجنا إلى ذلك العالم فحقه عظيم وشكره لازم. وقد حكي عن طائفة من حكماء الأمم السالفة تعظيم «رجل» بالتقديس والتسبيح، لأنهم اعتقدوا أنه لا يعين على الحياة العرضية، بل هو سيف الهلاك الذي به الخلاص عن الدنيا الدنية.

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٤، ٣٥.

الوظيفة الخامسة: أن توطن نفسك على التعلم إلى آخر العمر، لما قيل: الطلب من المهد إلى اللحد.

ومن كلام الامام الشافعي: صناعتنا هذه رق الأبد فمن قصد أن يتركها ساعة فليترك الساعة.

وقيل: من ظن أن للعلم غاية، فقد بخسه حقه. أما سمعت قوله تعالى «لحبيبه» وهو أعرف العارفين بالله وصفاته وأحكامه: ﴿وقل رب زدني علماً﴾[1]. وقوله تعالى:﴿وَفَوْقَ كل ذي علم عليم﴾[2].

وسئل عبد الله بن المبارك: إلى متى تتعلم؟

قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد.

روى أن حسن بن زياد أخذ في التفقه وهو ابن ثمانين سنة، ولم يبت على الفراش أربعين سنة، فأفتى بعد ذلك أربعين سنة.

والحيلة في صرف جميع الأوقات إلى التحصيل أنه إذا مل من علم، اشتغل بآخر، كما قال ابن عباس، رضي الله عنهما، إذا مل من الكلام مع المتعلمين: هاتوا ديوان الشعراء.

وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل، وكان يضع عنده دفاتر، وكان إذا مل من نوع ينظر في آخر، وكان يزيل نومه بالماء، وكان يقول: ان النوم من الحرارة. فعليك أن تغتنم من أزمان العمر أيام الحداثة وعنفوان الشباب، ومن الأوقات ما بين العشائين وأوقات السحر، وأصل الكل ملازمة السهر. وقد قال موسى صلوات الله عليه وسلامه: ﴿لقد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصباً﴾[3] ليعلم أن سفر العلم لا يخلو عن النصب، ولا بد من اختياره، لأن طلب العلم أمر عظيم، بل هو أفضل من الجهاد عند الأكثرين، وأن موسى عليه السلام مع كونه نبياً اختار هذا النصب في طلب العلم. و ينبغي أن لا يضيق صدرك ممن ينكر قدرك لما قال أفلاطون: لا يضرن جهل غيرك بك علمك بنفسك.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.
(٢) سورة يوسف، آية: ٧٦.
(٣) سورة الكهف، آية: ٦٢.

الوظيفة السادسة: أن تختار من المعلم من هو ناصح، نقي الحسب مأمون الغيبة عدل في الدين، كريم العرق، كبير السن، لا يخالط السلطان ولا يلابس الدنيا بحيث يشغله عن دينه. و يسافر في طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد الشاسعة كما طلب موسى خضر عليهما السلام «بمجمع البحرين» ولو مسح الأرض كلها بقدمه وضرب آباط الأبل في طلبه لكان أحق وأولى.

قال محمد بن سلمة: أول ما يذكر من المرء أستاذه، فإن كان جليلاً جل قدره، وإنما خفض ذكر محمد بن مقاتل عند أهل العراق، لأنه لم يعرف له أستاذ جليل القدر.

وإذا وجد مثل ما وصفناه فعليه: أن لا يتكبر على العلم، ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه بزمام أمره في تفصيل طريق التعليم، و يذعن لنصحه اذعان المريض للطبيب. أما التكبر على العلم بأن يستنكف من استفادته ممن يعرفه، وهو عين الحمق، بل الحكمة ضالة كل حكيم، فحيث يجدها فهو أحق بها، فينبغي أن يغتنمها و يستفيدها و يتقلد بها المنة.

فالعلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلا بد من التواضع.

ولذلك قال تعالى: ﴿ انَّ في ذلك لَذِكرى لمن كان له قَلبٌ أو ألقى السَمْعَ وهو شهيدٌ ﴾[1]، أي يكون مشتغلاً بالعلم، وهو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل ما يحمد على القاء السمع وحسن الإصغاء والضراعة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً». قال الشاعر:

ان المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان هجرت معلما

و ينبغي أن يكون المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً، فيلقاه بالقبول من غير دفع. وليكن المتعلم متبعاً لمعلمه، وان ظن أن الصواب في

(١) سورة ق، آية: ٣٧.

خلافه، فإن سالك الطرق قد يظن من يهديه أنه قد أخطأ ثم يظهر أن الصواب عنده، ألا يرى أن موسى عليه السلام لم يصبر وراجع الخضر عليه السلام حتى حرم عن صحبته: ﴿ قال هذا فِراقُ بيني وبَينِك ﴾ [1].

وأيضاً: فليحترز المتعلم عن أن يتكل على ذهنه فيقعد ملوماً محسوراً. لما قيل: العلم في الصدور لا في السطور. وعن علي، رضي الله عنه: العلم قفل ومفتاحه السؤال.

ومن الآداب: أن يتواضع لمن علمه حرفاً، و يتملق له ويخدمه و ينصره و يدعو له سراً وجهراً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من علم عبداً آية من كتاب الله تعالى فهو مولاه». ولا ينبغي أن يخذله ولا يستأثر عليه أحداً، فإن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرى الإسلام.

قلت: ومن جملة أسباب انقراض العلم في زماننا: عدم تحرزهم عن مراعاة حق العلم، ولقد صار هذا سنة سيئة في زماننا هذا. أمات الله تعالى هذه السنة من بين أظهرنا وقاتل من وضعها وأحياها. قيل: من تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع به إلا قليلاً.

ومن احترام المعلم واجلاله: أن لا يقرع عليه باب داره بل ينتظر خروجه، كما قال تعالى: ﴿ ولو أنهم صبَروا حتى تَخرُجَ إليهم لكان خيراً لهم ﴾ [2]؛ ولا يخالفه فيما يأمره من مباح الدين، و يتحرى مسرته في ذلك كله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول الصحابة في الموعظة كراهة السآمة عليهم. فإذا كان التخول في التعليم أحب، ففي التعلم أولى.

و ينبغي أن يقدم حق المعلم على حق أبو يه وسائر المسلمين. حكي أن الشيخ الإمام شمس الأئمة الحلواني قد كان خرج من «بخارى» وقد زارته تلامذته إلا الشيخ الإمام أبا بكر الزرنجري، فقال له: لم لم تزرني؟ قال: منعتني عنها خدمة الوالدة قال: ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس. وكان كذلك. فإنه كان يسكن في أكثر أوقاته في القرى. قال الشاعر:

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧٨.
(٢) سورة الحجرات، آية: ٥.

شعر

آباء أجسامنا الذين مضوا قد أوقعونا هم في موقع التلف
من علم القرآن كان خير أب وذاك أب الروح لا أب النطف

وقال آخر:

شعر

رأيت أحق الحق حق المعلم وأوجبه حفظاً على كل مسلم
لقد حق أن يهدى إليه كرامة لتعليم حرف واحد ألف درهم

وأيضاً: لا يتبع زلة المعلم وهفونه، ويحمل ما سمع منه من الهفوات على أحسن المحامل والتأويلات. قال بعض المشايخ: من توقير المعلم أن لا تمشي أمامه، ولا تجلس مكانه، ولا تبتدىء الكلام عنده إلا باذنه، ولا تكثر الكلام عنده، ولا تسأل شيئاً عند ملالته، وتراعي الوقت، وتمتثل أمره في غير معصية الله إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

ومن توقيره: توقير أولاده ومن يتعلق به. وللسلف في توقير المعلم أمور لا يكاد يخطر فعله ببال أحد في زماننا هذا:

يروى: أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي الفيروز ابادي، صاحب (المهذب) و (التنبيه) لما صار سفيراً للمقتدر بأمر الله في خطبة ابنة الملك جلال الدولة، فسافر إلى نيسابور، ناظر هناك أمام الحرمين، وأراد الإنصراف من نيسابور فخرج أمام الحرمين إلى وداعه وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق بغلته. وظهر له في خراسان منزلة عظيمة. وكان الناس من المتعلمين ومن دونهم يأخذون التراب من أثر مواطىء بغلته فيتبركون به. وكان رحمه الله إماماً عالماً ورعاً زاهداً عابداً. وكانت (وفاته) سنة ست وسبعين وأربعمائة. وستجيء ترجمته في طبقات الفقهاء ان شاء الله تعالى.

و يروى أيضاً: أن إمام الحرمين لما توفي، غلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره بالجامع، وكانت تلامذته قريباً من أربعمائة نفر، فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً. وكانت (وفاته) سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

و يروى أيضاً: أن الإمام أبا حنيفة، رحمه الله، كان له جار اسكافي كان

بالنهار في صناعته. وإذا كان بالليل وتعشى، جلس يستعمل الشراب. فإذا دب فيه الشراب يغني و يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب، و يردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، والإمام أبو حنيفة يسمعه كل ليلة. وكان الإمام أبو حنيفة يصلي الليل كله. ثم أنه فقد صوت جاره ليالي فسأل عنه، فقيل له: قبضه أصحاب العسس منذ ليال. فلما صلى الإمام أبو حنيفة رحمه الله صلاة الفجر من غده ركب بغلته وأتى دار الأمير، فاستأذن عليه فقال: أئذنوا له وأقبلوا به إليّ راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط. ففعل به ذلك، فتلقاه الأمير وأجلسه في مجلسه، وقال: هل من حاجة؟ فقال: نعم. جئت لأشفع في جاري، فقال الأمير: أطلقوه وأطلقوا كل من أخذ في تلك الليلة، فأطلقوهم. ثم ركب الإمام أبو حنيفة بغلته وخرج الإسكافي يمشي وراءه، فقال له الإمام أبو حنيفة رحمه الله: هل أضعناك؟ فقال: بل حفظت ورعيت، فجزاك الله خيراً عن حرمة الجوار. ثم تاب إلى الله تعالى ولم يعد إلى ما كان يفعل. قيل: أنه صار بعد ذلك من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله في الفقه.

وإذا عرفت هذه الكنايات والروايات، وكيف كان توقير العلماء في الزمان الأول، فأنصف من نفسك يا أخي. هل بقي من توقير العلم والعلماء شيء أصلاً؟

فإن اعترضت، وقلت: لم يبق مثل هؤلاء الأعلام في هذه الأيام، فلا يليق بهم التوقير، فنقول: أما قولك، لم يبق مثل هؤلاء العلماء، فسلم، وأما قولك لا يليق بهم التوقير، فما يحق عليه الكير، لأن التوقير لأجل العلم، فلا تقصر أنت في حقهم أن كنت تحب العلم، وعدم كونهم أمثال هؤلاء، ليس عليك، بل العهدة في ذلك عليهم. وبالجملة: حب العلم يوجب توقير كل من انتسب إليه، وإلا فلست من المحبين له.

ومن تعظيم العلم: تعظيم الكتاب، حتى لا يأخذه إلا بالطهارة، ولا يمد

الرجل إليه، ولا يضع عليه شيئاً، و يضع كتب التفسير فوق الكل. وتأمل ما قاله ابن سريج في (مختصر المزني) حيث قال:

لَضيق فؤادي منذ عشرين حجة | وصيقل ذهني والمفرج عن غمي
عـزيـز على مثلي اعـارة مثلـه | لما فيه من علم لطيف ومن نظم
جموع لأصناف العلوم بأسرها | فأخلق به ان لا يفارقه كمي

وقيل:

لا يمـل الحديث منها معاداً | كـانتشاق الهواء ليس بماء

وقيل:

هـذا كـتاب لو يباع بوزنه | ذهبا لكان البايع المغبونا
أو ما من الخسران أنك آخذ | ذهبا وتترك جوهراً مكنونا

الوظيفة السابعة: أن لا يدع المتعلم فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه، إلا و ينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقته، ثم أن ساعده العمر ووافته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مرتبطة بعضها ببعض. قيل:

أحـرص على جمع العلوم مجاهدا | ولا تموتن بـعـلـم واحد كسلا
النحل لما رعت من كل فاكهة | أبدت لنا الجوهرين: الشمع والعسلا
الشمع في الليل نور يستضاء به | والشهد يبرى باذن الباري العللا

لكن عليك أن لا ترغب في الآخر قبل أن تستحكم الأول، لئلا تصير مذبذباً فتحرم من الكل. ولا تكن ممن يميل إلى البعض و يعادي الباقي لأن ذلك جهل عظيم، كما قيل: الناس أعداء ما جهلوا. قال تعالى: ﴿ وإذا لم يهتدوا به فَسيَقُولُونَ هذا افكٌ قديمٌ ﴾[1].

(١) سورة الأحقاف، آية: ١١.

قال الشاعر:

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مراً به الماء الزلالا

وقيل:

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة   ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

حكى عن بعض فضلاء القضاة أنه رؤى بعدما طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة، فقيل له في ذلك فقال: وجدته علما نافعاً فكرهت أن أكون لجهلي به معادياً.

وإياك ثم إياك أن تستهين بشيء من العلوم، تقليداً لما سمعته من جهلة أسلافك من الطعن فيه، بل يجب أن تجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه، ومنزله الذي يستوجبه، وتشكر من هداك إلى فهمه، وصار سبباً لعلمه. فقد حكي عن بعض الفضلاء أنه قال: يجب أن نشكر آباء العلماء الذين ولدوا لنا الشكوك إذ كانوا أسباباً لمن حرك خواطرنا للنظر في العلم، فضلاً عن شكرنا من أفادنا طرفاً من العلم، ولولا مكان فكر من تقدمنا لأصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح دنياهم فضلاً عن مصالح آخرتهم. فمن تأمل حكمة الله في أقل شيء يستعملها الناس كالمقراض، حيث جمع بين سكينين، مركباً على وجه يتوانى حداهما على نمط واحد للقرض، أكثر تعظيم الله وشكره، و يقول: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾(١).

فلا تكن من الذين يستهينون من العلوم ما جهلوا به، مثل استهانتهم المنطق الذي هو أصل كل علم وتقويم كل ذهن. وحكى أبو حيان في (البحر)، أن أهل المنطق بجزيرة الأندلس كانوا يعبرون عن المنطق بالفعل تحرزاً عن صولة الفقهاء، حتى أن بعض الوزراء أراد أن يشتري لأبنه كتاباً من المنطق فاشتراه خفية خوفاً منهم.

ومثل ذمهم العلوم الحكمية على الإطلاق، من غير معرفة القدر المذموم والممدوح منها.

---

(١) سورة الزخرف، آية ١٣.

ومثل ذم علم النجوم على الإطلاق، مع أن بعضاً منه فرض كفاية، والبعض منه مباح، وبعض آخر حرام.

ومثل ذمهم مقالات الصوفية الموحدين مطلقاً، لاشتباههم عندهم بكلمات الملحدين. وستعرف تفاصيل ذلك.

وبالجملة: لا تنكر قدر العلوم بمجرد تقليد الآباء والأجداد، بل أطلب التحقيق تصل إلى المراد. قال علي رضي الله عنه: لا تعرف الحق بالرجال، أعرف الحق تعرف أهله. على أن العلم وان كان مذموماً في نفسه فلا يخلو تحصيله عن فائدة أقلها رد القائلين بها.

ثم العلوم على تكثر درجاتها: أما موصلة للعبد إلى مولاه أو معينة على أسباب السلوك، ولها منازل مترتبة في القرب والبعد من المقصد، ولكل واحد منها رتبة ترتيباً ضرورياً يجب تنزيل كل منها في رتبته، فينبغي أن يراعى الترتيب في تحصيلها، فيبتدى بالأهم فالأهم إذ البعض طريق إلى البعض. ومن وفق لرعاية ذلك الترتيب والتدريج فقد فاز بمطلوبه فوزاً عظيماً. قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يَتْلُونَه حق تِلاوته﴾[1]. أي لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً.

وليكن قصدك من كل علم الترقي به إلى ما فوقه. وإياك أن تظن من كلامنا هذا ان تعتقد كل ما اطلق عليه اسم العلم حتى الحكمة المموهة التي اخترعها الفارابي و وابن سينا، ونقحه نصير الدين الطوسي، (ممدوحاً). هيهات هيهات، ان كل ما خالف الشرع فهو مذموم، سيما طائفة سموا أنفسهم حكماء الإسلام، عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال، وسموها الحكمة، وربما استجهلوا من عرى عنها، وهم أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضعه. ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ (قرآنا) ولا حديثاً، وانما يتجملون برسوم الشريعة حذراً من تسلط المسلمين عليهم، وإلا فهم لا يعتقدون

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢١.

شيئاً من أحكام الشرع، بل يريدون أن يهدموا قواعده وينتقضوا عراه عروة عروة. قيل:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دمائهم أن لا تسالا
فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى

فالحذر الحذر منهم. وإنما الاشتغال بحكمتهم حرام في شريعتنا، وهم أضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى، لأنهم يتسترون بزي أهل الإسلام. نعم ان من رسخ قواعد الشريعة في قلبه، وامتلأ قلبه من عظمة هذا النبي الكريم وشريعته، وتأيد دينه بحفظ الكتاب والسنة، وقوى مذهبه في الفروع، يحل له النظر في علوم الفلسفة، لكن بشرطين:

(أحدهما): أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة. وإن تجاوزها فإنما يطالعها للرد لا لغيره.

و (ثانيهما): أن لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام.

ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الردى، وربما يستدلون بإيرادها في كتب الكلام على صحتها، وما كان هذا المزج إلا منذ ظهر نصير الطوسي وأحزابه، لا حياهم الله. وإنما السلف مثل الإمام الغزالي والإمام الرازي مزجوا كتب الكلام بالحكمة، لكن للرد كما تراه في تصانيفهم، ولا بأس بذلك. بل ذلك اعانة للمسلمين وحفظ لعقائدهم. ثبتنا الله واياكم على الصراط المستقيم أنه جواد كريم.

وينبغي لطالب العلم أن يفوض ترتيب العلوم في التحصيل إلى رأي الأستاذ الناصح، إذ الناشي أمهر من الدخيل، وهو أعرف بما يليق بطبعك منك، ولا يدخر نصحه عنك، لأن الأستاذ قد حصل له التجارب وكيفية الاهتداء إلى المطالب والمآرب.

يحكى: أن الشيخ الإمام الأجل برهان الدين كان يقول: كان طالب العلم في الزمان الأول يفوض أمره في التعلم إلى أستاذه، وكان يصل إلى مقصوده ومراده، والآن يختارون بأنفسهم فلا يبلغون مقاصدهم.

هذا الذي ذكرناه لمن ساعده الذهن، والسن، والوقت، وسامحه الدهر عما يفضيه إلى الحرمان والفوت، وإلا فعليه أن يقتصر على الأهم، لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وذلك الأهم هو قدر ما يحتاج إليه في الحال، وهو ما يحتاج إليه في كمال النفس وفضيلتها، وما يقرب به إلى الله عز وجل في الآخرة، وما لا بد منه في إقامة دينه وإخلاص عمله لله ومعاشرة عباده على الشرع الشريف والورع والتقوى.

ومرجع الكل معرفة الله، بالآيات الواضحة، والشواهد الناطقة، ومعرفة ما وجب عليه في نفسه وماله وليله ونهاره. و يدخل فيه أحكام الشريعة: من الجواز والفساد، والحل والحرمة، والكراهة والاستحباب، ومعرفة سنن النبي عليه الصلاة والسلام، في إقامة ما فرض الله تعالى على أعدل السبل وأقوم المناهج، لا يعرف إلا ببيان من أدبه فأحسن تأديبه. و يدخل فيه أيضاً: علم أخلاق الأنبياء والمرسلين: من اليقين، والإخلاص، والزهد، والتواضع، والنصيحة؛ وعلم آداب النفس: من العفة، والرفق، والتؤدة، والحياء، والسماع، وحسن التدبر والنظر في الأمور، والأخذ بالحزم في الدين، ومداراة العدو، واحتمال أذى الخلق، وصلة الرحم المقطوعة، و بر الجافي، وإعطاء الحازم، والتجاوز عن الظالم، والإحسان إلى المسيىء، وحسن التورع عن أذى الخلائق باليد واللسان والجنان. وستعرف تفاصيل هذه العلوم. و بالجملة: أصل الأصول، ومنتهى السؤال معرفة الله تعالى، التي هي غاية الغايات، وسبب الفوز والنجاة، ورئيس جميع السعادات. وهذا العلم حر لا يخدم غيره أصلا بوجه من الوجوه، وما عداه خدم له والمطلوب الأهم مما عداه ما يتوسل به اليه. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلِ الله ثم ذَرْهُم في خَوْضِهِم يلعبون ﴾ (١). ومن الظاهر المكشوف أن ليس المراد تحريك عضلات اللسان بكلمة الله، فإن حركة الأطراف لا تجدي إذا لم تؤثر في القلب بأثر هو: الإعتقاد، المسمى بالإيمان، الذي أدناه التصديق، وله مراتب بحسب القوة حتى ينتهي إلى رتبة لو وزن بإيمان العالمين لرجح، وهو ايمان أبي بكر رضى الله عنه، كما قال النبي صلى الله عليه

(١) سورة الأنعام، آية: ٩١.

وسلم: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا بكثرة صلاة ولكن بسر وقر في صدره». ولو كان منتهى العلم ما اعتقده المقلد أو ما حصله المتكلم المتعلم، لم يعجز عنه آحاد الصحابة، فضلاً عن عمر وعثمان وعليٍّ رضى الله عنهم حتى كان فضلهم أبو بكر.

وبهذا تبين أن وراء العلم الثابت بالأدلة، يقيناً يخصه الصوفية أولوا الكرامات والمشاهدات. وناهيك بشرفهم وفضلهم، أمثال ما ذكر من الشواهد المقررة في الشرع، فلا يعاديهم إلا الجاهل الشقي أو المعاند الأشقى، وكيف لا.

شعر

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين في اطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم جرو على الفلك الخضراء أذيالا

وقد روى: أنه رؤى صورتا حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد، وفي يد أحدهما رقعة فيها: أن أحسنت كل شيء، فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى، وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء؛ وفي يد الآخر: كنت قبل أن عرفت الله أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب.

وسمعت بعض العلماء نقل عن بعض المحققين: أن الأرواح لما تجلى لها الحق في الأزل، عشقته وتطلبه في الدنيا، وتارة تزعم أن ذاك الكمال في حسن الصورة والجمال، وتارة في المال، وتارة في الجاه، ثم تقف على نقصانها وترغب عنها في الآخر، لما تعلم أن الكمال الذي تطلبه لا يعتريه نقصان، ولا يسكن هذا الطلب عنها. الا عند مشاهدة ذاك المطلوب الحقيقي.

وإياك أن يكون شغلك من العلم أن تجعله صنعة تهوس بها، بل ينبغي لكل ذي دين، أن يتخذه سبيلاً إلى النجاة، ومرقاة إلى الزلفى، يتوصل بها إلى الملأ الأعلى، والقرب في جناب المولى.

ولا تكن من الذين غلبت صنعتهم على قلبهم ولبهم، حتى ختم بتكرار ذلك عند النزع، كما يحكى: أن أبا طاهر الزيادي، كان يكرر مسألة ضمان الدرك عند النزع. حكى أن امرأة جاءت إلى عروضى بقال، فقالت: أريد بذي

القطعة زيتاً، وبذي البيضة حنا، فشغله كلامها عن مبايعتها، وأخذ يقول: فاعلاتن فاعلاتن يقطع كلامها، فقالت المرأة: أمك الفاعلة، وسبته وانصرفت. وحكى عن ركن الدين بن القريع، أن رجلاً سأله وهو في الطريق، فقال: يفتح الله، فقال: يا شيخ قد فتح الله عليك، إذا جادت الدنيا عليك فجدبها، فقال الشيخ: لم قلت انها جادت عليّ؟ وإن سلم، فلم قلت أنه يجب عليّ الجود؟ وإن سلم، فلم قلت اني ما جدت وما انحصرت القسمة فيك. وكان الغالب عليه المناظرة فاستعملها مع رجل لا يعرفها. وأقبح من ذلك ما يحكى: أن دباغاً ختم النزع بتكرار ما يناسب صنعته. وبعض الأمراء كان آخر كلامه: هاتوا القباء الفلاني. إلى غير ذلك والعياذ بالله، لأن من أكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه، وكل إناء بالذي فيه ينضح. فلا تعود لسانك إلا بما تنتفع بتكراره عند الموت، وكن مثل أبي زرعة، سئل عند النزع عن حديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، فساقه بإسناده إلى أن وصل إلى «لا إله إلا الله»، ومات قبل أن يقول: «دخل الجنة». أنظر كيف نفعه الله بعلم الحديث. فعليك أن تمتزج لحمك ودمك بما تنتفع به في الآخرة، وأن تحصل سائر العلوم، وتلتفت إليها من حيث كونها آلة، لا أن تملأ قلبك ولبك بحيث تختم بها عند النزع. وبالجملة: عليك أن تنزل كل علم منزلته من الإقبال عليه والتوجه به.

الوظيفة الثامنة: مذاكرة الأقران ومناظرتهم.

لما قيل: العلم غرس وماؤه درس، لكن طلباً للثواب واظهاراً للصواب، لا للمفاخرة والعصبية، أو لهيجان القوة الغضبية. وما أفلح من نبض فيه هذا العرق. وفي (الفتاوى): أن من ناظر لتخجيل الخصم يخشى عليه الكفر. فينبغي أن يكون المناظرة والمطارحة بالإنصاف والتأني والتأمل، ويتحرز عن الشغب والغضب، فإن المناظرة مشاورة، والمشاورة لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والإنصاف. وأما إرادة التمويه والحيلة، فلا يجوز أصلاً، إلا إذا كان الخصم متعنتاً لا طالباً للحق. وكان محمد بن يحيى إذا توجه عليه الاشكال، ولم يحضره الجواب، يقول: ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظر ﴿وَفَوْقَ كُلِّ

ذي علم عليمٌ﴾(١). وفائدة المطارحة والمناظرة: إذا كان من الإنصاف أقوى من فائدة مجرد التكرار. وقيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن مع منصف سليم الطبيعة. وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسرقة، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة.

و ينبغي لطالب العلم، أن يكون متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلم، و يعتاد ذلك، فإنما يدرك الدقائق بالتأمل. ولذا قيل: تأمل تدرك، خصوصاً قبل الكلام، فإن الكلام كالسهم، فلا بد من تقويمه بالتأمل أولاً.

الوظيفة التاسعة: أن لا تؤخر شغل يومك إلى غدك، فإن كل يوم آت بمشاغله. وقيل: أن يوم الأعجزين غداً. وقيل: الجد والهمة كجناحين يطير بهما الإنسان إلى شواهق الكمالات. روي أن أبا حنيفة، رحمه الله، قال لأبي يوسف، رحمه الله تعالى: كنت بليداً أخرجتك المواظبة.

وإياك والكسل فإنه شؤم وآفة. وعليك أيضاً أن تكتب كل ما استنبطته من الزوائد، أو سمعته من الفوائد، فإن العلم صيد، والكتابة قيد. ولله در الإمام الجعبري فيما قال:

شعر

وفكرت حافظتي عقيب شبيبتي ... وعدمت من افراطه الإحساسا
وظللت مهما عزّ لي من حاجة ... أودعتها من خوفي القرطاسا
فبقيت أنساها وأنسى أنني ... أنسيتها فنسيت من قد ناسا

لكن عليك أن لا تكفي بثبته في القراطيس، ولا تتكل على ايداعه في بطون الكراريس، إذ العلم ما ثبت في صحائف الخواطر، لا ما أودع في صفايح الدفاتر، بل الغرض من إثباتها فيها، المراجعة عند عروض النسيان، لا الاعتماد على الأوراق. كما قال الشاعر:

أضحى الفقيه لجمع الكتب مغتبطاً ... لا بارك الله في البيت الذي جمعه
وظل يحمل أسفاراً فقلت له ... أنت الحمار الذي في سورة الجمعة

(١) سورة يوسف، آية: ٧٦.

وقال آخر:

إذا لم تكن حافظاً واعياً   فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر بالجهل في مجلس   وعلمك في البيت مستودع

وقيل: لا بد أن يكون مع الطالب محبرة في كل وقت، حتى يكتب ما يسمع من الفوائد. قيل: ما حفظ فر وما كتب قر. وروى عن الأستاذ ركن الإسلام المعروف بالأديب المختار: أنه روى عن هلال بن يسار، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول لأصحابه شيئاً من العلم والحكمة، فقلت: يا رسول الله، أعد لي ما قلت لهم، فقال لي: هل معك محبرة، فقلت: ما معي محبرة، فقال: يا هلال، لا تفارق المحبرة، فإن الخير فيها وفي أهلها إلى يوم القيامة. ووصى الصدر الشهيد حسام الدين، لابنه شمس الدين، رحمهما الله تعالى: أن يحفظ كل يوم شيئاً من العلم والحكمة، فإنه يسير، وعن قريب يكون كثيراً. واشترى عصام بن يوسف قلماً بدينار ليكتب ما سمع في الحال. فالعمر قصير والعلم كثير. فينبغي أن لا يضيع الأوقات والساعات و يغتنم الليالي والخلوات، و ينبغي أن يغتنم الشيوخ و يستفيد منهم. وليس كل ما فات يدرك. قال الشاعر:

ولست بمدرك ما فات مني   بلهف ولا بليت ولا لو أني

الوظيفة العاشرة: أن تعرف معنى شرف العلم ورتبته ووثاقته في البرهان.

أماالشرف: فإما بشرف ثمرته، أو بوثاقة دلائله. والأول: كعلم الدين، فإن ثمرته الحياة الأبدية التي لا آخر لها، فكان أشرف من الكل. والثاني: كعلم الطب، فإن ثمرته حياة البدن إلى غاية الموت. فعلم الدين أشرف من علم الطب أيضاً، وعلم الطب أشرف من علم الحساب باعتبار غايته وثمرته، فإن صحة البدن أشرف من معرفة كمية المقادير، وعلم الحساب أشرف منه بحسب وثاقة دلائله، لكونها ضرورية غير محتاج إلى تجربة بخلاف الطب.

ثم ان الشرف لما كان من جهة الثمرة تارة، ومن جهة قوة الدليل أخرى، فاعلم أن شرف الثمرة أولى من شرف قوة الدلالة. فأشرف العلوم ثمرة العلم

بالله وملائكته وكتبه ورسله وما يعين عليه، فإن ثمرته السعادة الأبدية.

ومما ينبغي أن يعلم أيضاً: أن لكل علم حداً بحسب البرهان لا يتعداه، مثلاً لا تقصد إقامة البراهين في النحو ولا تقصر عنه أيضاً، كأن تقنع بالجدل في الهيئة، وكذلك ملاك الأمر في المعاني هو الذوق، وإقامة البرهان عليه خارج عن الطوق، ومن طلب البرهان عليه أتعب نفسه، ولم يحصل من جده بطائل.

قال السكاكي: وقبل أن نمنح هذه الفنون حقها، فلننبهك على أصل، لتكون على ذكر منه، وهو أن ليس من الواجب في صناعة، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل، أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها، في استفادة الذوق منها، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية، واعتبارات ألفية، فلا بأس على الدخيل في صناعة علم المعاني، أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه، ان فاته الذوق هناك، إلى أن يتكامل له على مهل، موجبات ذلك الذوق.

المقدمة الثالثة

في وظائف المعلم

وهي أيضاً عشر:

الوظيفة الأولى: ينبغي أن يكون تعليمه لوجه الله تعالى. ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رسماً ولا عادة ولا زيادة جاه ولا حرمة، وإنما يريد ابتغاء مرضاة الله تعالى، والإمتثال لأوامره والإجتناب عن نواهيه. ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة وإرشاد عباد الله إلى الحق، ودلالتهم على ما يصلحهم في النشأتين، وإظهار دين الله، وإقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام. ويكون مخلصاً في ذلك، راغباً في الآخرة وميقناً بما وعد الله للعلماء العاملين، راجياً ثوابه وخائفاً عقابه.

وأعلم أن العلم كالمال، له حال ادخار، فيكون به غنياً عن السؤال، وحال انفاق على نفسه وعلى غيره، فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله. فلا بد للعلم أيضاً من حال كسب واستفادة، وحال تحصيل وضبط، وحال استبصار وانتفاع، وهو التفكر فيما حصله ان كان اعتقادياً، أو العمل به ان كان عملياً، وحال نفع وتعليم، وهو أشرف أحواله، فيصير كالشمس مضيئاً لنفسه ولغيره، والمسك الطيب المطيب لغيره. ومن أفاد غيره ولم ينتفع به، كان كالدفتر المفيد غيره وهو غير منتفع به، وكالمسن يشحذ غيره ولا يقطع، وكذبالة المصباح تضيء وتحترق. وليعلم يقيناً: لأن يهدى الله على يديه رجلاً خير له مما طلعت عليه الشمس والقمر، ولأن يرد عبداً آنفاً عن الله تعالى إلى طاعته، أحب إلى الله تعالى من عبادة الثقلين.

الوظيفة الثانية: أن يجري المتعلم منه مجرى بنيه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده». بل ينبغي أن يكون (الولد) الالهي أحب إليه من الولد الصلبي. ذكر حافظ الدين البزازي، عن المرغيناني، عن عصام بن أبي يوسف رحمه الله: لم يكن لأحد عليّ من الحق كما كان له، وكان مشفقاً على أصحابه، لو وقع الذباب على أحدهم، يرى مشقة ذلك عليه. وبلغ من شفقته عليهم أن رجلاً دخل عليه متغير اللون، وقال: إن فلاناً سقط من السطح، وكان الإمام يصلي، فسمع وصاح حتى سمع من في المسجد، فلما فرغ ذهب إلى الرجل وقال: ان قدرت أن أحمل على نفسي هذه العلة فعلت، وخرج من عنده باكياً. وكان يأتيه صباحاً ومساء حتى برأ الرجل.

وليعتقد المتعلم أن حق المعلم أكبر من حق الأب، فإنه سبب حياته الباقية، والأب سبب حياته الفانية. ولذلك قال الاسكندر لما قيل له: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ فقال: بل معلمي. فكما أن الأخوة يجب بينهم التوادد والتحاب فكذلك شركاء الدرس، بل ينبغي أن يكون فوقهم، فإن العلماء كلهم مسافرون وسالكون إلى طريق الله تعالى، والمعلم المرشد، والهادي، والشركاء الرفقاء، ولا ينتظم أمر المسافرة إلا بموافقتهم ومحبتهم وإنما ينشأ البغض والتحاسد، لجعلهم العلم وسيلة إلى المال والرياسة، فيخرجون به عن قوله: ﴿إنما المؤمنُونَ اخْوة﴾[1]، ويدخلون تحت قوله تعالى: ﴿الأخِلاَء ُيومئذ بَعْضهُمْ لبعض عدو إلا المتقينَ﴾[2].

ولا يخفى أن المال والرياسة يوجبان التحاسد والتباغض، كما وقع في زماننا هذا ــ بسبب حب الرياسة والمال ــ العداوة والبغضاء والتحاسد بين العلماء. وإلى الله المشتكى من زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم العناد، حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد. قوم غلب عليهم الجهل وطمهم، وأعماهم حب الرياسة وأصمهم. فمن طائفة يطولون أكمام الإفتخار، ويجرون أذيال الاستكبار، يتربعون في صدور الإيوان، ويتنافسون باحتشاد الحواشي

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.
(٢) سورة الزخرف، آية: ٦٧.

والغلمان، يستبدلون الجواب بالأعراض، ويستقلون في مجالسهم هتك الأعراض. أسأل الله تعالى من فضله أن يتوب عليهم ويسامحهم ببركة العلم والإسلام، ويبوئهم أحسن مستقر ومقام.

الوظيفة الثالثة: أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه، ولا يطلب على إفاضة العلم أجر أو جزاء. قال تعالى: ﴿قُل لَاَ أَسْأَلُكُم عليه أَجْراً﴾(١). فيجب عليه قطع الطمع عن المتعلمين والرفق بهم في التعليم، والتواضع لهم والعطف عليهم. بل يجب عليه تقريب الفقير لفقره وانكساره، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء ويحب المساكين.

واعلم: أن طلب المال وأعراض الدنيا بالعلم، كمن نظف أسفل مداسه بوجهه ومحاسنه، فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً. فعليك أن لا تركن إلى حطام الدنيا وإقبالها، وولاية المناصب وإجلالها، فإن ذلك حبالة الشيطان، يصطاد بها ضعفاء الأحلام من الأنام، كما قال عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وعلى نبينا: «العلماء دواء الدين، والمال داء الدين، فمن جر الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره!» ألا أن العجب العجيب، أن الأمر قد انتهى بحكم تراجع الزمان، وخلو الأعصار عن علماء الدين، إلى عدم ابتهاج العلماء بانتهاج سبيل العلوم، بل بالرياسة والتجمل اللذين لا يتخدع بهما إلا العوام والجهلة.

شعر

فساد كبير عالم متهتك ... وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة ... لمن بهما في دينه يتمسك

قال محمد بن الحسن: لو كان الناس كلهم عبيدي لأعتقتهم وتبرأت عن ولائهم، ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس.

قال أبو حنيفة، رضي الله عنه:

من طلب العلم للمعاد ... فاز بفضل من الرشاد
فيا لخسران طالبيه ... لنيل فضل من العباد

---

(١) سورة الشورى، آية: ٢٣.

اللهم إلا إذا طلب الجاه، للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتنفيذ الحق، واعزاز الدين لا لنفسه وهواه، فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. و ينبغي أن يتفكر في ذلك، فإنه يتعلم العلم بجهد كثير، فلا يصرفه إلى الدنيا الحقيرة الفانية.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الدنيا، فوالذي نفس محمد بيده انها لأسحر من هاروت وماروت».

شعر

هي الدنيا أقل من القليل وعاشقها أذل من الذليل
تصم بسحرها قوماً وتعمى فهم متحيرون بلا دليل

الوظيفة الرابعة: أن لا يدخر نصحه عن المتعلم، وزجره عن الأخلاق الردية بالتعريض والتصريح، ومنعه أن يتشوف إلى رتبة فوق استحقاقه، وأن يتصدى للأشغال فوق طاقته، وأن ينبهه على غاية العلوم، وأنها هي السعادة الأخروية دون أعراض الدنيا. و ينبغي أن لا يزجر عن التعلم، إذا رأى أنه يتعلمه لأجل الرياسة ومباهاة العلماء، إذ اشتغاله ربما أدى الى اكتساب العلم، وتنبه بالآخرة لحقائق الأمور، وعلم أن الطالب بالعلم لأعراض الدنيا مغبون، وهو المعنى من قولهم: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله. ولهذا ينبغي أن يرغب في نوع من العلم يستفاد به الرياسة، بالاطماع في الرياسة، حتى يستدرجهم بعد ذلك إلى الحق. ولهذا رخصوا في علم المناظرة في الفقهيات، لأنها بواعث على المواظبة لطلب المباهاة أولاً، ثم بالآخرة يتنبه لفساد قصده، و يعدل عنه إلى المنهج القويم، بل الله سبحانه وتعالى، جعل الرياسة وحسن الذكر، حفظاً للشرع والعلم، مثل الحب الملقى حوالي الشبكة، ومثل الشهوة الداعية إلى التناسل. ولهذا قيل: لولا الرياسة لبطل العلم. لكن ينبغي أن ينبه عليه: أن المتعلم إن كان طبعه على الشر والفساد، وحب المال والجاه، فلا يحسن له الرياسة، لاحتمال أن يرسخ في طبعه، ثم لا يزول أو يشق زواله.

الوظيفة الخامسة: أن يزجر عما يجب الزجر عنه، بالتعريض لا بالتصريح،

لأن التعريض يؤثر في الزجر، والتصريح ربما يغرى بالمنهى عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لو نهى الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء». و ينبه على ذلك «قصة آدم وحواء» وما نهيا عنه. ولذا قيل: الإنسان حريص على ما منع. وقد قيل: رب تعريض أبلغ من التصريح، إذ التعريض لا يهتك حجاب الهيبة، والتصريح يرفعه بالكلية، فيستفيد المنهى جرأة على المخالفة إذا اضطر إلى المخالفة له مرة أخرى. ولقد شاهدنا هذا الأمر في المولى الوالد روح الله روحه، حيث ما قابلنا في أمر بتصريح، بل كان يعرض وكنا ننزجر عن ذلك الأمر فوق ما ينزجر الناس عن التصريح.

و ينبغي أن يكون ناصحاً لهم، ومتواضعاً لهم مع الوقار، صابراً على تعليمهم في أكثر النهار، ومحرضاً على كسب العلوم، ومشفقاً عليهم، ومتحملاً منهم ما يصدر عنهم من الهفوات، وناظراً في أحوالهم الدنيو ية والأخرو ية، يبر حقوقهم بقدر وسعه وطاقته.

الوظيفة السادسة: أن يبدأ في التعليم ما يهم المتعلم في الحال، أما في معاشه، أو في معاده، و يعين له ما يليق بطبعه من العلوم، إذ كل ميسر لما خلق له، و يراعى الترتيب الأحسن في ترتيب العلوم حسبما تقتضيه رتبتها. ولا ينبغي أن يرقيهم من الجلي إلى الدقيق ومن الخفي إلى الظاهر دفعة وفي أول رتبة، بل على قدر الإستعداد، اقتداء بمعلم البشر كافة ومرشدهم قاطبة، حيث قال: «إنا معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر علومهم». وقال علي رضى الله عنه وأومى إلى صدره: ان هاهنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة. وقال صلى الله عليه وسلم: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله». وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسْمَعَهُمْ ﴾(١). وسئل بعض المحققين عن شيء فاعرض، فقال السائل: أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»، فقال أترك اللجام واذهب، فإن جاء من يفقه،

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٣.

فكتمته، فليلجمني به. وقد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ولا تُؤْتُوا السفَهاءَ أموالكم﴾(١).

على أن حفظ العلم وأمساكه عمن لا يكون أهلاً له أولى. وبقوله تعالى: ﴿فإن آنستُم منهم رُشْداً فادْفَعوا إليهم أموالَهُمْ﴾(٢). على أن من بلغ رشده في العلم، ينبغي أن يبث إليه حقائق العلوم، ويرقى من الجلي الظاهر إلى الدقيق الخفي. وليس الظلم في منع المستحق، بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق. قال أبو بكر الشاشي رحمه الله: رأيت الشافعي، رضي الله عنه، في المنام، فأنشدني هذه الأبيات:

أأنثر دُرًّا بين راعية الغنم ... أأنظم منثوراً لسارحة النعم
فإن لطف الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيداً واستعدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فظهر منه أن بث المعارف إلى غير أهلها مذموم في العلوم كلها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تطرحوا الدرر في أفواه الكلاب». وقال عيسى عليه السلام: لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن العلم خير من الجوهر ومنكره شر من الخنزير.

وقيل:

قد ضيع الله ما جمعت من أدب ... بين الحمير وبين الشاء والبقر

وأيضاً ادخار حقائق العلوم من المستأهلين لها فاحشة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَإذ أَخَذَ الله مِيثاقَ الذين أوتوا الكتابَ لَتُبيِنُنَّه للناس ولا تكتُمونَه﴾(٣). قال بعض المحققين: وضع العلم في غير أهله اضاعة، ومنعه عن أهله ظلم وجور، وكلاهما حرام على العلماء.

الوظيفة السابعة: أن يحث الصغار على التعليم، سيما الحفظ، لأن ذلك كالنقش في الحجر، والتعليم في الكبر كالرقم على الماء. وأيضاً: ينبغي أن يذكر

---

(١) سورة النساء، آية: ٥. (٢) سورة النساء، آية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

لهم ما يحتمله فهمهم، ولا يذكر للمتعلمين أن وراء ما ذكر لهم تحقيقاً وتدقيقاً أدخره عنهم، فإن ذلك يفتر فهمهم في تلقف ما ألقي اليهم، بل يخيل إليهم أن ما ذكر لهم كل المقصود، ثم إذا استقل به رقي إلى غيره.

وعلى هذا القياس، ينبغي أن تجنب أسماع العوام المتشرعين عن كلمات الصوفية التي يعجزون عن تطبيقها بالشرع، فإن ذلك يؤدي إلى انحلال قيد الشرع عنهم، ولا يمكن لهم التطبيق بينه وبين الشرع، فينفتح عليهم باب الالحاد والزندقة، فينقلب شيطاناً مريداً. كما نشاهد ذلك في بعض عوام زماننا المتتبعين لكلمات (الفصوص) وغيره، الغير المستأهلين لتحقيقها واتقانها.

فينبغي للمعلم أن يرشد العوام إلى علم العبادات الظاهرة وأن يملأ نفسهم إلى الرغبة والرهبة، كما يفعله الوعاظ والمذكرون، وإن عرض لهم شبهة يعالج بكلام اقناعي وتقرير واضح عامي، ولا يفتح عليهم باب الحقائق، فإن ذلك فساد النظام، وإن وجد ذكياً ثابتاً على قواعد الشرع، ومستعداً لدرك الحقائق العقلية والأسرار الإلهية، جاز أن يفتح له باب المعارف الربانية، بعد امتحانات متوالية وتجارب متتالية، حتى لا يتزلزل عن جادة الشرع، ويجمع بينه وبين الحقائق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقد أسلفنا أن السلف كانوا يختبرون المتعلم في أخلاقه، فإن وجدوه مهذب الأخلاق، اشتغلوا بتعليمه، وإلا منعوه أشد المنع، خيفة من أن يقصر في الفهم، فيفسد به دينه ودين غيره. ولهذا قالوا: نعوذ بالله من نصف فقيه ونصف طبيب، فإن الأول يفسد الدين والثاني يفسد البدن.

وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام، فانا أوصيك وصية عمل من طب لمن حب، لعلك تنتفع بها وتدعو لي بخير، وهي: أن الواجب عليك أيها الطالب للحق، والراغب في الصدق، أن لا تنكر أولياء الله تعالى، فإنهم الوسيلة بينك وبين الله تعالى، والخليفة من حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا كنت في المدارج غرا ... ثم أبصرت حاذقاً لاتمار
لا تكن منكراً فثم أمور ... لطوال الرجال لا للقصار
فإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

وما لا تفهم من مقالاتهم الخفية وأحوالهم الغريبة فكله إلى أهله، إذ كل ميسر لما خلق له. وقال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾(١). وقال بعض من الحكماء: كل ما قرع سمك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان، ما لم يذدك عنه قائم البرهان. وقال بعض المحققين في حق أسرار التوحيد وأطوار المتصوفة:

شعر

وكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فإن قلت: كل ما يخالف الشرع فهو كفر، والتوقف فيه لا يصح من المسلم، قلت: نعم ان التوقف في الكلام الذي هو كفر صريح، من حيث أنه يجوز أن يكون صحيحاً، لا يجوز من مسلم، فضلاً عن عالم، لأن ذلك شك في الدين، وخرم لنظام الإسلام والشرع. لكنا والعياذ بالله لا تتوقف في ذلك أبداً. عصمتنا الله وإياكم عن التساهل في الدين والإسلام. لكنا نتوقف في كون مرادهم ذلك المعني. والدليل القاطع دل على أن ظاهره غير مراد فلا بد فيه من أن يصرف عن ظاهره إلى وجه من وجوه التأويل لوجهين:

(أحدهما) — تصريحهم بأن المفهوم من ظاهر كلامنا كفر والحاد، إذ التعبير عن أصل المراد: الحلول أو الإتحاد وليس الأمر كذلك، بل ذلك لضيق العبارة وعسر الإشارة، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الإحتراز عنه. كذا ذكر الإمام الغزالي في كتاب: (المنقذ من الضلال).

(وثانيها) — ما ذكره بعض الكاملين، أن المعارف الإلهية لم توضع بإزائها الألفاظ، بل اقتصر الوضع بإزاء الممكنات، وأيضاً: لا يمكن الإشارة إليها بطريق الكناية والإستعارة، إذ ليس كمثله شيء. فغاية حال من أراد التعبير عن الأسرار الإلهية، فصارى أمرهم التعبير عنها بما يماثلها من جهة من الجهات، وإن كان مخالفاً له حقيقة، ومن سائر الجهات. فالتعبير عن الأسرار الإلهية، وإن كان تقريباً إلى الأذهان من جهة، فهو تبعيد عنها من وجوه كثيرة. وإنما

---

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٨.

الغرض من التصنيف، للتذكرة لمن يعرف تلك الأسرار، لأنه يعرف العلاقة في إطلاق اللفظ عليها، وكذا التنبيه على من لا يعرفها، ان لنا علماً يجل عن الأذهان فهمه، حتى يرغب في تحصيله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله وإذا نطقوا لا ينكره إلا أهل الغرة».

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءين: أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم.

وقيل:

شعر

اني لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتو به حسناً

لكن إياك وإياك، أن تظن أنهم أضمروا الكلمات المخالفة للشرع، وليس كذلك، فحاشاهم ثم حاشاهم عن ذلك، بل غرضهم عدم إمكان التعبير، وخوف مقايسة السامعين الأحوال الإلهية بأحوال الممكنات، فيضلوا ويضلوا، ويسيئوا الظن في قائلها، ويقابلوه بالإنكار. جل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد، أو يطلع على سرائر قدسه إلا واحد بعد واحد.

وقيل:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

قال تاج الدين السبكي: ومن الفقهاء طائفة يستهزئون بالفقراء وأهل التصوف، ولا يعتقدون فيهم شيئاً، ويعيبون عليهم السماع وأموراً كثيرة، والسماع قد عرف اختلاف الناس فيه. وتلك الأمور قل أن يفهمها من يعيبها.

والواجب تسليم أحوال القوم إليهم فإنا لا نأخذ أحداً إلا بجرمة ظاهرة، ومتى أمكننا تأويل كلامهم، وحمله على محمل حسن، لا نعدل عن ذلك، لا سيا من عرفنا منهم الخير ولزوم الطريقة، ثم لو بدرت لفظة عن غلطة أو سقطة فإنها لا تهدم عندنا ما مضى. وقد جربنا فلم نجد فقيهاً ينكر على الصوفية، إلا ويهلكه الله، ويكون عاقبته وخيمة، كما أنه لم نجد جندياً يهزأ بالفقهاء، إلا ويهلكه الله، ويكون عاقبته شديدة. والصوفية هم أهل القلوب، فهم أهل الله تعالى وخاصته، نفعنا الله تعالى بهم، وأكثر من يقع فيهم لا يفلح. هذا حاصل ما ذكره السبكي رحمه الله تعالى.

الوظيفة الثامنة: ينبغي أن لا يخالف قوله فعله، بل يأمر بما هو أول عامل به، إذ لو أكذب مقاله بحاله ينفر الناس عنه وعن الإسترشاد به، لأن أكثر الناس مقلدون ينظرون إلى حال القائل. والمحقق الذي لا ينظر إلى القائل، بل يقصر النظر إلى ما قاله، فهو نادر، فليكن عنايته بتزكية أعماله، أكثر منه بتحسين علمه ونشره. وإذا زجر الطبيب عما يتناوله، يحمل على الهزء والسفه، أو يتهم على علمه وصدقة، أو يحمل على أنه يريد أن يستأثر به، فينقلب النهي إغراء وتحريضاً. كذلك العامي إذا رأى العالم الغير العامل، فهو بين أن يحمله على الكذب، أو أنه يعرف حيلة فعله، ويحضنا بالنهم عنه، أو يحمله على السمعة والرياء، نعوذ بالله من آفات التساهل في العمل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه». وعنه صلى الله عليه وسلم: «أول ما يسعر يوم القيامة رجل عالم فينزلق لسانه، فيدور فيها كما يدور الحمار مع الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا هذا، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». وفي الحديث أيضاً: أن أشد الناس حسرة يوم القيامة: رجلان. رجل علم علماً فيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به؛ ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار. وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي يستعيذ بالله من هذا العلم حيث كان يقول: نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا، وينشد:

علمت ما حلل المولى وحرمه فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

ومثل الواعظ والمتعظ مثل النقش والطين والعمود والظل. وكيف ينقش الطين ما لا نقش فيه؟ وكيف يعتدل الظل والعمود أعوج؟ ولذلك قيل:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ومن الضنا مذ كنت أنت سقيم
ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا صفة وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حليم
فهناك تقبل ان وعظت و يقتدي بالقول منك و ينفع التعليم

وقيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

بل قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبر وتنسون أَنْفُسَكُمْ﴾[1]. ولذلك قيل:

وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل لأنه يقتدى به. كما قال عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها». فعلى العاصي الجاهل في كل معصية وزر الإتيان، وعلى العالم العاصي وزر الإتيان ووزر أن يقتدى به. ولذلك قال علي رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك؛ وعالم متهتك. فالجاهل يغر الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «و يل للجاهل مرة وللعالم سبعين مرة».

ومن العالم من لا يترك الفرائض، ولكنه أحب المناظرة، ليقال: فلان اليوم فقيه البلد، حتى اختلط بلحمه وعظمه، فيترك النوافل و ينسى القرآن بعد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٤.

حفظه، وإذا قام إلى الصلاة، أخذ يتفكر في باب الحيض ودقائق الجنابات، و يعتذر في ذلك و يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وأن الخشوع ليس من شرائط صحة الصلاة. مع أنه روى عن الأستاذ أبي علي الدقاق أنه كان يقول: من استهان بأدب من آداب الإسلام، عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله مبتدعاً يوقع عنده باطلاً فيوقع في قلبه شبهة. أنظر أيها الطالب إلى أين انتهى ترك الأدب والنوافل.

ولا بد للعالم من الورع ليكون علمه أنفع وفوائده أكثر. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله بإحدى ثلاثة أشياء: أما أن يميته في شبابه، أو يوقعه في الرساتق، أو يبتليه بخدمة السلطان».

ومن الورع: أن يتحرز عن الشبع وكثرة النوم، وكثرة الكلام فيما لا يعنيه، وعن أكل طعام السوق، فإنه أقرب إلى النجاسة والخباثة والغفلة وأبعد عن ذكر الله، و يذهب بركته بوقوع أبصار المحاو يج والفقراء. و ينبغي أن يتحرز عن الغيبة ومجالسة المكثار، وقيل: من أكثر الكلام يسرق عمره و يضيع أوقاته؛ ويجتنب من أهل الفساد والمعاصي وأهل العطلة، إذ المجاورة مؤثرة. و ينبغي أن يختلط مع صاحب الطبع المستقيم والأذكياء، و يفر من الكسلان والمفسد والفتان.

شعر

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... وكل قرين بالمقارن يقتدى

ومن العلماء من يستهين بصغائر الذنوب، كالغيبة، والإستهزاء بخلق الله تعالى، وغير ذلك، وكان له معصية ابتلاه الله بها فلم يستتر وقال: علمنا يغطي معصيتنا. وهذا جهل لا علم، إذ المعصية سترها واجب سيما من العالم لأنه يقتدى به. ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلا على أشرف أحواله خوفاً أن يقتدى به. فينبغي للعالم الكف عن صغار المعاصي فضلاً عن كبارها، فإن هو لم يكف، فلا أقل من التستر صيانة لمنصب العلم الجليل. ومن جملة أحوالهم الشنيعة: أن يطعنوا في أمة قد سلفت، والإشتغال بعلماء قد مضوا، سيما

المخالفين في العقائد، حتى أن بعضاً من المتعصبين من الأشاعرة يكفرون الحنابلة، وبعض من الحنابلة يكفرون الأشاعرة. إلا أن هذا منكر من القول وزور، إذ الأئمة المعتبرون من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والأشاعرة، مذهبهم على أن لا يكفر أحد من أهل القبلة، فلم هذا التعصب؟ وما لنا لا نسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم ولم ندر على ماذا ماتوا. هذا الذي فعلوه والله ما لا ينبغي.

الوظيفة التاسعة: في آداب الدرس والفتوى والقضاء والتذكير.

أما آداب الدرس: أن يكظم غيظه عند التعليم ولا يخلطه بهزل فيقسو قلبه. ولا يضحك فيه ولا يلعب فيموت قلبه. ويستعمل الحلم والوقار والتؤدة والرفق والمداراة فيما ينويه من الأمور. ولا يبالي إذا لم يقبل قوله. ويقول: إنما عليّ البلاغ والهداية والتوفيق من الله تعالى. ولا بأس بأن يمتحن فهم المتعلم ويبحث عن حرصه على العلم. فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجرب أصحابه بنحو من ذلك. كما قال: «ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم. فحدثوني: ما هي؟ فوقعوا في شجر البوادي ووقع في نفس ابن عمر رضي الله عنهما أنها النخلة فاستحى أن يسبق الأكابر بذكرها. وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الصغار لا تتقدم الكبار في الكلام اللهم إلا أن يفهم الإذن العام.

وينبغي أن لا يحاول في العلم ولا يماري في الحق فإنه يفتح باب الضلال ويتذكر ما يحفظه في نفسه لينجح ويرسخ ويفيد ما يحتاج إليه دون ما يستغني عنه. وإن كان الطلاب مبتدئين لا يلقي عليهم المشكلات. بل يدربهم، ويأخذهم بالأهون فالأهون. وإن كانوا منتهين لا يلقي عليهم الواضحات بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر.

ومن أقبح المنكرات. أن ينظر المدرس كل يوم في عدة سطور ويفهمها ويلقنها المتعلم ولا يوجد في ذهنه المعلومات في جميع الأبواب أو في أكثرها. فإن هذا يطرق العوام إلى روم منصب التدريس إذ قلما يوجد عامي لا يقدر على فهم عدة سطور. وهذه البلية شاعت في زماننا ولهذا اجترأ الجهال على الدخول

في منصب التدريس. وبهذا اندرس رونق المدارس ورسوم العلم. ثم ان مثل هؤلاء هم السبب في اندراس العلم. ومع ذلك فهم يعاتبون الزمان. سيجزيهم الله تعالى بما فعلوه. والله الرقيب على الكل. قلت في هذا المعنى:

شعر

فوا أسفا رسم المدارس دارس فهل عند رسم دارس من معول

و ينبغي أن ينوي بتعليمه ارشاد عباد الله الى الحق ودلالتهم على ما يصلحهم. و يقطع الطمع عن المتعلم.

و ينبغي: أن يقرب الفقير و يتواضع له و يعطف على المتعلم و يبدأ بأقرب ما يفتقر وأهم ما يغنيه في معاشه ومعاده و يكلم كل صنف بما يبلغه عقله و يدركه فهمه. ولا يجيب متعنتاً في سؤاله ولا ما يلقي عليه من الأغلوطات.

ومن جملة آداب الدرس: أن ينظر في الطالب إن كان له زيادة فهم بحيث يقدر على حل المشكلات وكشف المعضلات يهتم لتعليمه أشد الإهتمام، وإلا فيعلمه قدر ما يعرف الفرائض والسنن، ثم يأمره باشتغال الإكتساب ونوافل الطاعات لكن يصبر في إمتحان ذهنه مقدار ثلاث سنين.

وأما آداب الفتوى: فاعلم أن السلف لم يجوزوا الإجتراء على تقلد الفتيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتيا، وان ظهر المفتي جسر الناس إلى جهنم فيما يحل ويحرم من المال والدم والفرج». فالسنة أن لا يتقلد الفتوى عن طوع قلب وطيب نفس إلا أن يكره عليه بالوعيد الشديد ولا يستعمل الإمام أيضاً من يطلبه. فإن طلبه وكل إلى نفسه وان أكره عليه سدد فيه. وكان السلف يعدون السكوت والاستماع أفضل من الكلام والخمول أشرف من النباهة، فلم يكن أحد منهم إلا ودان أخاه كفاه الحديث والفتيا.

وكان عمر رضي الله عنه ربما يجمع أهل بدر كلهم في واقعة ولا يحكم فيها برأيه. لكن ان لم يكن له بد منها بأن لا يوجد أفضل منه أو أكره عليه إذ حينئذ يفترض عليه. فعليه أن لا يفتي إلا فيما يقع من المهمات الدينية دون الغوامض الغريبة.

وإن سئل عما يشك فيه، يقول: لا أدري، فإن لا أدري نصف العلم. وسئل الإمام مالك عن أربعين مسألة. فقال في ست وثلاثين لا أدري مع أنه

من الأئمة المجتهدين اتفاقاً. وتوقف أبي حنيفة رحمه الله في ست مسائل مشهور وكذا يحكي الجواب بلا أدري عن كثير من علماء السلف.

و ينبغي: أن لا يطلب بالفتيا سيادة ولا رياسة ولا إقبال الناس عليه ولا سبي قلوبهم لجلب النفع منهم وكسب الجاه منهم. بل كان نيته حسبة للثواب من الله عز وجل. وابتغاء لمرضاته وإعلاء لكلمته ونصرة لدينه وأداء للأمانة عندهم إلى من يعقبهم من أخوان الدين فإن ذلك فرض عليه.

وأما شرائط الفتوى: قال الإمام محمد رحمه الله: إذا كان صوابه أكثر من خطئه يحل له أن يفتي. يعني برأيه. رواه عنه أبو نصر العراقي. وقال أبو يوسف رحمه الله ـــوقد شدد الأمر فيهـــ: لا يحل له أن يفتي حتى يعرف أحكام الكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ وأقاو يل الصحابة والمتشابه ووجوه الكلام.

وعن أبي يوسف، وزفر، وعافية بن زيد رحمة الله عليهم أنهم قالوا: لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا؟ وإن كان حافظاً كتب أصحابنا لا بأس بالجواب على وجه الحكاية. وإن كان غير حافظ لا يسعه القياس إلا أن يعرف طرق المسائل ومذاهب القوم.

قال أبو بكر: وإن حفظ جميع كتب أصحابنا فلا بد أن يتلمذ للفتوى حتى يهتدى إليه. وقيل: ينبغي لكل مفتٍ أن ينظر إلى عادة أهل بلده فيما لا يخالف الشريعة.

و ينبغي أن لا يجيب متعنتاً في السؤال ولا من يلقي إليه من الأغلوطات والعو يصات ويحرم على السائل إلقاء ذلك على العلماء فإن حاصله يؤول إلى استخفاف بالعلماء وتهاون بالدين.

و ينبغي أن يجتنب المفتي عن تتبع الرخص للأمراء وتخصيصهم بذلك من بين العوام مثل أن يقول: لعب الشطرنج حلال عند الشافعي، والمجاوزة عن الحدود في التعزيزات جائزة عند مالك، و بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ولم يكن له ما يعمر به حلال عند أحمد بن حنبل. وتتبع الرخص وإن كان جائزاً على ضعف لكن ذلك ابتلاء الضعفة بسبب عدم الإستطاعة. وأما

تخصيص الأمراء بذلك وتخصيص المفتي من يشاؤه بذلك من غير اعتقاد بالصحة وإلا لأفتى على العموم من غير تخصيص بالبعض، فمن علامات الإستهانة بدين الله. نعوذ بالله من الخذلان. وما هذا المفتي إلا ضال خارق لحجاب الهيبة مسقط لأبهة الشرع مفسد لنظام الدين. قال بعض السفهاء من الشعراء وأهل المجون.

الشافعي من الأئمة قائل — اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدق — في كل ما يروي من الأحكام
شرب المثلث والمربع جائز — فاشرب على أمن من الآثام
وأباح مالك السفاح تكرما — في ظهر جارية وظهر غلام
والحبر أحمد حل جلد عميرة — وبذاك يستغني عن الأرحام
فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج — في كل مسألة بقول امام

والرأي الحق في مثل هذا الشاعر أن يضرب بالسياط ويطاف به في الأسواق فقبحه الله وأخزاه. كيف اجترأ على أئمة المسلمين وهداة المؤمنين. وقد افترى على مالك فيما عزاه إليه وعلى غيره في تسمية الشطرنج قماراً وإطلاق الشرب واللواط والزنا على ما سماه. ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس:

أباح العراقي النبيذ وشربه — وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد — فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

أراد بالعراقي: أبا حنيفة رحمه الله تعالى. وبالحجازي: الشافعي. وادعى الشاعر أن أبا حنيفة رحمه الله قال بحل النبيذ وأن الشافعي قال النبيذ والخمر واحد فيلزم من قولهما حل الخمر وليس كذلك إذ الشافعي قال: أيهما واحد في الحرمة لا في الحل.

وهذا القول ان صدر عن اعتقاد فزندقة والعياذ بالله إلا أن الظاهر من حال أبي نواس أنه لم يقصد إلا نوعين من المجون الذي لا يخلو عنه الأدباء. ولكن المجون في هذا الباب قبيح جداً لأنه تلاعب بدين الله. وينبغي أن يكون المفتي بابه مفتوحاً ومستفتيه غير مردود.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: يراد من العلماء عشرة أشياء: الخشية، والنصيحة، والشفقة، والإحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة عن أموال الناس، والدوام على النظر في الكتب، وقلة الحجاب وهو أن يكون بابه مفتوحاً للوضيع والشريف فانه بلغنا أن داود عليه السلام انما ابتلى من شدة الحجاب.

ومن آداب الفتيا: أن لا يصر على الخطأ ولا يستكبر عن قبول الحق وان كان ممن هو دونه وقد وقع من أبي حنيفة الرجوع إلى قول تلامذته خصوصاً أبو يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى. و ينبغي: أن لا يتنازع أحداً ولا يخاصمه لأنه يضيع أوقاته. قيل: المحسن سيجزى بإحسانه والمسيء ستكفيه مساو يه وعليه: أن يشتغل بمصالح نفسه لا بقهر عدوه. قيل: من أراد أن يرغم أنف عدوه فليحصل العلم. إياك والمعاداة فإنها تفضحك وتضيع أوقاتك. وعليك بالتحمل لا سيما من السفهاء. قال عيسى ابن مريم عليه السلام: احتملوا من السفيه واحداً كي تربحوا عشراً. وإياك وظن السوء فإنه منشأ العداوة ولا يحل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «ظنوا بالمؤمنين خيراً». وإنما ينشأ ذلك من خبث النية وسوء السريرة كما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعل المرء ساء ظنونه — وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته — وأصبح في ليل من الشك مظلم

ثم أن مما يجب على المفتي: أنه كما لا يرخص لأرباب الظلم في الأمور الشرعية كذلك لا يغلظ عليهم بحيث يؤدي إلى نفورهم عن الإنقياد للشرع.

و ينبغي أن يراعي في الرخص والتشديد حال السائل. يروى أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا. وسأله آخر. فقال: له توبة. فسئل ابن عباس عن ذلك فقال: رأيت في عيني الأول ارادة القتل فمنعته، وأما الثاني فقد جاء مستكفاً قد قتل فلم أقنطه. ومن ثم قال الصيمري: من سأله سائل. ان قتلت عبدي فهل علي قصاص؟ يسعه أن يقول: ان قتلته قتلناك لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من قتل عبده قتلناه». ولأن القتل له معان وهذا إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة.

وأيضاً ينبغي للمفتي أن يتجنب في ألفاظ جوابه عن الألغاز فيوقع الخلق في جهل عظيم و يقع هو في اثم كبير وربما أداه ذلك إلى إراقة الدماء لغرض مثل قول القائل: أنا أحمد النبي. و يريد «بأحمد» الفعل. ويجعل النبي منصوباً مفعولاً يعني أحمد نبينا صلى الله عليه وسلم. ومثل قول القائل: معي ما لم يخلقه الله. و يريد به القرآن. ونحو ذلك. وحكاية بعض العلماء مع الخليفة المأمون شهيرة. ولكن ان وقع مثل هذا عن أحد لا ينبغي للمفتي الإقدام على التفكير من غير تأمل وفحص وإن كان الإطلاق نفسه مستهجناً ومستقبحاً.

وأما آداب القضاء: فأعلم أن السلف حذروا العلماء عن تقلد القضاء والإجتراء لما روى عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جعل قاضياً فكأنما ذبح نفسه بغير سكين». وقال صلى الله عليه وسلم: «قاضيان، قاض في النار، وقاض في الجنة». ومما شاع بين الناس أن أبا حنيفة رحمه الله اختار الحبس والضرب ولم يتقلد القضاء. قيل: إنه دعي إلى القضاء ثلاث مرات فأبى حتى ضرب في كل مرة ثلاثين سوطاً. فلما كان في المرة الثالثة قال: حتى أستشير أصحابي. فاستشار أبا يوسف رحمه الله فقال أبو يوسف: لو تقلدت لنفعت الناس. فنظر إليه أبو حنيفة نظرة المغضب، وقال: أرأيت لو أمرت أن أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه وكأني بك قاضياً. وروى عنه أنه لما تقلد نوح الجامع من أصحابه القضاء بمرو كتب إليه: يا نوح ورد كتابك ووقفت على ما فيه. تقلدت أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس وأنت كالغريق وأطلب لنفسك مخرجاً. وعليك بالتقوى فإنه ملاك الأمر والخلاص في المعاد والنجاة من كل بلية وبه يدرك حسن العواقب قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ووفقنا لمرضاته أنه سميع قريب.

قال الفقهاء: إذا كان للسلطان أو القاضي من العلم ما يجوز به قضاؤه لم يسعه أن يمتنع وإلا أي أن لم يكن له ذلك فهو في سعة من الإمتناع. وقال بعضهم: لا بأس بالدخول في القضاء لمن يثق بنفسه أن يؤدي فرضه و يكره الدخول فيه لمن يخاف العجز عنه ولا يأمن على نفسه الحيف فيه. وكره بعضهم الدخول في القضاء وفسر الكراهية هنا بعدم الجواز. والصحيح من بين الأقوال

أن الدخول فيه رخصة والترك عزيمة إلا إذا كان هو الأهل للقضاء دون غيره. فحينئذ يفترض عليه التقلد صيانة لحقوق العباد. وإخلاء للعالم عن الفساد. فإذا لم يكن له بد من القضاء فعليه أن يقضي بين الناس بالحق والإنصاف و يعين المظلوم ولا يأخذ الرشوة والهدية لا هو ولا من يتبعه من أعوانه. وقيل: يجوز قبول الهدية من ذي رحم محرم إذا لم يكن له خصومة لأنه صلة الرحم وإذا كان له خصومة لا يقبل هديته لأنه لأجل القضاء فيتحاباه. ويجوز قبولها ممن جرت عادته قبل القضاء بمهاداته لأنه ليس للقضاء بل جرى العادة. ولا يقبل الزيادة عن المعتاد لأنه يصير آكلاً بقضائه إلا أن الأحوط عدم القبول بالكلية لئلا تستدرجه النفس إلى الزيادة. ولا يخاف السلطان و يقول الحق بين يديه وإن كان مراً ولا يتكلم بهواه في غير الحق و يقضي بينه و بين خصمه بالقسط و يكون السلطان والرعايا والأغنياء والفقراء عنده سواء في الحكم بينهم. ولا يميل إلى أحد منهم و يتفحص عن نوابه وأعوانه كيلا يظلمون الناس و يقعد ظاهراً كي يصل إليه الغريب والفقير والخامل والعاجز بلا كلفة ومشقة. و يكون مستمعاً لكلام الوضيع والشريف مجيباً لهم باللين والإنصاف غير مائل في الحكم إلى صنف دون صنف ولا يتواضع لأحد لغناه ولا لذي جاه لجاهه بل يكون تواضعه لأجل الله تعالى والأكرم عنده من هو الأكرم عند الله تعالى. و يكون محباً لأهل الخير ومحرضاً لهم على خيراتهم ومبغضاً لأرباب الشرور ناهياً لهم عن سوء فعالهم و يدلهم على الخيرات ويهديهم إلى سبيل الرشاد. و يكون صادقاً في كلامه معهم مستقيماً في معاملته معهم وعادلاً في أحكامه بينهم وناصحاً وداعياً لهم وإلى الطاعة يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر.

و ينبغي: أن يكون القاضي وكذا الأمير محكمي الرأي صحيحي العزم وكارهين لعملها وشديدين في غير عنف ولينين في غير ضعف جوادين عن غير سرف بخيلين من غير كف.

و ينبغي: أن يكون القاضي سائس الولاية بالعلم ومؤيدها بالحلم ومزينها بالورع. و يكون حسن السريرة ومرضي السيرة. و يبسط يديه لهم بالمعروف و يوفر عليهم أموالهم و ينصف الضعيف من القوي. و يعدل بينهم و يكون تقي

القلب كريم الخلق. فإن التقى والكرم ركنان بهما صلاح الرعية و يكون ناصحاً رحيماً بهم مشفقاً عليهم لا يحتجب عن ذوي الخلات والفاقات ليلاً ونهاراً. و يكون دائم الإهتمام بأمن العامة في النوم واليقظة، في السفر والحضر. و يعدل بين الخصمين في لحظة وإشارته ومقعده وفي كلامه و يستعمل معهم الحلم و يكثر عنهم العفو والتجاوز ولا يعجل في تعذيب الجاني و يطلب له عن الجناية مخرجاً و يدرأ الحد عن الجاني بشبهته و يطلب مدفعاً فإن خطأه في العفو خير من خطئه في العقوبة. ولا يقضي بين خصمين إلا وهو ريان وشبعان راض غير غضبان.

والأولى للقاضي أن يعين رزقه من بيت المال، لأنه مشتغل بحاجة المسلمين. وقيل: يأخذ قدر ما ينكح زوجة و يشتري به دابة وخادماً ومسكناً فإن أصاب أكثر من ذلك فهو غال وسارق. وجوزوا أن يأخذ الأجر على كتب السجلات بنفسه بقدر ما أخذ به غيره لأن ذلك ليس بواجب عليه.

وقيل: قاض يأخذ الأجر فإنه لا يكون عاملاً بأجر لكنه يعمل لله تعالى. وله أن يستوفي حظه من مال الله تعالى. وكذلك العلماء والفقهاء وأرباب الافتاء يعملون لله تعالى ولهم أن يأخذوا حظهم من بيت المال، وكذلك معلم القرآن للناس. و يقول حين يجلس للقضاء: اللهم أني أسألك أن أفتي بعلم وأقضي بحلم وأسألك العدل في الغضب والرضاء. ولا يقضي لأحد الخصمين حتى يسمع كلام الآخر و يفهمه على وجهه ليعرف وجه القضاء.

وأما آداب التذكير: فاعلم أن السلف كانوا لا ينتصبون للموعظة والتعليم وكانوا يعدون السكوت والإستماع أفضل من الكلام. والخمول أشرف من النباهة. وكانوا يودون أن صاحبه كفاه الحديث والجواب وان لم يكن له بد من ذلك فلا بد أن يدعو الناس من خمس إلى خمس؛ من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة.

و ينبغي: أن لا يخالف قوله فعله بل يأمر بما هو أول عامل به كما قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و ينبغي: أن يزين حديث النبي صلى الله عليه وسلم بأحسنه، أي يردّه إلى أحسن التأويل ويحمله على أسدّ الوجوه. ولا يحدث عمن لا يقبل شهادته فإن من روى حديثاً يرتاب في صحته فهو أحد الكاذبين. ولا يحدث إلا ما يشهد على صحته أصول الدين و يصدقه وأيضاً يوافقه مشاهير الأخبار والآثار ومما يعرف به صحة الحديث أن يعرفه قلوب أهل البصائر و يوافق ذوقهم ولن يرزق هذا الذوق إلا لأهل الخصوص من الأصفياء الأتقياء. ويجتنب القصص: وهو حكايات الأولين من غير ثقة بثبوتها ولا اعتبار ولا اتعاظ بها. فذكر هذه القصص بدعة حدثت أيام الفتنة. و يفتح بالحمد والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم، والتسمية والإستعاذة. ويجتنب اللحن والغلط والتصحيف. ويختار أفضل اللغات: وهي العربية التي هي كلام أهل الجنة. ويجتنب الرطانة ـ والفارسية إلا عند الضرورة فإنها لغة أهل النار. ويخفض صوته، فإن أنكر الأصوات أرفعها إلا بقدر الضرورة. و يتكلم بفصيح الكلام دون مبهمه. ويجتنب التفهيق والتشدق والتعمق فيه و يرتل الكلام ترتيلاً و يسرده سرداً، فقد كان كلام نبينا صلى الله عليه وسلم، فصلاً يفهمه كل من سمعه، ولو عده لاحصاه. و يفهم السامع. فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم: سلم ثلاثاً، وإذا تكلم: تكلم ثلاثاً. و يتجود في كلامه تجودا لا يتكلف النظم والسجع. فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى ذلك، وقال: «أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف». وقال: «إياكم وسجع كسجع الكهان». و يكثر في كلامه الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الإستغفار، ومن كلمة التوحيد لا سيما إذا كان الحديث الذي يريده. فإنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فربما يتذكر أو يكون ذلك عوضاً عن حديثه. فإذا أراد أن لا ينسى حديثاً فليقل: الحمد لله مذكر الخير.

و ينبغي: أن يذكر من كتاب يعتمد عليه مثل: (أحياء العلوم)، للغزالي؛ و (رياض الصالحين) و (الأذكار) كلاهما للنووي؛ و (سلاح المؤمن في الأدعية) لأبن الإمام و (شفاء الاسقام في زيارة خير الأنام) للسبكي. وكتب ابن الجوزي في المواعظ لا بأس بها.

و ينبغي: أن لا يأخذ على وعظه أجراً من الناس بل ان كان لا بد له من الرزق فليأخذ من بيت المال. وقد عرفت مقدار حقه من بيت المال.

الوظيفة العاشرة: آداب العلماء في المطعم والملبس.

ومن آدابهم: أن لا يترفه العالم في المطعم والملبس، ولا يتجمل في الأثاث والمسكن. بل يؤثر الإقتصاد في جميع ذلك. و يتشبه بالسلف الصالح. وكلما ازداد إلى جانب القلة ميله ازداد قربه من الله سبحانه وارتفع حزبه في علماء الآخرة. والتحقيق أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة قد تتوقف على أسباب محظورة من مراعاة الخلق والسلطان ومراءاتهم ومداهنتهم وأمثال ذلك. فالحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة. وتفصيل حال المال: هو أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن حبها رأس كل خطيئة فكم من غني سعيد لا يحبها. وكم من فقير شقي يحبها. ففيها الخير النافع والسم الناقع. وتلك كالحية ترياق لمن عرفها وسم لمن جهلها. ففي تمييز النافع من الضار خمسة أحوال:

(الأول): معرفة رتبة المال.

وأعلم أن المقتنيات المرغوب فيها، أما مخدوم على الإطلاق: كالعلم الذي هو كمال النفس. أو مخدوم من جهة وخادم من جهة أخرى: كالأحوال البدنية من المطاعم والملابس والمناكح. فإنها تخدم العلم ويخدمها المال الذي هو حال البدن الخادم للنفس أو خادم على الإطلاق كالدراهم والدنانير. فمن أنزل كل واحد من هذه الأمور في مرتبته التي تليق به، صار داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿ وَيُمدِدْكُم بأموال وبنينَ ﴾ (١). وقوله صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». ومن عكس الأمر وجعل الدراهم والدنانير مخدوماً وصار معتكفاً بكنه همته على تحصيله واقتنائه وألقى شراشره على حبه، دخل تحت قوله تعالى: ﴿ واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكُم فتنة ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ لا

---

(١) سورة نوح، آية: ١٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٨.

تُلْهِكُم أموالُكم ولا أولادكُم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ (١). وقال الخليل صلوات الله عليه وسلامه: ﴿ واجْنُبني وبَني أن نعبد الأصنامَ ﴾ (٢). أي هذين الحجرين: الذهب والفضة. إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى فيها أن يعتقد الإلهية في شيء من الحجارة. وقال عليه الصلاة والسلام: «تعس عبد الدرهم. تعس عبد الدينار ولا انتعش وإذا شيك فلا انتعش». فعليك أن تطلب الدرهم والدينار لأجل تقوية البدن بالمطاعم والملابس وبقاء النسل بالمناكح. وتطلب تقوية البدن لأجل كسب العلوم والمعارف الذي هو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى وإلا فتصير كمن سافر مع جماعة في سفينة متوجهين إلى أشرف بلد لينال أعلى رتبة فخرجوا منها لتجديد الطهارة إلى جزيرة ذات أسود وأساود وحذروه منها فرأوا حجراً مز برجاً وزهراً منوراً فاشتغلوا به عن رفقائهم حتى جن عليهم الليل فثارت عليهم الأسود تفترسهم وهجمت عليهم الأساود تنهشهم فيقول واحد منهم: يا ليتني كنت تراباً. والآخر ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه. والآخر يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. ولهذا قال علي رضي الله عنه: يا حمراء عزي غيري و يا بيضاء عزي غيري.

و (الثاني): مراعاة جهة الدخل.

وهو اما بالإكتساب أو بالبخت، كالميراث أو وجود دفينة أو عطية غير مترقبة. وأمر البخت لكونه غير اختياري لا يحتاج إلى البيان. وأما الكسب: فينبغي أن يأخذه من الوجه المشروع. فإن وجد حلالاً طيباً فبها وإلا فإن كان حراماً محضاً فليجتنبه. كذا وإن كان مشتبهاً والحرام غالب وإن كان الحلال غالباً أو تساويا فإن قدر على الحلال الطيب فليتركه فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه وان لم يقدر يأخذ منه قدر الحاجة وان قدر على الحلال لكن بالتعب واستغراق الوقت فعلى العامل العامي أن يختار التعب لأن تعبه في طلب الحلال عبادة. وإن كان من أصحاب القلوب. فإن كان ما فاته من العلم

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٥.

والحال أكثر من الثواب الحاصل في طلب الحلال فله أن يختار الحلال الغير الطيب كمن غص بلقمة يسيغه بالخمر وكآكل لحم الخنزير عند المخمصة لكن يخفيه من الجاهل مهما أمكن و يتلطف فيه كيلا يحرك سلاسل الشيطان لأن تناول العالم ما زجر عنه الجاهل يثور شغبهم ومن هذا القبيل: ما اعتاده المتصوفة من الذكر على وجه الدوران حيث يقولون أنه حرام لكنه قد يؤثر في تخلية القلب عن الشواغل الدنيوية ما لا يمكن تحصيله بغيره من المجاهدات في أضعاف ذلك الزمان. وهذا الكلام إن صدق فيؤول إلى ما قاله صدر الشريعة في كتاب (تعديل العلوم في مقامات العارفين) في بيان أن العشق المجازي قنطرة الحقيقة لأن أكثر ما زاولوه من المجاهدات لتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية. ولا يخفى أن العشق يخلي القلب عما سوى محبوبه المجازي. ثم نقل محبته إلى المطلوب الحقيقي يكون أيسر لأن قطع العلائق الكثيرة أصعب من قطع علاقة واحدة. ثم قال ولا يبالي بحرمة هذا العشق لأن قاطع العوائق لا يبالي بحرمته. ثم أورد نظيراً له من الشرع حيث قال: الدم اليابس إذا لم يوجد ماء حار وعسر إزالة أثره من الثوب يغسل بالبول ثم إزالة البول بالماء البارد يكون أيسر. هذا كلام وقع في البين ولنرجع إلى ما كنا فيه.

واعلم: أن طلب الكفاف من الحلال الطيب تعففاً لا تكثراً فرض، وطلب ذلك بالكسب المشروع سنة. وإن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه. وكان الأنبياء عليهم السلام يحترفون و يكتسبون. و يباكر في طلب الرزق. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «باكروا في طلب الرزق فإن في الغدو بركة ونجاحاً». و ينوي بالإكتساب التعفف عن السؤال والإستغناء عن الخلق ولكن لا يقبل الكسب إقبالاً يشغله عن ذكر الله تعالى العلم والعمل للآخرة.

وأفضل المكاسب: الجهاد في سبيل الله. إعلاء لكلمته. ثم يليها في الفضل التجارة بشرط الأمانة والصدق والنصيحة. وليعتمد على الله تعالى متوقعاً منه الرزق والفضل وإذا رزق من شيء فليلزمه. فإن اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يرزق منه فليتركه. هذا كله حال المتوسطين. وأما الكاملون من أهل التوكل فلهم في أمر الرزق أطوار وأحوال ذكرناها في (رسالة الشفاء).

(الثالث): في المقدار المأخوذ منه وقدر الحاجة.

وأنواع المال أربعة: المسكن، والمطعم، والملبس، والمنكح. وكل منها أما أدنى، أو أوسط، أو أعلى.

أما المسكن. فأدناه: ما يقلك من الأرض و يقيك من السباع وأمثالها وما يظلك من الفوق من المطر والحر رباطاً أو مسجداً وأمثالها. وأوسطه: ملك يخصك على حد الكفاية كما وكيفا وتخلو فيه إلى آخر عمرك. وأعلاه: دار واسعة مزينة كثيرة المرافق على ما هو عادة المترفهين من أهل الدنيا. والأول ما يقنع به المتوكلون والسالكون لطريق الآخرة. والأوسط حد الكفاية يخل بالتوكل ولا يخل بالشرع. والأعلى مخل بالورع ومباح في الشرع ان أدى على الإقبال بالدنيا والإبتهاج بزخارفها وإلا فباح في الورع أيضاً لكنه حرام عند المتورعين. إذ الدنيا وزخارفها حرام على أهل الآخرة.

وأما المطعم. فهو أصل عظيم إذ المعدة مفتاح للخيرات والشرور. وله ثلاث درجات أيضاً. أدناها: القوت. وهو ما يسد الرمق و يبقى معه البدن و يقوى على العبادة. وقدر القوت على قدر رياضة السالكين منهم من يأكل في عشرة أيام. ومنهم من يأكل في عشرين إلى أربعين. وقد انتهى بعضهم إلى قدر حمصة كل يوم. وهذه رتبة قلما يصل إليها أحد. وأوسطها: ثلث البطن. وهو الذي حد له الشرع. وما زاد عليه فبطنه مذمومة. وكما ينبغي أن يقتصر على الوسط من قدره فكذلك ينبغي أن يقتصر على الوسط من نوعه. وأعلاها كما: ادخار القوت. وكيفا التلذذ بالأطعمة الشهية. والإدخار مذموم مطلقاً. وأدناها الإدخار لغد وأوسطها الإدخار لسنة. وأعلاها الإدخار لما يجاوز السنة. وإن كان لا بد من الإدخار فليوم بل لساعة فقط. وأما الإدخار لسنة فجائز شرعاً لكنه يخل بالتوكل للمبتدئين. وأما الكاملون: فلا يتفاوت عندهم الحال فلا يمكن حصر أحوالهم. وأما الإدخار لما فوق السنة فصاحبه من المطرودين الذي «يحسب أن ماله أخلده».

وأما الملبس. فأدناها كماً: ما يستر العورة ليمكن له العبادة، وكيفاً أرذل الأنواع وأخشنها. وأوسطه: ما يليق بحاله من غير حرام ومن غير ترفه وتزين.

وأعلاه: جمع ثوب الشهرة كماً واختيار الأزين والألين كيفاً على ما عليه أبناء الدنيا والمقبلين على مزخرفاتها.

وأما المنكح: فاللائق بالسالكين إلى طريق الآخرة التجرد والصبر على مضض العزوبة لئلا يفضي إلى الحرمان عن المطلب الأعلى. قال أبو حنيفة رضي الله عنه في وصاياه لأبي يوسف رحمه الله: وأطلب العلم أولاً ثم أجمع المال من الحلال ثم تزوج فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم. إنما دعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم فإنه يضيع وقتك. ويجمع عليك الولد و يكثر عيالك. فتحتاج إلى القيام بحوائجهم فتحرم العلم. فاشتغل بالعلم في عنفوان عمرك ووقت فراغ قلبك وخاطرك. ثم تجمع المال من الحلال. هذا كلامه.

ثم إن اللائق بالعوام العاملين و بأهل العرفان الكاملين التأهل و يفترض في العوام ان تاقت نفسه وإلا فيسن. وفي الكاملين مسنون لا غير. إذ ليس في أنفسهم التوقان إلى الأمور الدنيوية من حيث أنها شاغلة عن المطلب. وإنما يميلون إليها إقامة للسنة الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم: «حبب لي من دنياكم ثلاث. النساء. والطيب. وقرة عيني في الصلاة» وتكثيراً لسواد الإسلام وإبقاء لنسل الأنام و بالجملة: الصبر عن الدنيا ممدوح مهما أمكن. كما قال صلى الله عليه وسلم: «من صبح آمناً في سره معافى في بدنه، وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

(الرابع) أحوال الخرج والانفاق.

فالمحمود منه: الصدقة المفروضة. والإنفاق على العيال. ويحصل بهذين العدالة. ومنه ما يكسب به الحرية والفضيلة وهو إيثار الغير على النفس على الوجه المندوب إليه شرعاً. والمذموم: أما إفراط وهو الإخلال بالأهم وصرفه إلى ما دونه وتفريطه المنع عن الواجبات بالكلية أو النقص من قدر الواجب.

ثم إن الناس اختلفوا في أن أخذ المال الحلال وإنفاقه على الوجه المشروع أولى أم تركه رأساً ولا شك أن الإقبال على الدنيا بالكلية مذموم وإن أخذ من الحلال ووضعه في موضعه. فالتارك بالكلية المقبل على الدنيا أفضل منه بلا

شبهة وأما المقبلون على الآخرة والصارفون للدنيا في محله فهم الأفضلون لكونهم قوام أسباب الدنيا والآخرة ومنهم عامة الأنبياء المبعوثين لإقامة مصالح العباد. في المعاش والمعاد. فإن قلت. قد قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾(١) فأعلم: أن مراعاة مصالح العباد من جملة العبادات بل من أفضلها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». إلا أن من شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين. ومن شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين. ومن جمع بينهما فهو من المخاطرين.

ولا يخفى أن الفائز أحسن من الهالك. وأما النظر الجليل فيقتضي فضله على المخاطر إلا أن مقتضى النظر الدقيق عكسه إذ الخطر ليس إلا لصاحب المنازل الرفيعة والرياسة التامة إذ خطر الخلافة الإلهية في أمر عباده بيّن ولا يرشح لها إلا الأفراد. قال الله تعالى: ﴿وابْتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسِن كما أحسَنَ الله إليك ولا تَبْغِ الفسادَ في الأرضِ﴾(٢).

ثم إن الناس على مراتب: أما ضعيف الهمة، ينخدع بمزخرفات الدنيا وزينتها فعليه اختيار طريق الفائزين والتحرز عن ورطة الهالكين. وأما قوي الهمة، جسور لا يخدعه النفس والشيطان وله همة علية يريد معالي الأمور فعليه أن يجتهد رتبة المخاطرين و يتحرز عن أن ينخدع من حيث لا يدري.

(الخامس): أن يكون نيته صالحة في الأخذ والإنفاق.

أما الأخذ فان ينوي فيه أن يستعين به على العبادة و يأكل ليتقوى به على العبادة وكذا في الترك زهداً واستحقاراً لا عجزاً واضطراراً. قال صلى الله عليه وسلم: «من طلب رزقه على ما سن فهو جهاد». وقال صلى الله عليه وسلم لأ بن مسعود: «ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى اللقمة يضعها في في امرأته». وأراد بالمؤمن من يقصد في كل الأمور وجه الله تعالى والإستعانة بالدنيا على

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

سلوك طريقة الآخرة ومن هنا تبين أن: الزاهد من ليس مشغولاً بالمال وإن كان له أموال العالمين. كما قال علي رضي الله عنه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد. وإذا تأملت ملك سليمان ورتبة النبوة تحققت أن الزهد زهد النفس لا خلو اليد. فأعلم: أن الإنسان مسافر وله ثلاثة منازل: بطن أمه، وفضاء العالم، والبرزخ والدنيا رباط ينتهي إليه الإنسان في المنزل الأوسط والمال أواني وأقوات يأخذها بشكر و يأخذها بإنشراح. ومن ظن أنه وهب له وتفجع إذا فارقه واسترجع فهو من الحمقاء.

المقدمة الرابعة

في بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية

اعلم: أن الكل متفقون على أن السعادة الأ بدية والسيادة السرمدية لا تتم إلا بالعلم والعمل. وأنهما توأمان. وله توجيهان:

(أحدهما): الشائع المشهور وهو أنه لا يعتد بواحد منهما بدون الآخر إذ العلم بدون العمل وبال. والعمل بلا علم ضلال. وقال الله تعالى: ﴿ إليه يَصْعَدُ الكلمُ الطيبُ والعَملُ الصالح يَرفعه ﴾(1).

(وثانيهما): أن كلا منهما ثمرة للآخرة. مثلاً إذا تمهر الرجل في اكتساب العلم وحذق فيه لا مندوحة له عن العمل بموجبه. إذ لو قصر في العمل لم يكن في علمه كمال. وأيضاً إذا باشر الرجل العمل وجاهد فيه وارتاض حسبما بينوه من الشرائط ينصب على قلبه العلوم النظرية بكمالها. كما قال الله تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾(2).

وهاتان طريقتان. والأ ولى منهما طريقة الإستدلال. والثانية طريقة المشاهدة والأ ولى درجة العلماء الراسخين. والثانية درجة الصديقين. وقد تنتهي كل من الطريقتين إلى الأخرى فيكون صاحبه مجمعاً للبحرين أي يجري الإستدلال والمشاهدة أو العلم والعرفان أو الشهادة والغيب.

وإذا عرفت أن السالكين إلى الحق مع كثرة الطرق وخروجها عن حد الإحصاء نوعان:

---

(1) سورة فاطر، آية: 10.

(2) سورة العنكبوت، آية 69.

(أحدهما) ما يبتدىءمن طريق العلم إلى العرفان ومن طريق الشهادة إلى الغيب.

(وثانيهما) ما يتجلى الحق له بالجذبة الإلهية. فيبتدىء من الغيب ثم ينكشف له عالم الشهادة. قال بعض العارفين: يشبه أن يكون الأول طريقة الخليل. حيث ابتدأ من الإستدلال بأفول الشمس والقمر إلى وجود رب العالمين. والثاني طريقة الحبيب حيث ابتدأ بشرح الصدور وكشف له سبحات (وجه) ذي الجلال وأحرقته حتى انمحق جميع ما أدركه وتلاشى في ذاته ولم يبق له الخطة إلى نفسه لفنائه عن نفسه فتحقق رتبة كل شيء هالك إلا وجهه ذوقاً وحالاً لا علماً وقالا. هذا حال الجامعين بين المرتبتين. وأما السالكون إلى احدى الطريقتين فقد اختلفوا.

وقال أرباب النظر: الأفضل طريق النظر لأن طريق التصفية صعب الوصول لأن مسلكها وعر وافضاؤها الى المقصد بعيد. لأن محو العلائق إلى حد يؤدي إلى انكشاف المعارف متعذر بل قريب من الممتنع وان أفضى إلى المقصد فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يمحو ما حصل. و يقطع ما وصل. على أنه قد يفسد المزاج ويختلط العقل في أثناء تلك المجاهدات الصعبة. والرياضات الشاقة.

وقال أرباب التصفية: العلوم الحاصلة بالنظر لا تصفو في الأكثر عن شوب أحكام الوهم ولا تخلص عن مخالطة الخيال في الغالب. ولهذا كثيراً ما يقيسون الغائب على الشاهد فيضلون و يضلون كما تراه في أكثر مذاهب الإعتزال. وغير ذلك من اعتقادات الجهال من أصحاب الضلال. وأيضاً لا يتخلصون في مناظراتهم ومباحثاتهم عن اتباع الأهواء والعادات بخلاف التصوف. فإن ذلك تصفية للروح وجلاء للنفوس وتطهير للقلوب عن أحكام النفس وتخليتها عن الأوهام والخيالات فلا يبقى إلا الإنتظار للفيض من العلوم الإلهية الحقة فينكشف عليهم علوم إلهية. ومعارف ربانية. و يرد عليهم وارد إلهام هو حديث عهد بربه. وأما وعورة المسلك و بعده فلا يقدح في قوة اليقين وصحة العلم مع أنه يسير على من يسره الله تعالى من السالكين سبل أنبيائه. والمتبعين لكل

أوليائه. وأما اختلال المزاج فإن وقع فيقبل العلاج لأنهم كما أنهم أطباء النفوس والأرواح. كذلك عارفون أحوال الأبدان والأشباح. فالرياضة على ما شرطوه من الآداب والأحوال. أمان من الفساد والاختلال. وخلاص من الأفزاع والأهوال.

يحكى: أن أهل الصين والروم في زمان قديم تباهوا في صناعة النقش والترسيم وطال بينهم النزاع والجدال ودار بينهم الكلام في النقص والكمال. حتى أدى الإفتخار في هذا الشأن، إلى الإختبار والإمتحان. فعين لكل من الطائفتين جدار بينها حجاب ليتميز الكامل من الناقص في هذا الباب. فجمع أهل الصين من الأصباغ العجيبة والألوان الغريبة. وتكلفوا الصنايع النادرة والرسوم الباهرة حتى استفرغوا الجهود، في تحصيل المقصود. واشتغل أهل الروم عن الترسيم بالتصقيل وعرفوا أن ترك التحلية إلى التجلية هو التكميل. فلما كشف الغطاء وارتفع الحجاب لمعرفة الحال بين الأصحاب رأوا أن جانب أهل الروم تلألأ بجميع نقوش أهل الصين مع زيادة الصفاء، ولطافة الصقالة والجلاء. فهذا مثال العلوم النظرية والكشفية. والأول: يحصل من طريق الحواس بالكد والعفاء. والثاني: يحصل من اللوح المحفوظ والملأ الأعلى.

إذا عرفت هذا. فأعلم: أن المحاكمة بين هذين الفريقين وتعيين الأفضل من الطريقين. هي أن العلوم مع تكثر فنونها وتعدد شجونها منحصرة في أربعة أنواع. وذلك لأن للأشياء وجوداً في أربع مراتب: في الأعيان، وفي الأذهان، وفي العبارة، وفي الكتابة. فالعلوم المتعلقة في الأول من حيث حالها في نفس الأمر هي العلوم الحقيقية التي لا تتبدل بإختلاف الأزمان، وتجدد الملل والأديان. وهذه تسمى علوماً حكمية؛ ان جرى الباحث عن أحوالها فيها على مقتضى عقله، وعلوماً شرعية: ان بحث عنها فيها على قانون الإسلام. والعلوم المتعلقة بالثانية هي العلوم الآلية المعنوية: كالمنطق ونحوه. والعلوم المتعلقة بالأخيرين هي العلوم الآلية: اللفظية والخطية. وهذه هي العلوم العربية المعتبرة في ديننا، هذا لورود شريعتنا هذه على لسان العرب وعلى كتابته. ثم ان

الثلاثة الأخيرة من هذه الأنواع لا سبيل إلى تحصيلها إلا الكسب بالنظر. وأما النوع الأول منها فقد يتحصل بالنظر وقد يتحصل بالتصفية.

ثم أن أشخاص الإنسان أربعة أصناف:

(صنف منهم): **الشيوخ:** وهم الذين تجاوزت أسنانهم الستين. فاللائق بشأنهم طريق التصفية والرياضة والإنتظار لما منحه الله تعالى من العلوم والمعارف على قدر مساعدة استعداده الفطري. إذ الوقت لا يساعده في حقهم تقديم طريق النظر.

و (صنف منهم): **الشبان الأغنياء:** فحكمهم حكم الشيوخ. لكن بحكم الإضطرار الطبيعي لا الإضطرار الزماني.

و (صنف منهم): **الشبان الأذكياء:** القابلون للعلوم المستعدة لفهم الحقائق طباعهم، ولدرك الدقائق أنفسهم. فلا يخلو أما أن لا يساعدهم التقدير في وجود عالم ماهر في العلوم النظرية المرتفع عن رتبة التقليد في مصرهم أو عصرهم. فعليه ما على صنف الشيوخ بحكم الإضطرار الزماني. وأما أن يساعدهم التقدير في وجود عالم موصوف بما ذكر مع أنه أعز من الكبريت الأحمر. بل لا يكاد يوجد إلا في الأقل الأندر. فعليه تقديم طريقة النظر وأن يحصل من العلوم النظرية قدراً يساعده استعدادهم ووقتهم ثم الإقبال بإلقاء شراشر النفس والفؤاد. وصرف مجامع القوى مع الأحشاء والأكباد إلى قرع باب الملكوت والولوج إلى حظيرة الجبروت ليكون فائزاً بالطريقتين وجامعاً بين الرياستين. وحائزاً لغنيمة باردة لا تفنى أبداً. ونعمة باقية لا تحصى عدداً يسّر الله لنا ولكم الجمع بين العلم والعمل. فإن ذلك منتهى السؤال والأمل و يرزقنا حسن العفو والعاقبة. تالياً لنعمتي السلامة والعافية. وهو حسبي ونعم الوكيل. والهادي إلى سواء السبيل. أنه مجيب قريب عليه توكلت وإليه أنيب.

الطرف الأول من الرسالة

في الارشاد الى كيفية تحصيل طريق النظر

ولما انحصر كسب السعادة في طريقين. رتبت الرسالة على طرفين:

الطرف الأول من الرسالة
في الارشاد إلى كيفية تحصيل طريق النظر

واعلم: أن تحصيل العلوم لما لم يمكن إلا بتصورها اسماً ورسماً وموضوعاً ونفعاً. أحببنا أن نبين في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كل علم، أصلاً وفرعاً، ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ليكون عوناً في تحصيل العلوم وترغيباً في طلبها وإرشاداً الى طرق تحصيلها. أما ذكر المصنفات: فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها. والتفاوت بين تلك الكتب. وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده منها وتحذيره مما يخاف من الاغترار. وأما ذكر مؤلفيها:

فمنها: معرفة مناقبهم وأحوالهم، فتتأدب بآدابهم وتقتبس المحاسن من آثارهم.

ومنها: مراتبهم وأعصارهم، فينزلون منازلهم ولا يقصر بالعالي في الجلالة عن درجته ولا يرفع غيره عن مرتبته. وقد قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم (ثلاثاً)». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم».

ومنها: أنهم أئمتنا وأسلافنا. كالوالدين لنا، وأجرى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم.

ومنها: أن يكون العمل بقول أعلمهم وأورعهم إذا تعارضت أقوالهم. وغير ذلك من الفوائد. إذا عرفت هذا. فاعلم: أنه لا بد أولاً من ذكر:

---

(١) سورة يوسف، آية: ٧٦.

مقدمة

في بيان حصر العلوم في الإجمال

ثم الشروع في تفصيل كل نوع منها أصولاً وفروعاً.

مقدمة

اعلم: أن للإشياء وجوداً في أربع مراتب: في الكتابة، والعبارة، والأذهان، والأعيان. وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق، لأن الخط دال على الألفاظ. وهذه على ما في الأذهان. وهذا على ما في الأعيان. ولا يخفي أن الوجود العيني هو الوجود الحقيقي الأصيل. وفي الوجود الذهني خلاف في أنه حقيقي أو مجازي. وأما الأولان: فمجازيان قطعاً. ثم العلم المتعلق بالثلاث الأول آلي البتة. وأما العلم المتعلق بالأعيان: فأما عملي: لا يقصد به حصول نفسه بل غيره، أو نظري: يقصد به حصول نفسه فقط. ثم كل منها أما أن يبحث فيه من حيث أنه مأخوذ من الشرع فهو العلم الشرعي أو من حيث مقتضى العقل فقط فهو العلم الحكمي. فهذه هي الأصول السبعة. ولكل منها أنواع. ولأنواعها فروع يبلغ الكل على ما اجتهدنا في الفحص والتنقير عنه بحسب موضوعاته (وأساميه) وتتبع ما وقع فيه من المصنفات إلى مائة وخمسين نوعاً. ولعلي سأزيد عليه بعد هذا إن شاء الله تعالى. قيل:

لقد جاد الاله على وجودي ... بما أخفاه عن خلق كثير
من العلم الذي ما فيه ريب ... ولا شك لذي الفطن الخبير

وقال بعض الفضلاء: علم التفسير، لا يتم إلا بأربعة وعشرين علماً على ما هو المختار عند المفسرين. وعد الإمام الشافعي رضي الله عنه، في مجلس الرشيد ثلاثة وستين نوعاً من علوم القرآن. وقال بعض العلماء: العلوم المستخرجة من

القرآن ثمانون علماً دوّن فيها كتاباً. وقيل: إن العلوم الحكمية تتضمن خمسة عشر فناً إلا أن فروعها أكثر من خمسين. كما ستقف عليه. ثم قال نقلاً عن بعض العلماء: أن العلوم المدونة ثلاثمائة وستة وستون علماً. ثم قال: والمختار عندي أن عدد العلوم أكثر من أن يضبطه القلم. ونقل الامام الغزالي عن بعضهم: إن القرآن يحوي سبعاً وسبعين ألف علم ومائتي علم نقله في (الأحياء) في كتاب آداب التلاوة في الباب الرابع منه. ونقل السيوطي عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه ذكر في (قانون التأويل) أن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل علم ظهر وبطن وحد ومطلع. ونقل عن الغزالي أيضاً أن من العلم ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحد. ومنها: ما يعرفه الملائكة دون البشر. ومنها: ما يعرفه الأنبياء دون من عداهم. ومنها: ما تصورها أذهان العلماء ولم يدونوها في الكتب. ومنها: ما دونوها ثم ضاعت كتبها وانطمست آثارها وانقطعت أخبارها. والعلم عند الملك العلام.

وقيل:

عند الأله علوم ليس يعرفها ... إلا لبيب له في الوزن رجحان
لله في ذاك سر ليس يعرفه ... إلا فريد وذاك الفرد انسان

إذا عرفت هذا.

فاعلم: أنا نرتب الكلام في هذه الرسالة: على سبع دوحات. كل منها في بيان أصل من الأصول السبعة. ثم نذكر في كل دوحة شعباً لبيان الفروع.

ومن الله التوفيق لحسن الاختتام. انه ميسر كل مرام.

الدوحة الأولى

في بيان العلوم الخطية

وفيها:

مقدمة

وشعبتان

المقدمة

في فضيلة الخط و بيان الحاجة إليه وكيفية وضعه

أما فضيلته:

نقلاً ــ فقوله تعالى: ﴿اقْرأْ وربُّكَ الأكْرمُ. الذي عَلَّم بالقلمِ. علَّم الإنسانَ ما لم يعلمْ﴾(١). فأضاف تعليم الخط إلى نفسه وامتن به على عباده. وناهيك بذلك شرفاً. وقال عز وجل: ﴿نَ والقلم وما يَسْطرُونَ﴾(٢) فأقسم بما يسطرون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: أو إثارة من علم. إنه الخط. و يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام، فقال: ريح لا تبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة. وقال عبدالله بن عباس: الخط لسان اليد. وقال جعفر بن يحيى: الخط سمط الحكمة. و به يفصل شذورها. و ينتظم منثورها. وقال ابراهيم بن محمد الشيباني: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الأخوان عند الفرقة، ومحادثتهم على بعد المسافة، ومستودع السر وديوان الأمور.

وأما عقلاً: فلو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية. وأيضاً: ليس يذكر ذاكر شيئاً مما يجري به الخطر أو يميل إليه العقل أو يلقيه الفهم أو يقع عليه الوهم أو يدركه الحواس إلا والكتاب موكل به ومدبر له ومعبر عنه فلم يكتف منه أمة بأمة ولم تستغن عنه ملة دون ملة وأيضاً: ظهرت به خاصة النوع الإنساني من

---

(١) سورة العلق، الآيات: ٣، ٤، ٥.

(٢) سورة القلم، آية: ١.

القوة إلى الفعل. وامتاز به عن سائر الحيوان في حفظ العلوم في الأدوار. واستمرارها على الأكوار. وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان وحمل سر من مكان إلى مكان. وأيضاً: فإن فيه من حفظ الحقوق ومنع تمرد ذوي العقول بما يسيطر عليهم من الشهادات التي تقع في السجلات والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة ولا يناله الحاضر بمشافهة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته. ولذلك قيل: الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب. ولله در القائل في وصف القلم:

وأخرس ينطق بالمحكمات ... وجثمانه صامت أجوف
بمكة ينطق في خفية ... وبالشام منطقه يعرف

ومن فضل القلم: أنه أول المخلوقات. لما روى عن عبادة بن الصامت قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما خلق الله القلم. فقال له: أكتب. فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذا اختيار ابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وعامة العلماء. وقال ابن عباس: لما خلق الله القلم وقال له أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة. جرى على اللوح المحفوظ بذلك. وفي رواية عن ابن عباس: فسبح الله تعالى ومجده ألف عام قبل أن يكتب المقدرات. قال: وهو من زمردة خضراء، طوله ألف عام، وهو مشقوق بالنور، ولما نظر الله إليه انشق بنصفين من هيبة الله تعالى. فإن قيل: فهذا القلم: مكلف أم لا؟. فالجواب: إنه مكلف بأشياء مخصوصة. وهي الكتابة والجريان بخلاف الإنسان فإنه مكلف مطلق. فإن قيل: فقد أقسم الله به، بقوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾(١). فمن أين تسلط عليه القط؟. فالجواب: أن هذا القلم ما احتاج قط إلى قط وإنما احتيج إليه في هذا القلم ليذهب عنه الفضول والبؤس. ألا ترى أن حياة الشمعة في ضرب العنق. روى عن ابن المقنع أنه قال: الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام وبيان البنان. وقوام الأمور بشيئين: بالقلم والسيف. والقلم فوق السيف.

---

(١) سورة القلم، آية: ١.

وأنشد:

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت   له الرقاب وكلت دونه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت   أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

ولأبي تمام الطائي:

ولضربة من كاتب ببنانه   أمضى وأبلغ من دقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد   سفكوا الدما بأسنة الأقلام

قيل: وقد ناقض أبو تمام قوله: السيف أصدق أنباء من الكتب.

قلت: لا تناقض لأنه أراد بالكتب، كتب النجوم، لا مطلقاً على ما شهدت به الواقعة.

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب   ثم اعتمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا   ما لا ينال بحد المشرقيات

وأما وجه الحاجة إلى الخط:

فاعلم: أن فائدة التخاطب والمحاورات في إفادة العلوم واستفادتها لما لم تتبين للطالبين إلا بالألفاظ وأحوالها. كان ضبط أحوالها مما اعتنى بها العلماء العاملون. والفضلاء الكاملون. فاستخرجوا من أحوالها علوماً انقسم أنواعها إلى إثني عشر قسماً. وسموها بالعلوم الأدبية. لتوقف أدب النفس والدرس عليها. و بالعلوم العربية أيضاً لبحثهم عن الألفاظ العربية فقط لوقوع شريعتنا التي هي أفضل الشرائع وأعلاها وأحسنها وأولاها على أفضل اللغات وأكملها ذوقاً ووجداناً. بل يقيناً و برهاناً. وهي لغة العرب التي هي أوسط الأمم وأكرمهم وفصهم في الصياغة وأخصهم في البلاغة.

ثم أن أرباب الهمم من بين الأمم لما لم يكتفوا بالمحاورة في إشاعة هذه النعم. لاختصاصها بالحاضرين سمت همتهم السامية إلى اطلاع الغائبين. بل الذين سيولدون بعدهم على ما استنبطوه من المعارف والعلوم واتبعوا نفوسهم في

تحصيلها وتدو ينها لينتفع بها علماء الأقطار ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار. بحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وعن حركاتها وسكناتها. ونقطها وضوابطها من شداتها ومداتها، وعن تركيبها وتسطيرها، لينتقل منها الناظرون إلى الحروف والألفاظ. ومنها: إلى المعاني الحاصلة في الأذهان وإنما لم يضعوا الكتابة بإزاء ما في الأعيان بأن يضعوا للجوهر مثلاً نقشاً وللعرض نقشاً آخر لئلا يلزم عدم فهم الألفاظ من الكتابة إذ لا يلزم من الدلالة على المدلول الدلالة على دواله بخلاف ما إذا وضع بإزاء الألفاظ إذ يلزم من الدلالة على الدال الدلالة على مدلوله. وأيضاً: لم يضعوها بإزاء ما في الأذهان لاعتياد المفكرة بتخيل الألفاظ عند تصور المعاني حتى كان المفكر يناجي نفسه بألفاظ يتخيلها عند الفكر. ولعسر الإنتقال حينئذ إلى اللفظ إذ الإنتقال من المدلول إلى الدال أصعب من عكسه. ألا ترى أن إنشاء الألفاظ بإزاء ما في النفس من المعاني أشق عند النفس من فهم المعاني من الألفاظ.

وأما كيفية وضعه:

فقيل: أول من وضع الخط آدم عليه السلام. كتبه في طين وطبخه فأصاب بعد الطوفان كل قوم كتابهم وخطهم. وقيل: أخنوخ وهو إدريس عليه السلام. وقيل: هود عليه السلام. وقيل: أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة. والأصح أنها توقيفية كلها أو بعضها ولا تباين بين هذه الأقوال لجواز نزول الخط على كل منها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما. أن أول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من بولان: وهي قبيلة من قبيلة طي نزلوا مدينة الأنبار فأولهم مرار وهو وضع الصور. وثانيهم أسلم: فهو وصل وفصل. وثالثهم عامر: فوضع الأعجام. ثم نقل هذا العلم إلى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه. ونقل الجوهري عن شرقي ابن القطامي: أن أول من وضعه رجال من طي منهم مرارة بن مرة. وقيل: أول من اخترعه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم ــ أبجد ــ وهوز ــ وحطي ــ وكلمن ــ وسعفص ــ وقرشت. فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم وما شذ من أسمائهم من الحروف ألحقوها وسموها الروادف وهي:

ثخذ. وضظع و يروى أنها أسماء ملوك مدين وأن «كلمن» كان في زمن شعيب عليه السلام. ثم انتقل الخط عنهم إلى الأنبار واتصل بأهل الحيرة وفشافي العرب ثم انتشر بعد المبعث. وقيل: إن نفيساً ونصراً وتيماً ودومة بني اسماعيل وضعوا كتاباً واحداً وجعلوه سطراً واحداً موصول الحروف كلها غير متفرق ثم فرقه نبت وهميسع وقيذار وجعلوا الأشباه والنظائر.

وعن هشام عن أبيه محمد قال: أخبرني قوم من علماء مصر: أن أول من كتب الخط العربي رجل من بني النضر بن كنانة.

وفي (السيرة) لابن هشام: أن أول من كتب بالخط العربي حمير بن سبأ علمه في المقام.

قال السهيلي في (التعريف والإعلام): والأصح ما رو يناه من طريق أبي عمر بن عبد البر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قال: أول من كتب بالعربية اسماعيل عليه السلام. وقيل لابن عباس: من أين تعلمتم الهجاء والكتاب والشكل؟ قال: علمناه حرب بن أمية. فقيل من أين علمه حرب ابن أمية؟ قال: طارىء طرأ عليه من اليمن. قيل: من أين علمه ذلك الطارىء؟ قال: كانت بالوحي لهود عليه السلام.

وذكر أبو عمرو بن الداني في كتاب: التنبيه على النقط والشكل ونموه. وقيل: أول ما ظهرت باليمن من قبل أبي سفيان بن أمية عم أبي سفيان بن حرب. وأتته من قبل رجل من أهل الحيرة. قال أهل الحيرة: أخذناها من أهل الأنبار. وتعلم من أبي سفيان بن حرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش. وتعلمه معاو ية بن أبي سفيان من عمه سفيان. وأما الأوس والخزرج تعلموه من يهودي، فجاء الإسلام وفيهم بضعة عشر كسعد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وهم يكتبون الكتابين جميعاً العربية والعبرانية. ومنهم رافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي، وأبو عبس بن كثير، وأوس بنْ خولي و بشير بن سعد رضي الله عنهم.

واعلم: أن جميع كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب إثنتا عشرة كتابة: العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية، والهندية، والصينية.

فخمس منها اضمحلت، وذهب من يعرفها وهي: الحميرية، واليونانية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية.

وثلاث بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الإسلام وهي: الرومية، والهندية، والصينية.

وبقيت أربع هي مستعملات في بلدان الإسلام وهي: العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية.

قال صاحب (الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة): والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الأقلام، التي هي الآن. ونقل من الكوفي في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس. وأول من كتب الخط البديع المنسوب أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة، الوزير. ومات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ثم ظهر في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة صاحب الخط البديع المنسوب علي بن هلال بن البواب البغدادي. ثم ظهر الدر ياقوت ابن عبدالله الموصلي أمين الدين المكي. وتوفي سنة ثمان عشرة وستمائة، ثم ظهر أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي شهاب الدين. وتوفي سنة سبع وستين وستمائة ثم ظهر أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي مهذب الدين. وتوفي سنة سبع وستين وستمائة. ثم ظهر أبو الدر الرومي المستعصمي وهو الذي طبق الأرض شرقاً وغرباً أسمه. وسار ذكره مسير الأمطار في الأمصار. وأذعَن لصنعته الكل، واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته فضلاً عن الوصول إليها. لأنه سحراً في الكتابة سحرا لو رآه السامري لقال: إن هذا سحر حلال. وتوفي هو سنة ثمان وتسعين وستمائة. وإنما ذكرت هذه النكتة لئلا يقع الالتباس، على كثير من الناس في أصحاب الخط البديع المنسوب من برعاء الكتّاب.

الشعبة الأولى

في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية

علم أدوات الخط

من القلم: وطريق استعلام جيدها من رديها، وطريق بريها، وأحوال الفتح والنحت والشق والقط. ومن الدوات: وكيفية الاقتها، وكيفية إصلاح المواد. ومن المواد: وكيفية صنعتها، وأنواعها، وكيفية اصلاحها. ومن الكاغد: من معرفة جيدها من رديها، ومعرفة أنواعها، وطريق اصلاحها. وغير ذلك من أدوات الكتابة. ومن بديع وصف القلم: ما حكاه العتابي عن نفسه. قال: سألني الأصمعي، قال: أي الأنابيب أصلح للكتابة وعليها أصبر؟

قلت: ما نشف بالهجير ماؤه، وسترعن تلويحه غشاؤه، من التبرئة القشور الذربة الظهور، الفضية الكسور.

قال: فأي نوع من البري أكتب وأصوب؟

قلت: البرية المستوية القط، عن يمين منها برية تأمن عليها المجة عند المط. الهواء في مشقها فتيق، والريح في جوفها حريق، والمداد في خرطومها رقيق.

قال: فبقي الأصمعي شاخصاً أي ضاحكاً لا يحير مسألة ولا جواباً.

ومن المصنفات فيه:

تصنيف: علي بن هلال بن البواب البغدادي، حيث صنف: (قصيدة رائية) بليغة غاية البلاغة. واستقصى فيها أدوات الكتابة. رأيت هذه القصيدة وطالعتها وانتفعت بها. سيا قوله:

وارغب لكفك أن تخط بنانها ... خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدا ... عند التقاء كتابه المنشور

ونظير هذا قول الشاعر الآخر:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

فائدة:

اعلم: أن أبا الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي، المعروف بابن البواب لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه. وإن كان أبو علي بن مقلة، أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة، وله بذلك فضيلة السبق، وخطه أيضاً في نهاية الحسن. لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة. وقيل: إن صاحب الخط المنسوب أخوه أبو عبدالله الحسن. لكن الأصح والأشهر ما ذكرناه أولاً. والكل معترفون لأبي الحسن بالتفرد والسبق وعدم المشاركة، ولا يدعون لحوق شأوه، مع أن في الخلق من يدعي ما ليس فيه. و يقال له: ابن الستري أيضاً، لأن أباه كان بواباً والبواب يلازم ستر الباب. وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب. وهو أبو عبدالله محمد بن أسد بن علي بن سعيد القاري، الكاتب، البزاز البغدادي. (توفي) ابن البواب سنة ثلاث وعشرين أو عشر وأربعمائة ببغداد. ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه. وقيل في مرثية ابن البواب:

استشعر الكتاب فقدك سالفاً ... وقضت بصحة ذلك الأيام
ولذاك سودت الدواة كآبة ... أسفاً عليك وشقت الأقلام

ومن المصنفات في العلم المذكور:

تأليف ياقوت المستعصمي، وهو (رسالة) لطيفة في هذا الفن نافع في الغاية.

فائدة:

أبو الدر، ياقوت بن عبدالله الرومي. كان من مماليك الخليفة المستعصم. كتب الخط المنسوب البديع، واشتغل بالعلوم العربية بأسرها، وفاق في النظم

والنثر. وأكب على تعليم العلم وتعليم الكتابة. وجودة خطه غنية عن البيان، يعرفها أهل كل زمان. وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة.

وغير هذا عدة «يواقيت» بعضهم مشهور بحسن الخط أيضاً، لكنهم لم يبلغوا هذه الغاية. ويمتاز عنهم بالنسبة إلى الخليفة المستعصم وبالسن.

ومن المصنفات فيه:

الباب الواحد من كتاب (صبح الأعشى في كتابة الانشا): لأبي العباس أحمد القلقشندي ثم المصري. وهذا الكتاب سبعة أجزاء في صناعة الانشا. وكل مجلد منها مجلد ضخم، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بصناعة الانشاء إلا أورده. ولقد أكثر فيها من الاستطراد. وزعم أن المنشيء لا بد له من المعرفة بجميع ما يمكن معرفته من العلوم، والأحوال، والأخبار. فتعرض ما أمكن له التعرض له. وأورد في الباب المذكور ما يتعلق بعلم الخط، وأجاد فيه كل الإجادة. ونقل أكثره عن ياقوت المستعصمي. قال بعضهم: قوام الأمور بشيئين: بالقلم، والسيف. والقلم فوق السيف. وأنشد:

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب وكانت دنه الأمم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت ... ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال أبو تمام الطائي:

ولضربة من كاتب ببنانه ... أمضى وأبلغ من دقيق حسام
قوم اذا عزموا عداوة حاسد ... سفكوا الدما بأسنة الأقلام

وأما قول أبي تمام:

«السيف أصدق أنباء من الكتب». لا يناقض قوله هذا. لأنه أراد هناك كتب النجوم كما يعرف من سياق القصيدة. ومن سبب انشائها.

وما أحسن في هذا الباب قول البحتري:

شعر

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا ... ما لا ينال بحد المشرقيات

علم قوانين الكتابة

وهو علم يعرف منه كيفية نقش صور الحروف البسائط، وكيف يوضع القلم، ومن أي جانب يبتدأ في الكتابة. وكيف يسهل تصوير تلك الحروف.

ومن المصنفات فيه:

الباب الواحد من كتاب: (صبح الأعشى).

علم تحسين الحروف

علم يعرف منه تحسين تلك النقوش، وما يتعلق به من أدوات الكتابة، وكيفية اتخاذها. وتمييز جيدها عن رديها، وأسباب الحسن في الحروف آلة واستعمالاً وترتيباً. ومشاهير الخطاطين قد ألفوا في هذا العلم كتباً كثيرة. ولياقوت المستعصمي: (رسالة) لطيفة في هذا الفن، بين فيها طريقته الخاصة. ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة. ويختلف بحسب الألف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص شخص وغير ذلك مما يؤثر في استحسان الصور واستقباحها. ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم قوم بل شخص شخص. ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه.

علم كيفية توليد الخطوط عن أصولها

هو علم يبحث فيه عن كيفية تولد فروع الخطوط المستنبطة عن أصولها بالاختصار والزيادة، وغير ذلك من أنواع التغيرات بحسب قوم قوم وغرض غرض معلوم في فنه. وحذاق الخطاطين صنفوا فيها رسائل كثيرة سيا كتاب: (صبح الأعشى) فليطلب التفاصيل منها.

علم ترتيب حروف التهجي

وهو علم يبحث فيه عن كيفية ترتيب حروف التهجي في الكتابة بهذا الترتيب المعمول فيما بيننا، واشتراك بعضها ببعض في صورة الخط، وإزالة التباسها بالنقط. واختلاف تلك النقط بكونها تحتانية في البعض، وفوقانية في الآخر أو مثناه أو مثلثة. وغير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن، كترجيح صورة معينة من تلك الصور المشاهدة المعلومة لحرف حرف وموضوعه ومباديه وغرضه وغايته ومنفعته ظاهرة.

ولابن الجني، والخبزي: (رسالة) في هذا الباب. وكذا أورد القلقشندي ما فيه كفاية في كتاب: (صبح الأعشى).

واعلم: أنه قد تقدم أن أول من وضع النقط «مرار». والأعجام «عامر». ويفهم منه أنهما وضعا مع وضع الحرف.

وقد روى: أن أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه و إلا أن الظاهر أن ما وضعه أبو الأسود الأعجام إذ يبعد أن الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف.

وقد روى: أن الصحابة، رضي الله عنهم جردوا (المصحف) من كل شيء حتى من النقط والشكل. فإن كان المراد من التجريد منها عدم وجودهما في زمانه فلا يخالف ما روي سابقاً. وإن كان إخلاؤهم المصحف عنهما، فيخالف.

ذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج، أنه حكى أبو أحمد العسكري في كتاب (التصحيف): أن الناس مكثوا يقرأون في (مصحف عثمان) رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان. ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم، وقيل: يحيى بن يعمر، قام بذلك: فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها فعبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا

منقوطاً، فكان مع ذلك أيضاً يقع التصحيف. فأحدثوا الأعجام. فكانوا يتبعون النقط الأعجام. فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعترى التصحيف. فالتمسواحيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين.

إذا تقرر ذلك، فاعلم: أن النقط والأعجام في زماننا واجبان في المصحف. وأما في غير المصحف فعند خوف اللبس واجب البتة لأنها ما وضعا إلا لإزالته. وأما مع أمن اللبس. فإنه لم يكن هناك مكتوب إليه أصلاً فالأولى تركه لئلا يظلم الكتاب الخط من غير فائدة.

وقد حكي: أنه عرض على عبدالله بن طاهر، خط بعض الكتاب فقال: ما أحسنه، لولا أنه أكثر شونيزة. وإن كان هناك مكتوب إليه فإن كان من أهل البراعة في الخط فعليه أن لا يرتكب اتيان النقط والأعجام البتة لأنهم يعرفون الرمزة وإن خفي مكانها، و يتفطنون النكت، وإن لطف شأنها، اللهم إلا في موضع يحتاط فيه جداً. وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال: كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه. وقد يقع بالنقط ضرر، كما حكى محمد بن عمر المدائني: أن جعفر المتوكل، كتب إلى بعض عماله، أنه أحص من قبلك من المذنبين وعرفنا بمبلغ عددهم. فوقع على «الحاء» نقطة، فجمع العامل من كان في عمله منهم وخصاهم، فماتوا غير رجلين أو واحد منهم. وإن لم يكن من أهل البراعة، بل كان من المتوسطين، فيجب في موضع الاحتياط، ويخير فيما عداه. وإن كان من المبتدئين فعليه النقط، النفس أم لا، إلا في حروف لا يحتمل غيرها، فإنه يخير في نقطها. كصورة «الياء» و «النون» المفردتين وكذا «القاف» و «الفاء» «المفردتين».

ومن هذا العلم أيضاً: معرفة كيفية الشدات والمدات والهمزات والصلات وأمثالها. و بيان وجه الحاجة إليها، واختلاف الناس في وصفها.

الشعبة الثانية

فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة

علم تركيب أشكال بسائط الحروف

وهو علم يبحث فيه عن التراكيب بين أشكال بسائط الحروف مطلقاً لا من حيث دلالتها على الألفاظ، بل من حيث حسنها في السطور. فكما أن للحروف حسناً حال بساطتها، فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها: من تناسب الشكل، والنقط، والبياضات الواقعة من الحروف والكلمات والسطور.

وموضوع هذا العلم وأغراضه وغاياته ظاهرة. ومباديها: أمور استحسانية يرجع كلها أو جلها إلى رعاية النسبة الطبيعية في الأشكال. وله استمداد من الهندسيات.

واعلم: ان تشكيل الكتابة على ضربين:

الضرب الأول: حسن التشكيل في الحروف. وهي خمسة:

(التوفية): وهي أن يوفى كل حرف من الحروف حظه من النقوش والإنحناء والإنبطاح.

(والإتمام): وهي أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها من طول أو قصر أو دقة أو غلظ.

و (الإكمال): وهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب وانكباب واستلقاء.

و (الإشباع): وهو أن يؤتى كل خط حظه من صدر القلم حتى يتساوى به. فلا يكون بعض أجزائه أدق، وبعضها أغلظ إلا فيما يكون وضع الخط عليه.

و (الإرسال): وهو أن يرسل يده بالقلم بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه.

الضرب الثاني: حسن الوضع في الكلمات وهي ستة:

(الترصيف): وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف.

و (التأليف): وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.

و (التسطير): وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير منتظماً في السطر.

و (التنصيل): وهو واقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة، ومراعاة فواصل الكلام، بأن يفصل بين رسالتين في الترسل: ببياض خفيف، أو إشارة. و بين سجعين ببياض أخف منه، أو بعلامة خاصة له. لكن ينبغي أن لا يجعل البياض أو العلامة في أول السطر أصلاً، بل يجتهد حتى يجعله في آخر السطر.

و (حسن التدبير في قطع كلمة واحدة). إذ ينبغي أن يحترز عن كتب بعض كلمة في آخر سطر و بعضها في أول سطر يليه، كجعل « الباء » من « كتاب » في أول سطر يلي السطر الأول، بعد أن جعل الباقي في آخر السطر الأول.

و (فصل الكلمة التامة وصلتها). مثل أن يفصل « أيدك الله » بأن يكتب « أيدك » في آخر سطر و « اسم الله تعالى » في أول الذي يليه. وكالفصل بين المضاف والمضاف إليه. والصفة والموصوف. وكالفصل بين اسم رجل ووصفه بابن فلان، نحو زيد بن عمرو. اللهم إلا أن يثبت له البنوة كقولك لزيد: إنه ابن جار لي. وكالفصل بين كل اسمين جعلا اسماً واحداً نحو: بعلبك، وحضرموت، وتأبط شرا، وذي يزن، واحد عشر.

وباب الخط وحسن تدبيره متسع لا يسع استيفاؤه. وإن أردت التفصيل فعليك (بكتاب ابن جني) وكتاب (صبح الأعشى) سيما أحوال مد الحرف في الكلمة في السطر، فإنه يحسن في الثلاثيات، وقد يحسن فيما فوقها، وقد يقبح ولا يحسن في الثنائيات البتة.

علم إملاء الخط العربي

وهو علم يبحث فيه بحسب الأنية واللمية عن الأحوال العارضة لنقوش الحروف العربية لا من حيث حسنها في السطور، بل من حيث دلالتها على الألفاظ العربية، بحسب الآلات الصناعية؛ أعني القلم وأمثاله، بعد رعاية حال بسائط الحروف من حيث الدلالة على الحروف التي هي أجزاء الألفاظ. وهذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخط ومن حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية. وستعرف تفاصيلها إن شاء الله تعالى مع ذكر المصنفات الواقعة فيها.

علم خط المصحف

على ما اصطلح عليه الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، عند كتابة (المصحف) عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت، رضي الله عنه. و يسمى: الاصطلاح السلفي، أيضاً. وهذا العلم، وإن كان من فروع علم الخط ــ من حيث كونه باحثاً عن نوع من الخط ــ لكنا تبحث عنه في علوم تتعلق بالقرآن الكريم. ونفصله هناك إن شاء الله تعالى. وإنما تعرضنا له هاهنا تتميماً للأقسام.

علم خط العروض

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى. إذ المعتد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركاً وساكناً. فيكتبون التنوين نوناً ساكنة. ولا يراعون حذفها في الوقف، و يكتبون الحرف المدغم بحرفين ويحذفون اللام مما يدغم فيه في الحرف الذي بعده، كالرحمن، والذاهب، والضارب. و يعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء. كما في قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً   و يأتيك بالأخبار من لم تزود

فيكتبونه على هذه الصورة:

ستبدي لكالايبا مما كن تجاهلن   و يأتي كبلا خبار منلم تزودي

قال في (الكشاف): وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان، لاستقامة اللفظ و بقاء الخط. وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف.

قال عبدالله بن درستو يه في كتابه (المترجم بكتاب الكتاب المتمم): في الخط والهجاء خطان لا يقاسان، خط المصحف: لأنه سنة. وخط العروض: لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ. و يسقط عنه ما أسقطه.

وأعلم: أن خط العروض وإن كان من أنواع علم الخط، لكن لما كان من فروع علم العروض أيضاً. أخرنا تفصيله، وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك. والمسؤول من الله تعالى الوصول إلى هذا السؤال. إنه أكرم مسؤول ومعطي كل مأمول.

الدوحة الثانية

في علوم تتعلق بالألفاظ

وفيها :

مقدمة ، وعدة شعب

المقدمة

اعلم: أن من المقدمات المقررة في الطباع، والمقبولات العامة في الأصقاع، والمسلمات المستحسنة في الطباع، والكلمات التي قرع بها جميع الأسماع: أن الإنسان لما كان مدنياً بالطبع احتاج في تعيشه أعلام ما في ضميره إلى غيره، وفهمه ما في ضمير الآخرين. فاقتضت الحكمة الآلهية والرحمة الأزلية، أحداث دوال يخفف عليه أيرادها ولا يتعبه إصدارها، بل لا يحتاج في تحصيلها إلى آلات غير الآلات الطبيعية لئلا يصرف أوقاته إلا فيما يهمه و يعنيه فقاده الإلهام الآلهي، إلى استعمال الصوت العارض للنفس، الضروري للحيوان، بالآلات الذاتية الطبيعية، وتقطيعه بتوسط تلك الآلات والكيفيات العارضة للأصوات بتوسط تلك الآلات على أنحاء مختلفة وطرق شتى إلى حروف يمتاز بعضها عن بعض باعتبار مخارجها الستة عشر، وصفاتها كالجهر، والهمس، والمعتدلة، والشديدة، والرخوة، والمعتلة، والقلقة، والمستعلية، والمنخفضة، والمطبقة، والمنفتحة، إلى غير ذلك حتى يحصل من الحروف، بحسب التركيبات المتنوعة كلمات دالة بحسب الأوضاع المختلفة على المعاني الحاصلة في ضمائر المتكلمين الخفية عن الأغيار، حتى يتيسر لهم فائدة التخاطب والمحاورات من الوقوف على ما في نفوس الآخرين من المقاصد التي لا يتيسر معايشهم وضروريات أحوالهم إلا بها. ومن إفادة المعارف والعلوم التي لا يمكن الإطلاع عليها بدونها.

ثم أن تركيبات تلك الحروف. لما أمكنت على وجوه مختلفة، وأنحاء متنوعة. مع التغاير الحاصل في حروفها، من جهة المخارج والأوصاف، حصل لهم ألسنة مختلفة ولغات متباينة، بحيث لا تعد كثرة، إلا أن أفضلها وأعلاها اللغة التي خصت بها أوسط الأمم، وهم خير أمة أخرجت للناس. وخير الأمور

أوساطها. وقد نزلت عليها أشرف الكتب وأعلاها وأقومها وأدومها. أعني التنزيل، الذي شرفه الله تعالى بالبراءة من النسخ والتبديل. سيا وقد نطق بهذه اللغة أفضل الأنبياء وخاتمهم. وأشرفهم وفص خاتمهم. وهل اتصف لغة غير هذه بالبلاغة والاعجاز، و بسحر الكتابة والمجاز. وهل اختص غير هذه بفنون لوعد أشهرها لبلغت إلى أربعين، وهل تشرف ما عداها بالتحدي حتى فاق واحد على مئين. وقل لي هل ظهرت العلوم منقحة بلغة أخرى؟ أفليست هذه بالتعظيم والتبجيل أحرى! الحمدلله الذي جبلني على الحب لهذه اللغة الجليلة الشأن. والشغف بهذا اللسان الباهر البرهان.

وإذا تمهد هذا التصوير. فنقول: لما اختلفت الحروف، باعتبار اختلاف اللغات، مخارجاً وأوصافاً، احتيج في تمييز اللغات العربية الى بيان كميات حروفها وكيفياتها. بحسب المخارج. ثم أحوال تركيباتها بحسب اشتقاق بعضها عن بعض. ثم أحوال وضع الكلم للمعاني العقلية. ثم تبديل الحروف الأصول أو الزائد بعضها إلى بعض لتحصيل الخفة. ثم كيفية اعراباتها. ثم تطبيقها لمقتضى الحال وإيرادها بعبارات جلية فيجب تتبع طرقها ليختار الأوضح. ثم رعاية المحسنات ورغبة الأسماع في الإنفتاح لها. ثم معرفة أحوال الخطوط الدالة عليها. فهذه جملة أصول الفنون العربية. المسماة بالفنون الأدبية. لتوقف أدب الدرس بلا واسطة وأدب النفس بوسائط عليها. فعلى هذا علم الأدب يحترز معه عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة. ولها فروع كثيرة ستعرف تفاصيلها إن شاء الله تعالى.

إذا عرفت هذا. فاعلم: أن علم الأدب أما أن يبحث عن المفردات أو عن المركبات أو عن فروعها ففيها ثلاث شعب.

الشعبة الأولى

فيما يتعلق بالمفردات

علم مخارج الحروف

وهو معرفة تصحيح مخارج الحروف كيفية وكمية. وصفاتها العارضة لها بحسب ما يقتضيه طباع العرب. وإنما قلنا طباع العرب لشرفها، وشدة اهتمامنا بضبط علومهم.

فموضوعه: بسائط الحروف العربية بحسب مخارجها وصفاتها. ومبادئه: بعضها بديهي، وبعضها استقرائي. ويستمد من العلم الطبيعي، وعلم التشريح.

وغرضه: تحصيل ملكة إيراد تلك الحروف في المخارج، على ما هي عليه في لسان العرب.

وغايته الأولية: الاحتراز عن الخطأ في تلفظ كلام العرب، بحسب مخارج حروفه.

وغايته الأخيرة: القدرة على قراءة القرآن كما أنزل، بحسب مخارج حروفها وصفاتها.

واعلم: أن الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدد مخارجها. فحروف السريانيين والروم والفرس والصقلب والترك، من أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وعشرين حرفاً. وحروف العبرانيين واليونانيين والقبط الأول والهنود وغيرهم، من اثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين. فيوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد في العربية. كما يوجد في العربية مالا يوجد في غيرها من أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وعشرين حرفاً. كما يوجد في العربية مالا يوجد

في غيرها من اللغات. و يكثر في الاستعمال فيها مالا يكثر في غيرها. «فالحاء المهملة» و «الظاء المعجمة» مما أفردت بها العرب في لغاتها. واختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات. و «العين المهملة» قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم. وكذلك «الصاد» و «الضاد» منقوطة. وغيرها. و «الذال المعجمة» ليست في الفارسية. و «الثاء المثلثة» ليست في الرومية ولا في الفارسية. و «الفاء» في التركية. قال الشيخ أثير الدين أبو حيان، رحمه الله: ولذلك يقولون في فقيه، «بقيه» بالباء الموحدة المشربة القوية.

ومن الكتب المختصرة المصنفة علم في المخارج:

(الأرجوزة المسماة بالمقدمة): للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري، رحمة الله عليه. وعليها (شرح): لولد المصنف، رحمه الله. وكتبت عليها (شرحاً) جامعاً للفوائد خالياً عن الزوائد في زمن الشباب. وانتفع بذلك جماعة من الأصحاب.

ومعظم المصنفات في هذا الفن مأخوذ من: (قصيدة الإمام الشاطبي). قدس الله روحه في علم القراءة. حيث أدرج في ذيلها علم المخارج على وجه الإتقان. وتفاصيلها في (شروحها) وسنذكر شروحها عند التعرض لعلم القراءة. إن شاء الله تعالى.

علم اللغة

وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات، بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر جوهر. وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي. وعن معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي.

وموضوعه: جواهر المفردات وهيئاتها. من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية. والوقوف على ما يفهم من كلام العرب.

ومنفعته: الإحاطة بهذه المعلومات. وطلاقة العبارة وجزالتها والتمكن من التفنن في الكلام. وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة.

واعلم: أن من أرباب اللغة من استغرق أفكاره التقعر في الألفاظ. وملأ خاطره ملازمة حوشي اللغة بحيث خاطب من لا يفهمه. ولا يخفى أن الفصاحة فن مطلوب. واستعمال غريب اللغة عزيز حسن، ولكن مع أهله ومع من يفهمه.

حكي: أن أبا عمرو بن العلاء قصده طالب ليقرأ عليه، فصادفه بكلاء البصرة. وهو مع العامة يتكلم بكلامهم. لا يفرق بينه و بينهم فنقص من عينه. ثم لما دخل الجامع أخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان، فعظم في عينه. وعلم أنه كلم كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ. وهذا هو الصواب. ومن ادعى معرفة اللغة وتكلم مع كل أحد، بالعالي والغريب من اللغة، فهو ناقص العقل. إلا أن بعضاً من العلماء يصير بملازمة اللغة، بحيث يختلط بلحمهم ودمهم. و يسبق لسانهم إلى الغريب، وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه. كما يحكى: أن عيسى بن عمر النحوي سقط عن حماره، وغشي عليه. فلما أفاق وأخذ في الاستواء للجلوس، قال: مالكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني، معنى تكأكأتم: تجمعتم. افرنقعوا: تنحوا بلغة أهل اليمن.

وحكي: أن يوسف بن عمر لما ولى العراق، أخذ عيسى بن عمر النحوي يطالبه بوديعة أودعه ابن هبيرة الوزير إياها. فأمر بضربه. فقال والسياط تأخذه:

إن كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضها يمشاروك. وله من هذا النمط شيء كثير.

ويحكى: أن علي بن الهيثم مر به فارسي، قد ركب حماراً خلفه جحش، و بيده غدق قد ذهب بسره إلا قليلاً، يقود به بقرة يتبعها عجل لها. فناداه علي

ابن الهيثم: يا صاحب البيدانة القمراء يتلوها تولب بيده شملول، يطبي بها خرزمة يقفوها عجول. أتقائض بعجولك جحجحازهما. قال: فالتفت إليه الفارسي، وقال: يا بابا فارسي هم ندانم. البيدانة: الإتان. والقمراء: البيضاء الوجه. والتولب: ولد الحمار. والشملول: الغدق. و يطبي: يدعو. والخرزمة: البقرة الوحشية. والجحجح: الكبش. والزهم: السمين. ولعله قصد بهذه المؤانسة لبعض الحاضرين، أو بدرت منه هذه الألفاظ بغير قصد، وإلا فهو سخيف العقل.

حكي: أن أبا علقمة الواسطي مرض. فأتاه أعين الطبيب فسأله عن سبب علته، فقال: أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسئت طساة فأصابني وجع بين الوابلة إلى دابة العنق. فما زال يتماما و يتنمى حتى خالط الخلب وتألمت له الشراسيف. فقال له أعين: خذ شرفغاً وسرقاقر هزقه ودهدقه. فقال أبو علقمة: أعد لي فإني ما فهمت. فقال الطبيب: قبح الله أقلنا إفهاماً لصاحبه. «الجوازل»: فراخ الحمام، الواحدة جوزل. و «الطساة»: الهيضة. و «الوابلة» طرف الكتف وهو رأس العضد. ودابة العنق: فقارها. و يتماما: يتمدد. و «يتنمى»: تزايد. و «الخلب» بالكسر: حجاب القلب و يقال مضغة فوق الكبد. و «الشراسيف»: غضاريف متصلة بالاضلاع.

حكى ابن دريد عن الأصمعي: أن أعرابياً شهد لرجل مشجوج عند صاحب الشرطة فقال: بينا أنا على كودن يضهزني إذ مررت بوصيد دار فإذا أنا بهذا الاحيشب يدع هذا دعا فنز بتزاشفا فعلاه بمنسأته فقهقر ثم بدره بمثلها فقطره ثم أدبر و برأسه جديع يسح نجيعاً على كتده. فقال صاحب الشرطة: شجني واعفني من سماع شهادة هذا الأعرابي «الكودن: البرذون.. «يضهزني»: يحركني «الوصيد»: الباب، الدع: الدفع. المنسأة: العصا. الاحيشب: تصغير الاحشب وهو الغليظ. قهقر: رجع القهقرى. قطره: ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه. السح: الصب. النجيع: الدم. الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر وهو بعيد مغرز العنق.

وذكر الزبير بن بكار أن بعض المتقعرين كتب إلى وكيل له بناحية

البصرة: أحمل إلينا من الخوزج والكنعد الممهورين والأوز المهوج ولحم منها البيد. ما يصلح للتشزيز والقديد. فكتب إليه وكيله: إن لم تكف عن هذا الكلام بارت قريتك، فإن الفلاحين ينسبون من ينطق هذه الألفاظ إلى الجنون. الكنعد: ضرب من سمك البحر. والشيزازه: اليبس.

حكي أن لصاً قصد دار نحوي فاطلع وناداه: أيها الطارق. ما الذي أولعك بنا؟. إن أردت المال فعليك بابن الجصاص. وفلان وفلان أقواماً ذوي مال. وإن أردت الجاه فعليك بالقضاة. وإن أردت الكتابة فعليك بفلان وفلان أقواماً يكتبون. وإن أردت اللغة والنحو فعليك بي. وإن كنت تبغي القرا، فلج الدار وادخل المخدع واصب من الزاد ما يمسك حشاشة رقعك. فرفع اللص رأسه وقال: لو كانت الجنة دارك ما دخلتها.

حكي: أن طبيباً دخل على نحوي مريض فقال: ما كان أكلك أمس؟. قال: أكلت لحم عطعط، وساقة خرنق، وجوجو حنفطان اقتنصه بازي. فلما كان في الدجى أصبت منه معمعة في الحشا، وقرقرة في المعا. فقال الطبيب للحاضرين: هذه خفة ارتفعت إلى الدماغ فاصلحوا الغذاء له قبل أن يجن. العطعط: الجدي الخرنق: ولد الأرنب. الجوجو: الصدر؟ والحنفطان بالطاء المهملة: الدراج الذكر.

حكى أبو القاسم الراغب قال: ابتاع تلميذ ليعقوب بن اسحاق الكندي جارية فاغتاضت عليه: فشكا حالها إلى يعقوب. فقال له: جئني بها. قال، فلما حضرت عنده قال لها: يا لعوبة ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات. أما علمت أن فرط الاغتياضات من المواقعات على طالبي المودات موذنات بعدم المعقولات.

فقالت الجارية: حياك الله وبياك. أما علمت أن هذه العفونات المتيسرات على صدور ذوي الرقاعات محتاجات إلى المواسي الحالقات. فقال يعقوب لله درها لقد قسمت الكلام تقسيماً.

واعلم: أن الحكايات في هذا الباب تخرج عن حد الحصر وتقتضي الخروج

عن الجد إلى ضرب من الهزل. والحاصل: أن ما كان الحامل عليه غلبة هذه الصناعة مذموم، من جهة أن ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوم قلبه ودينه، قبل أن يقوم ألفاظه. فاللحن في اللفظ ولا اللحن في الدين. وأيا ما كان الحامل عليه مجرد التقعر فهو رعونة. ومنهم من تكلف المسموع من الكلام حتى انتهى به الحال إلى أن وقع في الكنيف فجاءوه بكنافين. فكلمه أحدهم لينظر أهو حي. فقال: أطلبا لي حبلاً دقيقاً، وشداني شداً وثيقاً، واجذباني جذباً رفيقاً. فقال أحدهم: أنا والله لا أنقذه فإنه في الكنيف إلى الحلق ولا يدع الفضول. حكاها صاحب (البصائر).

ثم اعلم أن مقصد علم اللغة مبني على أسلوبين:

لأن ــ (منهم): من يذهب من جانب اللفظ إلى المعنى، بأن يسمع لفظاً و يطلب معناه.

و (منهم): من يذهب من جانب المعنى إلى اللفظ. فبكل من الطريقين قد وضعوا كتباً، ليصل كل إلى مبتغاه، إذ لا ينفعه ما وضع في الباب الآخر. فمن وضع بالاعتبار الأول: فطريقة ترتيب حروف التهجي أما باعتبار أواخرها أبواباً، و باعتبار أوائلها فصولاً، تسهيلاً للظفر بالمقصود: كما اختاره الجوهري في (الصحاح) ومجد الدين الشيرازي في (القاموس). وأما بالعكس، أي باعتبار أوائلها أبواباً و باعتبار أواخرها فصولاً: كما اختاره ابن فارس في (.المجمل)، والمطرزي في (المغرب). ومن وضع بالاعتبار الثاني: فالطريق إليه، أن يجمع الأجناس بحسب المعاني ويجعل لكل جنس باباً، كما اختاره الزمخشري في قسم الاسماء من كتاب (مقدمة الأدب) ثم ان اختلاف الهمم قد أوجب أحداث طرق شتى: فمن واحد أدى رأيه إلى أن يفرد لغات القرآن المجيد، ومن آخر إلى أن يفرد غريب الحديث، وآخر إلى أن يفرد لغات الفقه، كالمطرزي في كتاب (المغرب). وآخر إلى أن يفرد اللغات الواقعة في أشعار العرب وقصائدهم وما يجري مجراها كنظام الغريب. والمقصود هو الإرشاد عند مساس أنواع الحاجات.

واعلم: أن أول من دوّن علم اللغة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي رحمه الله:

فائدة:

هو: معمر بن المثنى، اللغوي، البصري، أبو عبيدة. مولى بني تيم تيم قريش رهط أبي بكر الصديق. أخذ عن يونس، وأبي عمرو. وهو أول من صنف غريب الحديث. أخذ عنه أبو عبيد، وأبو حاتم والمازني والأثرم وعمرو بن شبة. وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب والأيام. وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه ويذم الأصمعي. قيل: دأب الأصمعي الأنشاد والزخرفة قليل الفائدة وأبو عبيدة بضد ذلك. وقال يزيد بن مرة: ما كان أبو عبيدة يفتش عن علم من العلوم إلاَّ يظن أنه لا يحسن غيره. أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه. وكان شعوبياً. قلت: الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم. وقيل: كان يرى رأي الخوارج الأباضية. قلت: هؤلاء متابعون لعبدالله بن أباض. يقولون: مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين، وان مرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن. ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة. وكفروا علياً رضي الله عنه وأكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. إلى غير ذلك من الجهالات.

قيل ــ قال الجاحظ في حق أبي عبيدة: لم يكن في الأرض خارجي أعلم بجميع العلوم منه.

وقال أبو قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها. قال أبو حاتم: وكان مع علمه، إذا قرأ البيت لم يقم بإعرابه، وينشده مختلف العروض.

صنف:

١ ــ المجاز في غريب القرآن.

٢ ــ والأمثال في غريب الحديث.

٣ ــ والمثالب في أيام العرب.
٤ ــ ومعاني القرآن.
٥ ــ وطبقات الفرسان.
٦ ــ ونقائض جرير والفرزدق.
٧ ــ والخيل والإبل.
٨ ــ السيف.
٩ ــ اللغات.
١٠ ــ المصادر.
١١ ــ خلق الإنسان.
١٢ ــ فعل وافعل.
١٣ ــ ما يلحن فيه العامة.

وغير ذلك. وكان يقول شعراً ضعيفاً. وقال هو: إن أبي حدثني أن أباه كان يهودياً. ولد أبو عبيدة سنة إثنتي عشرة ومائة. ومات سنة ثمان أو تسع أو عشر أو احدى عشرة ومائتين.

ومن الكتب المختصرة في علم اللغة:

(كتاب العين): للخليل بن أحمد رحمه الله. هذا هو الصحيح. وقال أبو الطيب اللغوي: هو لليث بن نصر بن سيار. وقيل: عمل الخليل قطعة منه ــ أي كتاب العين ــ وكمله الليث. لأن أوله لا يناسب آخره. قال ابن المعتز: ان الخليل صنّفه لليث وكان هو مكباً على حفظه وقراءته واتفق أن امرأة ليث غارته لأجل جارية. فأرادت أن تغيظه ــ وكانت تعرف أنه لا يبالي بالمال ــ فأحرقت الكتاب. فلما علم اشتد أسفه. ولم يكن عند غيره نسخة غير تلك النسخة التي احترقت، وكان الخليل مات. فأملى النصف من حفظه، وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه. فعملوا هذا الذي بأيدي الناس اليوم ولم يماثلوه وإن اجتهدوا.

فائدة: الخليل هو: ابن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن. صاحب العربية والعروض. وهو أول من استخرج

العروض وحصر أشعار العرب بها. وكان دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبق إليه. فرجع وفتح عليه بالعروض. وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم، وهو الذي أحدث له علم العروض، فإنهما متقاربان في المأخذ. وهو أستاذ سيبويه. وعامة الحكاية في كتابه عنه. وكلما قال سيبويه: وسألته. أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل.

وكان الزهاد في الدنيا والمنقطعين إلى العلم. وطلبه سليمان بن علي من الأهواز لتأديب أولاده، فأخرج الخليل إلى رسوله خبزاً يابساً وقال: ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان. وقال النضر بن شميل: أقام الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكتسبون بعلمه الأموال. وكان الناس يقولون لم يكن في العرب بعد الصحابة أزكى منه. وكان يحج سنة ويغزو سنة. وأبوه أول من سمى أحمد بعد النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: إنه كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس. فمات واحتاج الناس إليه، ولم يكن له نسخة. وكان له آنية يعمل فيها الدواء. فأخرج الخليل بشمها نوعاً نوعاً حتى أخرج خمسة عشر نوعاً. فعمله فانتفع به الناس. ثم وجد النسخة فوجدوا الأخلاط ستة عشر لم يفته منها إلا واحد.

والفراهيدي ويقال الفرهودي أيضاً وهو مفرد الفراهيد. نسبة إلى فراهيد ابن مالك بن مهم بن عبدالله بن مالك بن مضر بن الأزد.

وله تصانيف غير كتاب العين، كتب:

١ ــ النعم.
٢ ــ الجمل.
٣ ــ العروض.
٤ ــ الشواهد.
٥ ــ النقط والشكل.
٦ ــ فايت العين.
٧ ــ الإيقاع.

توفي الخليل سنة خمس وسبعين ومائة أو سبعين أو ستين وله أربع وسبعون. وسبب موته أنه قال: أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يمكن أن يظلمها. فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدمته سيارة وهو غافل فانصدع ومات. ورؤي في النوم فقيل له: ما صنع الله بك. فقال: رأيت ما كنا فيه لم يكن شيئاً وما وجدت أفضل من: سبحان الله. والحمدلله. ولا إله إلا الله. والله أكبر.

ومن الكتب المختصرة في اللغة:

(المنتخب) و (المجرد): لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل بضم الكاف، أبو الحسن النحوي اللغوي. قال ياقوت: هو من أهل مصر. أخذ عن البصريين. وكان نحوياً كوفياً.

صنّف:

١ ــ المنضد في اللغة المجرد: مختصر ٢ ــ المهجد: مختصر ٣ ــ أمثلة غريب اللغة ٤ ــ المصحف المنظم رأيت خطه على المنضد وقد كتبه سنة سبع وثلاثمائة. انتهى.

ومن المتوشطات:

(المجمل): لابن فارس. وهو أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسنين. اللغوي القزويني. كان نحوياً على طريقة الكوفيين. سمع أباه، وعلي بن إبراهيم بن سلمة القطان. وقرأ عليه الأديب الهمذاني. وكان مقيماً بهمذان فحمل منها إلى الري ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة، فسكنها. وكان شافعياً فتحول مالكياً وقال: أخذتني الحمية لهذا الامام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه. وكان الصاحب بن عباد تلمذ له ويقول: شيخنا ممن رزق حسن التصنيف وكان كريماً جواداً ربما سئل فيهب ثيابه وفرش بيته.

صنَّف:

١ ــ المجمل في اللغة.
٢ ــ فقه اللغات.
٣ ــ مقدمة في النحو.
٤ ــ ذم الخطأ في الشعر.
٥ ــ فتاوى فقيه العرب.
٦ ــ الاتباع والمزاوجة.
٧ ــ اختلاف النحويين.
٨ ــ الانتصار لثعلب النحوي.
٩ ــ الليل والنهار.
١٠ ــ خلق الإنسان.
١١ ــ تفسير أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.

وغير ذلك.

قال الذهبي: مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. وهو أصح ما قيل في وفاته.

ومن شعره:

إذا كنت في حاجة مرسلا　　وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيماً ولا توصه　　وذاك الحكيم هو الدرهم

ومنها:

(ديوان الأدب): للفارابي. وهو إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو ابراهيم، وخال أبي نصر الجوهري. وترامى به الاغتراب إلى أرض اليمن وسكن زبيد وبها صنف كتاب: (المجمل) ومات قبل أن يروى عنه قريباً من سنة خمسين وثلاثمائة وقيل: في حدود السبعين. وقال ياقوت: رأيت نسخة من هذا الكتاب بخط الجوهري وقد ذكر فيها أنه قرأه على أبي ابراهيم بفاراب. وقال الحاكم قرأت بعضه على يوسف بن محمد بن ابراهيم الفرغاني. قال: قرأته على

أبي علي الحسن بن علي بن سعيد الزاميني. قال: قرأته على مؤلفه أبي ابراهيم. فهذا يبطل القول المذكور، أعني أنه لم يرو عنه هذا الكتاب.

وله أيضاً..

١ ــ شرح أدب الكاتب.
٢ ــ بيان الاعراب.

ومن المبسوطات..

(العالم في اللغة): لأحمد بن ابان بن أسيد، اللغوي الأندلسي.

أخذ عن أبي علي التالي وغيره. وكان عالماً اماماً في اللغة والعربية، حاذقاً أديباً سريع الكتابة. روى عنه الاقليلي.

وصنَّف..

١ ــ العالم ــ بفتح اللام ــ في اللغة. مائة مجلد. مرتب على الأجناس. بدأ فيه بالفلك. وختم بالذرة.
٢ ــ وشرح كتاب الأخفش.

وغير ذلك.

مات سنة إثنتين وثلاثين وثلاثمائة. قلت: أسمع بهذا الكتاب ولم أره.

ومنها..

(التهذيب) و (الجامع): للأزهري.

وهو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري اللغوي الأديب الهروي الشافعي، أبو منصور. ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وأخذ عن الربيع بن سليمان ونفطويه وابن السراج وأدرك ابن دريد ولم يرو عنه. وورد بغداد وأسرته القرامطة. فبقي فيهم دهراً طويلاً. وكان رأساً في اللغة. أخذ عنه الهروي صاحب الغريبين.

وله من التصانيف:

١ ــ التهذيب: في اللغة.
٢ ــ تفسير ألفاظ مختصر المزني.
٣ ــ التقريب في التفسير.

وغير ذلك.

وكان عارفاً بالحديث. عالي الاسناد ثخين الورع. مات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة.

ومنها:

(العباب الزاخر): للصغاني ويقال الصاغاني بالألف، وهو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري الإمام رضي الدين أبو الفضائل الصغاني بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة ويقال الصاغاني بالألف، الحنفي، حامل لواء اللغة في زمانه. قال الذهبي: ولد بمدينة لوهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة. ونشأ بغزنة ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة. وذهب منها بالرياسة الشريفة إلى صاحب الهند، فبقي مدة وحج، ودخل اليمن. ثم عاد إلى بغداد ثم إلى الهند ثم الى بغداد. وسمع من النظام المرغيناني، وكان إليه المنتهى في اللغة. كان يقول لأصحابه: احفظوا غريب أبي عبيد، فمن حفظه ملك ألف دينار، فإني حفظته فملكتها، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه فحفظها وملكها. حدث عنه الشرف الدمياطي، كان شيخاً صالحاً صدوقاً صموتاً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والحديث.

وله من التصانيف:

١ ــ مجمع البحرين: في اللغة. إثني عشر مجلداً.
٢ ــ التكملة على الصحاح..
٣ ــ العباب الزاخر: وصل فيه إلى باب بكم. وفيه قيل:

ان الصغاني الذي حاز العلوم والكم

كـــان قـــصـــارى أمـــره ان انتهـــى إلى بـــكـــم

وصنَّف:

٤ ــ الشوارد: في اللغات.

٥ ــ وتوشيح الدريدية.

٦ ــ والتراكيب.

٧ ــ وفعال وفعلان.

٨ ــ والاضداد.

٩ ــ وكتاب أسماء السعادة.

١٠ ــ وكتاب الأثر.

١١ ــ وكتاب أسماء الدين.

١٢ ــ ومشارق الأنوار: في الحديث.

١٣ ــ وشرح البخاري. مجلد.

١٤ ــ ودر السحابة في وفيات الصحابة.

١٥ ــ والعروض.

١٦ ــ وشرح أبيات المفصل.

١٧ ــ ونقعة الصديان.

١٨ ــ وكتاب في التصريف.

١٩ ــ وكتاب مناسك الحج.

وغير ذلك.

قال الدمياطي: وكان معه طالع مولود، وقد حكم فيه بموته في وقته فكان يترقب ذلك اليوم. فحضر ذلك اليوم، وهو معافى. فعمل لأصحابه طعاماً شكران ذلك. وفارقناه، وعديت إلى الشط فلقيني شخص أخبرني بموته. فقلت له: الساعة فارقته. فقال: والساعة وقع الحمام يخبر بموته فجأة. وذلك سنة خمسين وستمائة.

ومنها:

(المحكم): لابن سيده.

وهو علي بن أحمد بن سيده، اللغوي النحوي الأندلسي، أبو الحسن الضرير. وقيل: اسم أبيه محمد. وقيل إسماعيل. كان حافظاً لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والاشعار وأيام العرب وما يتعلق بها. متوفراً على علوم الحكمة. روى عن أبيه وصاعد بن الحسن البغدادي. قال أبو عمر الطلمنكي: دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عليّ غريب المصنف. فقلت لهم: أنظروا من يقرأ لكم. فأتوا برجل أعمى يعرف بابن سيده. فقرأ علي من أوله إلى آخره من حفظه فعجبت منه.

صنَّف:

١ ــ المحكم والمحيط الأعظم: في اللغة.
٢ ــ شرح اصلاح المنطق.
٣ ــ شرح الحماسة.
٤ ــ شرح كتاب الأخفش.

وغير ذلك.

مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن نحو ستين سنة.

ومنها:

(الصحاح): للجوهري.

وهو المشهور عند الجمهور واسمه اسماعيل بن حماد الامام أبو نصر الفارابي. قال ياقوت: كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً. وأصله من فاراب الترك. وكان إماماً في اللغة والأدب. وخطه يضرب به المثل لا يكاد يفرق بينه وبين خط ابن مقلة. وهو مع ذلك من فرسان الزمان في الكلام والأصول.

وكان يؤثر السفر على الحضر و يطوف الآفاق. ودخل العراق فقرأ العربية على أبي علي الفارسي والسيرافي. وسافر إلى الحجاز وشافه باللغة العربية العاربة. وطوف بلاد ربيعة ومضر ثم عاد إلى خراسان ونزل الدامغان عند أبي الحسين بن علي أحد أعيان الكتاب والفضلاء. ثم أقام بنيسابور ملازماً للتدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة:

وصنَّف:

١ ــ كتاباً في العروض؛

٢ ــ ومقدمة في النحو؛

٣ ــ والصحاح في اللغة: وهو الكتاب الذي بأيدي الناس اليوم عليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه وجود تأليفه. وفيه يقول إسماعيل بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيد ما   صنف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أبوابه ويجمع ما   فرق في غيره من الكتب

هذا مع تصحيف فيه في مواضع عدة تتبعها عليه المحققون. وقيل: إن سببه أنه لما صنف سمع عليه إلى باب الضاد المعجمة، وعرض له وسوسة. فانتقل إلى الجامع الكبير بنيسابور فصعد سطحه وقال: أيها الناس اني عملت في الدنيا شيئاً لم أسبق إليه. فسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق إليه؛ وضم إلى جنبيه مصراعي باب وتأبطها بحبل وصعد مكاناً عالياً، وزعم أنه يطير، فوقع ومات. وبقي سائر الكتاب مسودة غير منقح ولا مبيض. فبيضه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق فغلط فيه في مواضع. قال ياقوت: وقد بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شافياً فلم أقف عليها. وقد رأيت نسخة من الصحاح عند الملك المعظم بخطه، وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة. وقال ابن فضل الله في (المسالك): مات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وقيل في حدود الأربعمائة.

ومن شعره:

لو كان لي بد من الناس   قطعت حبل الناس بالياس

الحفظ للعزلة لكنه		لا بد للناس من الناس

هذا ما ذكره السيوطي. قلت: رأيت في ظهر بعض نسخ (الصحاح) أن الجوهري ابن أخت الفارابي، وهو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب (ديوان الأدب) ذكره أبو سهل الهروي بخطه. ثم قال: توفي رحمه الله في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول.

ولابن برزي عليه (حواش) مفيدة. وله (تكملة وحواش): للصغاني، ويجمع بينهما وبين (الصحاح) في (مجمع البحرين) إلا أنه قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط لا يقبل ما تفرد به، وأنكر عليه قوله سائر الناس جميعهم وقال: إنه تفرد به. ورد التبريزي والجواليقي وغيرهما نقلوا ذلك. قال نصر بن عيسى بن علي بن خروي: وصلت إلى الموصل في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ووجدت ثمة صحاح اللغة بخط الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، وعلى ظهرها مكتوب عارضته من أوله إلى آخره: وهو كتاب حسن الترتيب سهل المطلب لما يراد منه. وقد أتى بأشياء حسنة وتفاسير مشكلات من اللغة إلا أنه مع ذلك فيه تصحيف كثير لا يشك أنه من المصنف لا من الناسخ لأن الكتاب مبني على الحرف، فمن جملته المسألة المعروفة من كتاب سيبويه: ما أغفله عنك شيئاً أي دع الشك. ولفظ سيبويه بالغين المعجمة والفاء، فأثبته في فصل العين المهملة والقاف. وإنما فسره سيبويه بقوله: دع الشك. إشارة إلى أن شيئاً ليس مفعول أفعل لأنه استوفى مفعوله، ومعناه: أن إنساناً توهم أن إنساناً معين بأمره كافل له فقيل له ما أغفل هذا الذي تظنه معيناً بأمرك دع أمراً يشكك فيه. كذا بينه ابن جني. وقد بينت ما صحف فيه وأثبته في متن الكتاب بعلامة (ظ) قلت: أراد به الخطيب ولا يخلو الكتب الكبار من سهو فيها أو غلط. وهذا أبو عبيد كم رد عليه في (الغريب) غير أن القليل من الغلط في جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه واتعبوا نفوسهم في تصحيحه وتنقيحه معفو عنه. أنشد الإمام رشيد الدين عمر بن محمد بن عمر بن نصر الفرغاني رحمه الله:

ليست صحاح الجوهري		إلا صحاح الجوهر

ما فيه من مكسر   حاشاه من مكسر

ولبعض الأدباء في استعارة هذا الكتاب مخاطباً لبعض الرؤساء:

مولاي ان وافيت بابك طالباً   منك الصحاح فليس ذا بمنكر
البحر أنت وهل يلام فتى سعى   للبحر كي يلق صحاح الجوهر

قيل: يقال كتاب (الصَحاح) بفتح الصاد. وهو اسم مفرد بمعنى الصحيح. يقال: صححه الله فهو صحيح وصحاح والجاري على ألسنة الأكثرين كسر الصاد على أنه جمع صحيح مثل ظريف وظراف، وبعضهم ينكسر الكسر بالنسبة الى تسمية هذا الكتاب ولا مستند له إلا أن يقال إنه ثبت روايته عن مصنفه والله أعلم.

قلت: وقد علق ابن بري نكتا مفيدة على (الصحاح). وهو عبدالله بن بري بن عبد الجبار أبو محمد المقدسي المصري النحوي اللغوي. شاع ذكره واشتهر ولم يكن في الديار المصرية مثله. قرأ (كتاب سيبويه) على محمد بن عبد الملك الشنتريني وتصدر للاقراء بجامع عمرو. وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة. يحكى عنه حكايات عجيبة، منها: أنه جعل في كمه عنباً فجعل يعبث به، ويحدث شخصاً حتى نقط على رجليه، فقال لرفيقه: تحس المطر. فقال: لا وإنما هو من العنب. فخجل ومضى. وكان قيماً بالنحو واللغة والشواهد، ثقة. قرأ عليه الجزولي وأجاز لأهل عصره وكان له تصفح على ديوان الإنشاء.

وصنَّف:

١ ــ اللباب في الرد على ابن الخشاب:
في رده على (درة الخواص): للحريري.

٢ ــ وله: حواش على الصحاح:
قال الصفدي: لم يكملها بل وصل الى «وقش» وهو ربع الكتاب، فأكملها الشيخ عبدالله بن محمد البسطي.

مات ابن بري ليلة السابعة والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة. قلت: للصحاح (تكملة) (وحواش): للصغاني ويجمع بينهما وبين (الصحاح) في (مجمع البحرين).

ومن المبسوطات من كتب اللغة:

(اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب): وقد بلغ تمامه ستين مجلدة ثم لخصه مؤلفه مجد الشيرازي من مجلدتين وسماه:

(القاموس المحيط، والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط) قلت: القاموس: معظم ماء البحر. والقابوس: الرجل الجميل الحسن الوجه الحسن اللون. ويقال: رجل وسيط فيهم: أي أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً. ويقال: قوم شماطيط: أي متفرقة إرسالاً.

واعلم: أن صاحب القاموس زاد على (الصحاح) مثل ما فيه. وميرز زياداته بالحمرة. وأخذ على الصحاح في كثير من المواضع وبين أغلاطه وأوهامه. وهو: محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن إدريس ابن فضل الله الشيرازي الفيروز آبادي العلامة مجد الدين أبو الطاهر. إمام عصره في اللغة. قال ابن حجر: كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب (التنبيه) ويذكر بعد إبراهيم بن عمر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق وكان الناس يطعنون في ذلك مستندين إلى أن الشيخ لم يعقب. وكان لا يبالي من ذلك. ثم ارتقى فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن أنه من ذرية أبي بكر الصديق وكتب بخطه «الصديقي».

قال ابن حجر: ولم يكن مدفوعاً عن معرفة، إلا أن النفس تأبى قبول ذلك. ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون وتفقه ببلاده وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندي المدني ونظر في اللغة، فمهر فيها إلى أن بهروفاق. واشتهر اسمه ــ وهو شاب ــ في الآفاق. وطلب الحديث، وسمع من الشيوخ وقدم الشام بعد الخمسين، أما سنة خمس أو في السنة التي بعدها، فسمع بها من ابن الخباز وابن القيم والتقي السبكي وولده تاج الدين والعرضي وابن نباته والشيخ خليل

المالكي، وعن القاضي عز الدين بن جماعة وخلق كثير. ودخل القدس وسمع من الحافظ صلاح الدين العلائي. ثم دخل مصر وسمع بها وقدم مكة وسمع بها رجال في البلاد، ولقي جماعة من الفضلاء وأخذ عنهم وأخذوا عنه، وظهرت فضائله وكتب الناس تصانيفه. وذكره الصفدي في تذكرته، وكتب عنه في سنة سبع وخمسين بدمشق. وجال في البلاد الشمالية والشرقية. ودخل الهند، ثم زبيد فتلقاه ملكها الأشرف إسماعيل بالقبول وقرره في قضائها وبالغ في اكرامه، ووافق دخوله بها وفاة القاضي جمال الدين الريمي شارح التنبيه، فقرره الملك الأشرف إسماعيل في القضاء بالبلاد اليمنية. فلم يزل ذلك باسمه إلى أن مات. وكان الأشرف يكرمه كثيراً. وصنف له كتاباً وأهداه على أطباق فملأها له فضة. ولم يقدر انه دخل بلداً إلا وأكرمه متوليه.

وكان معظماً عند الملوك. أعطاه تيمورلنك خمسة آلاف دينار ودخل الروم فأكرمه ملكه ابن عثمان، وحصل له منه فيه دنيا طائلة. ومع ذلك إنه كان قليل المال لسعة نفقاته، وكان يدفعه إلى من يمحقه بالإسراف. ولا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها في كل منزلة ينظر فيها ويعيدها إذا رحل. وكان إذا أملق باعها. وكان سريع الحفظ. يحكى عنه أنه كان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر.

وأما معرفته باللغة واطلاعه على نوادرها، فأمره مستفيض.

ومصنفاته كثيرة: وقد عد منها بضعة وأربعون مصنفاً.

منها:

١ ــ اللامع المعلم العجاب: الجامع بين المحكم والعباب. لم يكمل؛
٢ ــ والقاموس المحيط: بالغ في اختصاره وتحريره وحذف الشواهد؛
٣ ــ وفتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري.

قال ابن حجر: ملأه بغرائب المنقولات، ونوادر اللغات. كمل منه ربع العبادات، في عشرين جزءاً. قال السيوطي: وقد أخذ ابن حجر منه اسمه وسمي به (شرح البخاري) تأليفه.

وصنَّف:

٤ ــ شوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار. أربعة مجلدات.

وصنَّف للأشراف كتاباً سماه:

٥ ــ الاصعاد إلى رتبة الاجتهاد. في أربعة أسفار.

وصنَّف لولده الناصر كتاباً سماه:

٦ ــ تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول. أربعة مجلدات.

٧ ــ وبصائر ذو التميز في لطايف الكتاب العزيز، مجلدان.

٨ ــ وشرح عمدة الأحكام مجلدان.

٩ ــ وكتاب: المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية.

١٠ ــ وكتاب: المرقاة الوفية في الطبقات الحنفية.

١١ ــ والبلغة في تاريخ أئمة اللغة: كتاب لطيف في الغاية.

١٢ ــ وألف كتاباً على (المجمل): لابن فارس، أخذ عليه فيه ألف مكان ومع هذا كان يثني على صاحبه ابن فارس.

وصنَّف:

١٣ ــ تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين.

١٤ ــ الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف.

١٥ ــ وشرح الفاتحة.

١٦ ــ وكورة الخلاص في تفسير سورة الاخلاص.

١٧ ــ والمتفق وضعاً المختلف صنعاً.

١٨ ــ ومن تسمى باسماعيل.

١٩ ــ وأسماء النكاح.

٢٠ ــ وأسماء الليث.

٢١ ــ وأسماء الخندريس.

٢٢ ــ أسماء العادة.
٢٣ ــ مقصود ذوي الألباب في علم الاعراب.
٢٤ ــ شرح خطبة الكشاف.
٢٥ ــ شرح عمدة الأحكام.

وغير ذلك من المصنفات الكثيرة. ولما اشهرت مقاله ابن العربي اليمن، صار يدخل منها فيه، فشانه. ولم يكن متهماً بالمقالة المذكورة إلا أنه كان يحب المداوراة.

توفي بزبيد ليلة العشرين من شوال سنة ست أو سبع عشرة وثمانمائة وهو ممتع بحواسه. ودفن بتربة الشيخ اسماعيل الجبرتي. وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه أقرانه على رأس القرن الثامن. وهم: الشيخ سراج الدين البلقيني، في الفقه على مذهب الشافعي، والشيخ زين الدين العراقي، في الحديث والشيخ سراج الدين بن الملقن، في كثرة التصانيف في فن الفقه والحديث. والشيخ شمس الدين الفناري، في الإطلاع على كل العلوم العقلية والنقلية والعربية. والشيخ أبو عبدالله بن عرفة، في فقه المالكية وفي سائر العلوم بالمغرب. والشيخ مجد الدين الشيرازي في اللغة.

قلت: روى لنا غير واحد وسئل بالروم عن قول علي كرم الله وجهه لكاتبه: الصق روانفك بالجبوب، وخذ المزبر بشناترك، واجعل جندورتيك إلى قيهلي حتى لا أنغى نغية ألا أودعتها حماطة جلجلانك. ما معناه؟ فقال: معناه الزق عضرطك بالصلة، وخذ المسطر باحاحسك، واجعل جحمتيك الى ثعباني حتى لا أنبس نبسة إلا وعيتها في عظة رياطك. فتعجب الحاضرون من سرعة الجواب مع هذا الإبداع والاغراب.

قلت: الروانف: المقعدة. والجبوب: الأرض. والمزبر: القلم. والشناتر: الأصابع. والجندورتان: الحدقتان. وقيهلي: أي وجهي. وانغي: أي أنطق. والحماطة: الحبة. والجلجلان: القلب. هذا ما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى.

ومن الكتب الجامعة في اللغة:

كتاب: (لسان العرب): الذي جمع فيه بين (التهذيب) و(المحكم) و(الصحاح) وحواشيه و(الجمهرة) و(النهاية): للشيخ محمد بن مكرم بن علي وقيل رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، جمال الدين أبو الفضل.

(ولد) في المحرم سنة ثلاثين وستمائة وسمع من ابن المقير وغيره وجمع وعمر حدث. واختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة: (كالأغاني) و(العقد) و(الذخيرة) و(ومفردات ابن البيطار) ويقال: ان مختصراته خمسمائة مجلد. وخدم في ديوان الإنشاء مدة عمره وولى قضاء طرابلس وكان صدراً رئيساً فاضلاً في الأدب مليح الإنشاء. روى عنه السبكي والذهبي وقال: تفرد بالعوالي. وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة. واختصر (تاريخ دمشق) في نحو ربعه. وعنده تشيع بلا رفض (مات) في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة. ومن نظمه:

شعر

بالله ان جزت بوادي الاراك ... وقبلت عيدانه الخضر فاك
ابعث إلى عبدك من بعضها ... فانني والله مالي سواك

ومن المختصرات في اللغة:

(السامي في الأسامي): للميداني.

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري أبو الفضل الإمام الفاضل الأديب النحوي اللغوي. قال ياقوت: قرأ على الواحدي وغيره. وأتقن اللغة والعربية.

وصنَّف:

١ ـــ الأمثال.

٢ ـــ والسامي في الأسامي.

٣ ــ والانموذج في النحو.

٤ ــ والمصادر.

٥ ــ ونزهة الطرف في علم الصرف.

٦ ــ وشرح المفضليات.

وغير ذلك.

ووقف الزمخشري على كتابه (الأمثال) فحسده عليه. فزاد في لفظة الميداني نوناً قبل الميم فصار النميداني ومعناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً. فعمد إلى بعض كتب الزمخشري فجعل الميم نوناً فصار الزنخشري ومعناه: بائع زوجته. قرأ عليه أئمة. و (مات) في رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

قلت: المعنى المذكور أعني بائع زوجته ليس يحصل بتبديل الميم نوناً فقط بل يجب مع ذلك تقديم الشين على الخاء و يقال «زنش خرى». وأما بدون هذا التقديم فمعناه أمر قبيح شنيع وهو تغوط على ذقنه. والميداني نسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن وهي محلة في نيسابور.

ومن المختصرات:

(الدستور).

و (مرقاة الأدب).

ومما يختص بلغة الفقهيات:

(المغرب): للمطرزي.

وهو ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرز أبو الفتح النحوي الأديب المشهور بالمطرزي من أهل خوارزم. قرأ على الزمخشري والموفق أخطب خوارزم. وبرع في النحو واللغة والفقه. وكان على مذهب الحنفية وكان لهم كالأزهري للشافعية. وكان يقال هو خليفة الزمخشري [1]، وكان معتزلياً.

(١) هامش: «قال في الصحيفة الآتية في ترجمة النسفي توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، قال: وفي هذه السنة توفي العلامة أبو القاسم الزمخشري وقال ها هنا في ترجمة أبي الفتح المطرزي: وتوفي في

صنَّف:

١ ــ شرح المقامات.

٢ ــ والمغرب في لغة الفقه.

٣ ــ والمعرب في شرح المغرب.

٤ ــ والاقناع في اللغة.

٥ ــ والمختصر الموسوم: بالمصباح: في النحو. وهو مشهور بأيدي الناس اليوم.

٦ ــ ومختصر (الاصلاح): لابن السكيت.

(ولد) في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ومات بخوارزم في يوم الثلاثاء حادي عشر من جمادي الأولى سنة عشر وستمائة.

ومما يختص بلغة الفقهيات أيضاً:

كتاب: (طلبة الطلبة): للشيخ الإمام الأجل الزاهد نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي. وسمع الحديث.

له:

١ ــ كتاب: طلبة الطلبة.

قلت «الطلبة» بكسر اللام ما طلبته من شيء و «الطلبة» بفتح اللام جمع طالب. ذكر فيه ألفاظ الفقه الواقعة في كتب الحنفية.

٢ ــ ونظم الجامع الصغير.

وله كتاب:

٣ ــ المنظومة في الخلافيات.

رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة فيكون سنة موت الزمخشري سنة ولادة المطرزي فلا يمكن أن يكون المطرزي تلميذ الزمخشري وكونه خليفة كما ذكره فلعله السهو في النسخة أو الرواية نفسها». هـ.أ.

وله كتاب:

٤ ــ القند في علماء سمرقند.

وغير ذلك من التصانيف.

قال السمعاني: كان إماماً فاضلاً مبرزاً متقناً. سمع أبا محمد التنوخي وأبا الحسين محمد بن محمد بن الحسين البزدوي وغيرهما. وصنف في كل نوع من العلم في التفسير والحديث والشروط. صنف قريباً من مائة مصنف. وقد استقريت مصنفاته فرأيت فيها أوهاماً كثيرة. فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث وطلبه ولم يرزق مهلة التجريد.

قال صاحب (تاج التراجم): ومن ذا سلم من ذا. قلت: ولقد أنصف في هذا القول فرضي الله عنه وعن سائر المصنفين. وولد بنسف في شهور سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة. وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. وفي هذه السنة توفي أيضاً العلامة أبو القاسم الزمخشري.

ومما يختص بغريب الحديث:

(الفائق): لمحمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري أبو القاسم جار الله. وستسمع تفصيله في باب التفسير في ذكر كتاب (الكشاف) لأنه أشهر بذلك منه بغيره.

ومما يختص بغريب الحديث:

(النهاية في غريب الحديث والأثر): للجزري.

وهو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات الجزري الأربلي المشهور بابن الأثير. من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء وأوحد الفضلاء.

(ولد) سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالجزيرة وانتقل إلى الموصل. وأخذ

النحو عن ابن الدهان ويحيى بن سعدون القرطبي. وسمع الحديث متأخراً من ابن عبد الوهاب بن سكينة وغيره. وتنقل في الولايات. وكتب الإنشاء. ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه ومنعه الكتابة فانقطع في بيته يغشاه الأكابر والعلماء. فجاءه مغربي فالتزم أنه يداو يه ولا يأخذ أجرة إلا بعد برئه وأخذ في معالجته بدهن صنعه ولانت رجلاه، وأشرف على البرء، فأرضى المغربي بشيء وصرفه فلامه أخوه عز الدين فقال: أنا كنت في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والتزم اخطارهم وقد سكنت روحي الى الانقطاع والدعة فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاؤني بأنفسهم ليأخذوا رأيي.

وله من التصانيف:

١ ــ النهاية في غريب الحديث: وهو كتاب غريب لم يعهد نظيره في بابه.

٢ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول: وهذا الكتاب أحد أركان الحديث وعون دين الإسلام.

٣ ــ البديع في النحو.

٤ ــ الباهر في الفروق في النحو.

٥ ــ تهذيب فصول ابن الدهان.

٦ ــ الانصاف بين الثعلبي وصاحب الكشاف.

٧ ــ شرح مسند الشافعي.

٨ ــ البنين والبنات، والآباء والأمهات، والأذواء والذوات. قال السيوطي: وقفت عليه ولخصت منه الكنى في كراسة.

(مات) يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة.

علم الوضع

وهو: علم باحث عن تفسير الوضع، وتقسيمه إلى الشخصي، والنوعي، والعام والخاص، وبيان حال وضع الذوات، والهيئات، إلى غير ذلك من الأحوال. وموضوعه وغايته، ومنفعته، لا يخفى على المتدرب. وهذا علم نافع في الغاية إلا أنه لم يدون بعد. ولقد ذكر نبذاً منها مولانا عضد الدين في رسالته:

(الوضعية) لكنها قطرة من البحر ورشفة من ذلك النهر. والله أعلم. ولئن وقع في الأجل فسحة وساعدني التوفيق لا تنصب في إيفاد هذا الفن حقه وبالله التوفيق وهو ميسر كل عسير.

علم الاشتقاق

وهو العلم الباحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية، وباعتبار جوهرها. وإنما ذكرنا هذا القيد إذ يبحث في الصرف أيضاً عن الأصالة والفرعية بين الكلم، لكن لا بحسب الجوهرية، بل بحسب الهيئة. مثلاً يبحث في الاشتقاق عن مناسبة نعق ونهق وهذا مختص بالجوهر فقط. ويبحث في الصرف عن المناسبة لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة، لأنه باحث عن الهيئات بالاتفاق. وبهذا يظهر امتياز العلمين. ومن توهم اندراج الاشتقاق في الصرف يلزم أن يؤخذ فيه ما ليس له مدخل في الهيئة لكنه ليس كذلك اتفاقاً. وبهذا عرفت ما في بعض شروح (المفتاح) حيث توهم درج الاشتقاق في الصرف، والتفصيل هناك في تعليقاتنا على (شرح المفتاح). وموضوعه: المفردات من الحيثية المذكورة. ومن جملة مبادئه: قواعد مخارج الحروف. ومسائله: القواعد التي يعرف منها أن الاصالة والفرعية بين المفردات بأي طريق يكون وبأي وجه يعلم. ودلائله: مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات ألفاظ العرب واستعمالاتها. وغرضه: تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب. وغايته: الاحتراز عن الخلل في الانتساب الذي يوجب الخلل في ألفاظ العرب.

واعلم: أن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة، وانتساب البعض إلى البعض على وجه كلي إن كان في الجوهر فالاشتقاق، وإن كان في الهيئة فالصرف. ويعلم من هذا الفرق بين هذه العلوم الثلاثة. وأن الاشتقاق كالبرزخ بين الباقيين. ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة. وهذا الفرق قد اشتبه على كثير من الفضلاء حتى شراح (المفتاح). فتدبر فيه فإنه من الفوائد المهمة.

واعلم: أن هذا العلم كثيراً ما يذكر في كتب التصريف وقلماً يدون مفرداً، أما لقلة قواعده أو لاتصالهما في القواعد واشتراكهما في المبادىء، حتى أن هذا من جملة البواعث على اتحادهما حيث لم يعرفوا أن الاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر إذ كثيراً ما يدون عدة فنون في كتاب واحد. ولهذا لم نذكر مصنفات علم الاشتقاق واكتفينا بذكر مصنفات علم الصرف.

علم الصرف

هو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضعي النوعي ومدلولاتها والهيئات الأصلية العامة للمفردات والهيئات التغيرية وكيفية تغيراتها عن هيئاتها الأصلية على الوجه الكلي بالمقاييس الكلية.

وموضوعه: الصيغ المخصوصة من الحيثية المذكورة.

وغرضه: تحصيل ملكة يعرف بها ما ذكر من الأحوال.

وغايته: الاعتراز عن الخطأ من تلك الجهات.

ومبادئه: مقدمات مستنبطة من تتبع استعمال كلام العرب.

فائدة:

يسأل في كل من الماضي، والمضارع، والأمر عن أربعة أسئلة:

حده، وحكمه، وأقسامه، وعلاماته.

حد الماضي: ما وقع وانقطع، والمضارع: ما لم يقع أو وقع وما انقطع، والأمر: ما دل على الطلب وقبل نون التأكيد.

وحكم الماضي: أن يبنى على الفتح، والمضارع: أن يعرب ما لم يتصل به نون توكيد أو أناث فيبنى، والأمر: أن يبنى على السكون.

وأقسام الماضي: صحيح، ومعتل. والمضارع: حاضر، ومستقبل. والأمر: ما كان على وزن أفعل وعلى وزن ليفعل.

وعلامات الماضي: دخول التاء عليه مضمومة كانت أو مكسورة أو مفتوحة أو ساكنة. والمضارع: دخول أحد حروف تأنيث عليه. والأمر: دخول نون التأكيد عليه.

واعلم: أن أول من دون علم الصرف أبو عثمان بكر بن حبيب المازني. وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو. وهو بكر بن محمد بن بقيه، وقيل: ابن عدي بن حبيب، الإمام أبو عثمان المازني مازن بني شيبان بن ذهل. وقيل: هو مولى بني سدود. نزل في بني مازن فنسب إليهم وهو بصري. روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد. وعنه المبرد والفضل بن محمد اليزيدي وجماعة.

وكان إماماً في العربية متسعاً في الرواية يقول بالأرجاء وكان لا يناظره أحد إلا قطعة لقدرته على الكلام. وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه. وقال المبرد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان. وأخذ عن الأخفش وقيل بل عن الجرمي واختلف إليه إلى أن برع وكان يناظره. وحكى المبرد أن يهودياً بذل للمازني مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك فقيل له لم امتنعت مع حاجتك وعائلتك؟ فقال: ان في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن فكرهت أن أقرىء له فلم يمض على ذلك إلا مدة قليلة حتى طلبه الواثق وأعطاه ثلاثين ألف درهم وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله. وسبب طلبه أن جارية غنت بحضرة الواثق:

شعر

أظلوم ان مصابكم رجلا   أهدى السلام تحية ظلم

فرد التوزري عليها: نصب رجلاً ظاناً أنه خبر أن. فقالت: قد قرأته على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني، فأحضر إلى سرَّمن رأى. قال: فلما دخلت على الخليفة قال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: مازن تميم أم شيبان؟ قلت: مازن شيبان. فقال: بسمك يريد ما اسمك؟ وهي لغة قومنا، يبدلون الميم باء وعكسه. فكرهت أن أقول مكر مواجهة له بالمكر فقلت: بكر بن محمد. فأعجبه ذلك. فقال: اجلس فاطبئن أي اطمئن. فجلست ثم

سألني عن البيت فقلت: مصابكم: مصدر مضاف إلى فاعله. ورجلاً: مفعوله. وخبر ان ظلم. فأخذ التوزري في معارضتي. فقلت: هو كقولك: ان ضربك زيداً ظلم. والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول «ظلم» فيتم. فقال التوزري: حسبي وفهم. واستحسنه الواثق. وسئل المازني عن أهل العلم فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف. وأهل الحديث: فيهم حشو ورقاعة. والشعراء: فيهم هوج. والنحاة: فيهم ثقل. وفي رواة الأخبار الظرف كله والعلم هو الفقه.

وله من التصانيف:

١ ــ كتاب في القرآن.

٢ ــ علل النحو.

٣ ــ تفاسير كتاب سيبويه.

٤ ــ ما يلحن فيه العامة.

٥ ــ الألف واللام.

٦ ــ التصريف.

٧ ــ العروض.

٨ ــ القوافي.

٩ ــ الديباج في جامع كتاب سيبويه.

وكلها لطاف. وكان يقول: من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي.

مات في سنة تسع أو ثمان وأربعين ومائتين. كذا قال الخطيب البغدادي وقال غيره سنة ثلاثين ومائتين.

ومن شعره:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما — رأي النساء وأمرة الصبيان

أما النساء فإنهن عواهر — وأخو الصبي يجري بغير عنان

وصنَّف في التصريف: أبو الفتح بن جني مختصراً سماه (التصريف الملوكي) وهو عثمان بن جني بسكون الياء معرب كني أبو الفتح الحوي. من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف. وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو. وسببه أنه كان يقرىء النحو بجامع الموصل، فمر به أبو علي الفارسي فسأله عن مسألة في التصريف، فقصر فيها. فقال له أبو علي: زبيت قبل أن تحصرم فلزمه من يومئذ مدة أربعين سنة واعتنى بالتصريف. ولما مات أبو علي تصدر ابن جني مكانه ببغداد. وأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن الشمسي.

قال في (دمية القصر): وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله سيما في علم الاعراب. وكان يحضر عند المتنبي و يناظره في النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفة واكباراً لنفسه. وكان المتنبي يقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.

وصنَّف:

١ ــ الخصائص في النحو.

٢ ــ سر الصناعة.

٣ ــ شرح تصريف المازني.

٤ ــ شرح مستغلق الحماسة.

٥ ــ شرحان على ديوان المتنبي.

٦ ــ اللمع في النحو.

٧ ــ محاسن العربية.

٨ ــ المحتسب في اعراب الشواذ.

٩ ــ شرح الفصيح.

وغير ذلك.

مولده: قبل الثلاثين وثلاثمائة. مات: لليلتين بقيتا من صفر سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة.

ولابـن مـالـك: (مختصر في ضـروري التـصـريـف) وشـرحـه ووسـمـه (بالتعريف) وهو محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبدالله الطائي الجياني الشافعي النحوي. نزيل دمشق. إمام النحاة. وحافظ اللغة.

قال الذهبي: ولد سنة ستمائة أو إحدى وستمائة. وسمع بدمشق من السخاوي والحسن بن الصباح وجماعة. وأخذ العربية عن غير واحد. وجالس بحلب ابن عمرون وغيره. وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته إلى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق وأربى على المتقدمين. وكان اماماً في القراءات وعللها. وأما اللغة: فكان إليه المنتهى في الاكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيها. وأما النحو والتصريف: فكان فيه بحراً لا يجارى وحبراً لا يبارى. وأما اشعار العرب: التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكان الأئمة الاعلام يتحيرون فيه و يتعجبون من أين يأتي بها. وكان نظم الشعر سهلاً عليه رجزه وطو يله و بسيطه وغير ذلك. هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت ورقة القلب، وكمال العقل، والوقار والتؤدة. أقام بدمشق مدة يصنف و يشغل وتصدر بالتربة العادلية والجامع المعمور. وتخرج به جماعة كثيرة. وصنف تصانيف مشهورة. روى عنه ابنه الإمام بدر الدين والشمس ابن أبي الفتح والبدر بن جماعة والعلاء بن العطار وخلق. انتهى كلام الذهبي.

قال أبو حيان: لم يكن لابن مالك شيخ مشهور يعتمد عليه إلا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان. وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحواً من ثلاثة عشر يوماً. ولم يكن ثابت بن حيان من أئمة النحو وإنما كان من الأئمة المعربين.

قال السيوطي: وله شيخ جليل وهو: ابن يعيش الحلبي.

وأما تصانيفه: فكثيرة جداً. نظمها بعضهم في أبيات ذكر فيها:

١ ــ الألفية في النحو تسمى الخلاصة.

٢ ــ والعمدة.

٣ ــ واكمال العمدة.

٤ ــ وشرحها.

٥ ــ والتسهيل.

٦ ــ وشرحه: ولم يتم.

٧ ــ وقصيدة في الأفعال.

٨ ــ وارجوزة في المثلث.

٩ ــ وقصيدة في المقصور والممدود.

١٠ ــ وشرحها.

١١ ــ واعراب بعض أحاديث صحيح البخاري.

١٢ ــ وقصيدة في الضاد والظاء.

١٣ ــ وأخرى في: ما هو مهموز وغير مهموز.

١٤ ــ والتعريف في الصرف.

١٥ ــ وشرحه.

١٦ ــ وكتاب: فيما جاء أفعل وفعل.

١٧ ــ ومختصر في الإبدال.

١٨ ــ والقصيدة المالكية في علم القراءات.

هذا ما ضمنته تلك الأبيات.

وله تصانيف غير هذه:

١٩ ــ كتاب: نظم الفوائد.

٢٠ ــ وفتاوى له في العربية.

٢١ ــ ومجموع يسمى: الفوائد في النحو.

٢٢ ــ وشرح الجزولية.

٢٣ ــ وسبك المنظوم وفك المختوم.

٢٤ ــ والمقدمة الأسدية: وضعها باسم ولده تقي الدين الأسد.

و يروى: أنه كان إذا صلى في العادلية وكان امامها، يشيعه قاضي القضاة

شمس الدين بن خلكان إلى بيته، تعظيماً له. وكان آية في الاطلاع على الحديث فإذا لم يجد شاهداً في القرآن عدل إلى الحديث ثم إلى أشعار العرب. وكان كثير العبادة والنوافل، حسن السمت، كامل العقل. وانفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم، ومذهب الشافعية. وكان الشيخ ذكي الدين بن القريع يقول: ان ابن مالك ما خلى للنحو حرمة. توفي: ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

ومن المتوسطات في علم التصريف:

كتاب ابن الحاجب المسمى بـ (الشافية).

وهو: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب الكردي الدويني الأصل الاسناني المولد المقري النحوي المالكي الأصولي الفقيه صاحب التصانيف المنقحة.

ولد: سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمسمائة باسنا من الصعيد.

قال الذهبي: وكان أبوه جندياً كردياً حاجباً للأمير عز الدين الصلاحي. اشتغل في صغره بالقاهرة. وحفظ القرآن وأخذ بعض القراءات عن الشاطبي وسمع منه (التيسير). وقرأ بالسبع على أبي الجود وسمع من البوصيري وجماعة. وتفقه على أبي منصور الأبياري وغيره. وتأدب على الشاطبي وابن البناء ولزم الاشتغال حتى برع في الأصول والعربية وكان من أذكياء العالم، ثم قدم دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية وأكب الفضلاء على الأخذ عنه. وكان الأغلب عليه النحو.

وصنَّف:

أ ــ في الفقه:

١ ــ مختصراً.

ب ــ وفي الأصول:

٢ ــ مختصراً.

٣ ــ وآخر أكبر منه سماه: المنتهى.

جـ ــ وفي النحو:

٤ ــ الكافية.

٥ ــ وشرحها.

٦ ــ ونظمها: الوافية.

٧ ــ وشرحها.

د ــ وفي التصريف:

٨ ــ الشافية.

٩ ــ وشرحها.

هـ ــ وفي العروض:

١٠ ــ قصيدة.

١١ ــ وشرح المفصل سماه: الايضاح.

١٢ ــ **وله:** الأمالي. في النحو. مجلد ضخم في غاية التحقيق. بعضها آيات و بعضها على مواضع من المفصل ومواضع من كافيته وأشياء نثرية.

ومصنفاته: في غاية الحسن. ورزقت قبولاً تاماً لحسنها، وجزالتها. وقد خالف النحاة في مواضع وأورد عليهم إشكالات والزامات مفحمة يعسر الجواب عنها. وكان فقيهاً مناظراً مفتياً مبرزاً في عدة علوم متبحراً ثقة ديّناً ورعاً. متواضعاً مطرحاً للتكلف. ثم دخل مصر هو والشيخ عز الدين بن عبد السلام وتصدر هو بالفاضلية، ولازمه الطلبة. قال ابن خلكان: وكان من أحسن خلق الله ذهناً، وجاءني مراراً بسبب أداء شهادات. وسألته عن مواضع في العربية مشكلة، فأجاب أبلغ جواب بسكون كثير وتثبت تام.

انتقل الى الاسكندرية ليقيم بها فلم تطل مدته. ومات بها في ضاحي نهار الخميس سادس عشر من شوال سنة ست وأربعين وستمائة.

وامثل المبسوطات:

(الممتع) : لابن عصفور.

وهو علي بن مؤمن بن محمد بن علي أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الأشبيلي. كان حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس. قال ابن الزبير: أخذ عن الدباج والشلوبين ولازمه مدة، ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة. وتصدر للاشتغال مدة وأقبل عليه الطلبة وكان أصبر الناس على المطالعة لا يمل من ذلك ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولا تأهل لغير ذلك.

قال الصفدي: ولم يكن عنده ورع. وجلس في مجلس شراب فلم يزل يرجم بالناتج إلى أن (مات) في رابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث أو تسع وستين وستمائة. (ومولده) سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

وصنَّف:

١ ـــ الممتع في التصريف: كان أبو حيان لا يفارقه.
٢ ـــ المقرب شرحه: لم يتم.
٣ ـــ شرح الجزولية.
٤ ـــ مختصر المحتسب.
٥ ـــ ثلاثة شروح على الجمل.
٦ ـــ شرح الأشعار الستة.

وغير ذلك.

ومن المبسوطات:

(شرح الشافية): للإمام الجار بردي.

وهو: أحمد بن الحسن الشيخ فخر الدين. قال السبكي في (طبقات الشافعية): نزيل تبريز. كان إماماً فاضلاً ديناً خيراً وقوراً مواظباً على العلم وإفادة الطلبة. أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي.

وصنَّف:

١ ـــ شرح منهاجه.

٢ ـــ شرح الحاوي في الفقه: لم يكمل.

٣ ـــ شرح الشافية: لابن الحاجب.

٤ ـــ شرح الكشاف.

(ومات) في رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة بتبريز.

و (شرح الشافية): لرضي الدين الاسترابادي.

وستعرف ترجمته في النحو.

و (شرح الشافية): لحسن بن محمد النيسابوري، المشهور بالنظام الأعرج. وشرحه ممزوج مشهور متداول. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة.

ومما اشتهر في ديارنا مختصر مسمى (بالمقصود): لم نقف على مصنفه. إلا أنه كتاب مبارك مشهور بأيدي الناس اليوم. وعليه شروح مفيدة مشهورة عند أبناء الزمان.

و (مختصر): لعز الدين الزنجاني.

وهو: عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن أبي المعالي الخزرجي الزنجاني صاحب (شرح الهادي) المشهور الذي أكثر الجار بردي من النقل عنه في (شرح الشافية).

قال السيوطي: وقفت عليه بخطه. وذكر في آخره أنه فرغ منه ببغداد في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة.

١ ـــ ومتن الهادى: له أيضاً.

٢ ـــ وله التصريف المشهور: بتصريف العزي.

وله مؤلفات في العروض والقوافي وخطه في غاية الجودة. وعلى مختصره في التصريف شروح مفيدة مشهورة عند أبناء الزمان. أفضلها وأحسنها: (شرحاً

الفاضل سعد الدين التفتازاني والفاضل السيد الشريف الجرجاني). وستقف على ترجمتها إن شاء الله تعالى.

ومن المختصرات:

مختصر: (مراح الأرواح): لأحمد بن علي بن مسعود.

قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة. وعليه شروح مفيدة يعرفها المتأدبون من الصبيان.

وأكثر المصنفات في علم النحو مذيلة بعلم التصريف. وسنذكر نبذاً منها هناك. إن شاء الله تعالى.

و (مختصر النجاح): مفيد في الغاية لكنه غير مشهور. وهو لحسام الدين السغناقي شارح (الهداية). وستعرف ترجمته هناك.

و (مختصر نزهة الطرف في علم الصرف): للميداني. وقد عرفت ترجمته.

الشعبة الثانية
فيما يتعلق بالمركبات

علم النحو

علم: باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعاً نوعياً لنوع نوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها.

وغرضه: تحصيل ملكة يقتدر بها على ايراد تركيب وضع وضعاً نوعياً لما أراده المتكلم من المعنى وعلى فهم معنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية.

ومبادئه: المقدمات الحاصلة من تتبع الألفاظ المركبة في موارد الاستعمالات.

وموضوعه: المركبات والمفردات. من حيث وقوعها في التراكيب والأدوات. لكونها روابط التراكيب. وإنما يبحث عنها في النحو على وجه المبدئية لأنها من مسائل اللغة حقيقة.

وأعلم: أن علم النحو من فروض الكفايات. إذ يحتاج إليه الاستدلال بالكتاب والسنة وإذ ليس فرضاً عيناً فكذا النحو. إلا أنه يجب أن يكون متواتراً إذ اشتراط تواتر الشرع يوجب اشتراطه في اللغة أيضاً. ومن جملة أقسامها النحو وهاهنا أشكال من وجهين: (أحدهما) أن هذا بدعة وكل بدعة حرام. و (ثانيهما) أن النحو يحتاج إلى الألفاظ المحتاجة إلى النحو فيدور. والجواب أن الصحابة كانوا يعرفون النحو وإنما المبتدع الاصطلاحات ولا مشاحة فيها، بل هذه بدعة حسنة، كما قيل: النحو علم مبتدع وقياس مخترع. وأيضاً بعض قواعد النحو معلوم بالضرورة، وبعضها مكتسب. والذي يتوقف عليه تعلم

النحو هو الأول والذي يكتسب به هو الثاني فلادور. ولله در الكسائي في النحو.

انما النحو قياس يتبع | وبه في كل علم ينتفع
واذا ما اتقن النحو الفتى | مر في المنطق مرا فاتسع
واتقاه كل من يعرفه | من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يعرف النحو الفتى | هاب أن ينطق جبنا ما نقمع
فتراه ينصب الرفع وما | كان من نصب ومن خفض رفع
أهما فيه سواء عندكم | ليست السنة فينا كالبدع

واعلم: أن كثيراً من الناس بسبب جهلهم بعلم النحو وقعوا في مضاحك يضحك منها الصبيان. حكى أبو حيان التوحيدي أن رجلاً سئل عن قوم فقال: هم خروج، أرادهم خارجون. قيل: هذا غير صحيح قال: كما قال تعالى: ﴿إذ هم عليها قعود﴾(١). أي قاعدون. فضحك به. قال أبو الفرج البغدادي لعارف اللغة لَغَّوَي بفتح اللام. فقيل: هذا غير مسموع. قال: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿قال له موسى انك لغوي﴾ فضحك منه. وأعرب بعضهم قَيِّماً صفة لعوجا في قوله تعالى: «عوجاقيما» وهذه غفلة إذ المعوج لا يكون قَيِّماً وإنما قيماً حال من محذوف أي أنزله قيماً أو من الكتاب. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وثمودا فما أبقى﴾(٢) أن ثمود: مفعول مقدم، وهذا خطأ فإن لما النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ أن ما: بمعنى من ولو كان كذلك لرفع قليل على أنه خبر. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾(٣). أن قوله: أن نفعل: معطوف على أن نترك، وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون وإنما هو عطف على ما فهو

---
(١) سورة البروج، آية: ٦.
(٢) سورة النجم، آية: ٥١.
(٣) سورة هود، آية: ٨٧.

معمول للترك. والمعنى أن نترك أن نفعل. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾[1] أن من متعلقة بأغنياء، وهو فاسد لأنه متى ظنهم ظان أغنياء من التعفف على أنهم فقراء من المال، ولا يكون جاهلاً بحالهم وإنما هي متعلقة بيحسب وهي للتعليل.

وقال بعضهم في قول الشاعر:

أقول لعبدالله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

هذا لحن. فأين فعلا لما؟ وعلام نصبت الله؟ ولأي شيء فتح الدال من عبد وجوابه: أن عبد ترخيم عبدة والله نصب على الأغراء ولما سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسره بقوله وها أي ضعف والجواب محذوف فسره بقوله وها أي ضعف والجواب محذوف تقديره قلت بدليل قوله أقول لما سقط سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس قلت لعبدة احذر الله ثم البرق. وقريب من هذا البيت. قول الشاعر:

أقول لعبدالله لما لقيته ونحن على جنب الظبا والقناطر

القنا: الرماح. وطر: فعل أمر من الطيران ونظير هذين البيتين في الألغاز.

عافت الماء في الشتاء فقلنا برديه تصاد فيه سخينا

يقال: كيف تبرده ثم تصادفه سخيفاً. وهذه غفلة والأصل بل رديه ثم كتب جملة واحدة لأجل الألغاز. وقول الشاعر:

لما رأيت أبا يزيد مقاتلا ادع القتال واشهد الهيجاء

يقال: أين جواب لما وبم انتصب ادع وهذه غفلة فالأصل لن ما ادغمت النون في الميم ووصلا في الخط للالغاز وحقها الفصل وانتصاب ادع بلن وما الظرفية وصلتها ظرف له فاصل بينه وبين لن للضرورة. فيسئل حينئذ كيف

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

يجتمع قوله: لن ادع القتال مع قوله: لن أشهد الهيجاء والهيجاء شجر الحرب. والجواب أن «أشهد» ليس معطوفاً على «ادع» بل نصبه بأن مضمرة وأن والفصل عطف على القتال أي لن ادع القتال واشهد الهيجاء على حد قول الشاعر.

(للبس عباءة وتقرعيني). وقول الشاعر:

ويح من لام عاشقاً في هواه إن لوم المحب كاغراء

يقال: كيف ارتفع الاغرام بعد كان التشبيه؟ والجواب: ان الكان ضمير المخاطب مقصلة بالحب والألف واللام في المحب بمعنى الذي والاغرا خبر ان والمعنى: إن لوم المحب هو الأغراء وحق الكاف أن توصل في الخط بالمحب ولكن فصلت للغز. وقول الشاعر:

يا صاحب ملك الفؤاد عشية زار الحبيب بها خليل نائي
لما بدا لم أدر بدر دجنة أم وجه من أهواه طرفي رائي

فقال: كيف جر صاحب وهو منادي مفرد. وجوابه: ان يا صاح مرخم وبن فعل أمر من بان يبين إذا فارق وكتبت هكذا على نحو صاحب لأجل الألغاز. ويقال: على م نصب بدر في قوله: بدر دجية وما قيل الاستفهام لا يعمل فيه ما بعده وجوابه منصوب برائي. والمعنى: لم أدر طرفي رأي بدر دجنة أم وجه من أهواه.

وقول الشاعر:

لا تفطن وكن في الله محتسباً فبينا أنت ذا ياس أتى الفرجا

الفرج: مفعول العامل فيه: اسم الفاعل وهو محتسب. والمعنى: فكن في الله محتسباً الفرج فبينا أنت ذا ياس أتى. وقال العباس بن مرداس:

ومن قبل آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمدا

قال ابن السبكي: قال لي طالب نحوي مرة، كيف نصبت محمداً وهو مضاف إليه فقلت: ففكر فإن أحداً لم يصلّ للنبي عليه الصلاة والسلام لا قبل

الأوثان ولا بعدها. والجواب: أن آمناً في البيت معناه صدقنا، ومحمداً مفعول آمناً أي ومن قبل صدقنا محمداً وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل، وقبل مقطوعة عن الإضافة بنيت على الفتح وهي لغة، واللغة العالية بناؤها على الضم وقيل أراد النكرة، أي قبلا ثم حذف التنوين مضطراً. وقال آخر:

فرعون لي وهامان الأولى زعموا أني بخلت بما يعطيه قارونا

«فر» فعل أمر من وفر له العطية ومنه عطاء موفور «وعونة» امرأة رخمها فقال عون. والمعنى: أعط عونة لي. وأما «وها» فدعاء، من وها يهى إذا ضعف و «مان» جمع مانة البطن: وهي أسفل السرة. يقول ضعف مان الذين زعموا أني بخلت، و «قارون» المفعول الثاني ليعطيه والأول الهاء العائدة إلى ما الموصولة، وفاعل يعطيه مضمر للعلم به كأنه يريد يعطيه الله قارون.

واعلم: أن هذا بحر لا ساحل له. ولو استقصينا هذا الباب لأدى الكتاب إلى الاسهاب. والله أعلم بالصواب.

فصل
في واضع علم النحو

يروى: أنه دخلت بنت خويلد الأسدي على معاوية فقالت: أن أبوي مات وترك لي مالاً، بإمالة «مال». فاستقبح منها معاوية ذلك. وبلغ الخبر علياً كرم الله وجهه، فرسم لأبي الأسود الدؤلي: «باب ان» و «باب الاضافة» و «باب الامالة». ثم سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ: أن الله بريء من المشركين ورسوله. بخفض «رسوله»، فصنف: «باب العطف» و «باب النعت». ثم أن ابنته قالت له يوماً: يا أبت ما أحسن السماء، على طريق الاستفهام. فقال: أي بنية نجومها فقالت: إنما أتعجب من حسنها. فقال: قولي ما أحسن السماء. وافتحي فمك.

وقالت يوماً آخر له: يا أبت: ما أشد الحر. على لفظ الاستفهام.

فقال لها: أي بنية وغرة القيظ ومعمعان الصيف. فقالت له: إنما أتعجب منه. فقال لها: قولي: ما أشد الحر. بالنصب. ثم صنف: «باب التعجب والاستفهام». فعلم من هذه الروايات: أن أول من وضع النحو أبو الأسود. أخذه عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

وأبو الأسود، اسمه: ظالم بن عمرو بن ظالم، وقيل: ابن سفيان بن عمرو ابن حلس بن نغاثة بن عدي بن الدؤل بن بكر بن كنانة أبو الأسود الدؤلي الكوفي المولد البصري المنشأ. أول من أسس النحو. كان من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلاً، شيعياً، شاعراً، سريعاً في الجواب، ثقة في حديثه. روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي ذر وغيرهم. وروى عنه ابنه يحيى بن يعمر وصحب علي بن أبي طالب، وشهد معه صفين. وقدم على معاوية فأكرمه وأعظم جائزته. وولى قضاء البصرة. وهو أول من نقط المصحف وقد أسن. و (مات) سنة تسع وستين للهجرة بطاعون الجارف.

وتخرج بأبي الأسود:

معاذ بن مسلم الهراء، أبو مسلم، وقيل أبو علي، مولى محمد بن كعب القرظي وعم محمد بن سارة الرواسي. وهو أول من وضع التصريف. وأدب عبد الملك بن مروان، وولد في أيامه. قال السيوطي: وقد وقع في (شرح القواعد): لشيخنا الكافيجي: «أول من وضع التصريف معاذ بن جبل» وهو خطأ بلا شك. وقد سألته عنه، فلم يجبني بشيء. وكان معاذ شيعياً. (مات) سنة سبع وثمانين ومائة. وقيل: سنة تسعين، ببغداد. وكان شد أسنانه بالذهب من طول عمره ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق. وروى عن جعفر الصادق. وله كتب في النحو. عاش مائة وخمسين سنة. وقال ابن النجار في (تاريخ بغداد): كان من أعيان النحاة. أخذ عنه أبو الحسن الكسائي وغيره. وروى الحديث عن جعفر الصادق وعطاء بن السائب. روى عنه: عبد الرحمن المحاربي والحسن بن الحسين الكوفي. وكان يبيع الثياب الهروية، فلذلك قيل له: الهراء.

ثم أن أبا الأسود خلف خمسة نفر قعدوا أدبوا الناس:

(أولهم) **عنبسة بن معدان الفيل:** ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبرع منه. وروى الأشعار سيما جرير والفرزدق. وكان لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها كل يوم عشرة دراهم. فقال معدان: ادفعوها لي وأكفيكم المؤنة، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم. فدفعوها إليه. فأثرى، وبنى قصراً. فلذا قيل: معدان الفيل.

(وقيل: قتل معدان فيلا لعبدالله بن عامر بن كريز فسمي معدان الفيل).

و (ثانيهم) **ميمون الأقرن:** أخذ النحو عن عنبسة، وقيل عن أبي الأسود وأن عنبسة أخذ عنه.

و (ثالثهم) **يحيى بن يعمر العدواني التابعي:** قال الحاكم: فقيه، أديب، نحوي مبرز. سمع ابن عمر وجابرا وأبا هريرة. وأخذ النحو عن أبي الأسود. ولما بنى الحجاج واسط، سأل الناس: ما عيبها؟ قالوا: ما نعرف عيباً. وسند لك على من يعرف عيبها يحيى بن يعمر. فبعث إليه فسأله، فقال: بنيتها من غير مالك. ويسكنها غير ولدك. فغضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم أن لا يكتموا الناس حديثاً. فنفاه إلى خراسان فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها، فقضى في أكثر بلادها: نيسابور، ومرو، وهراة وآثاره ظاهرة. وقيل: كان يحيى أديباً فقيها خدم العيادلة واستقضاه الخلفاء الأمويون.

و (رابعهم ــ وخامسهم) **ابناء أبي الأسود عطاء وأبو حرب:** ثم خلف هؤلاء رجالاً.

(أحدهم): **عبدالله بن أبي إسحاق زيد الحضرمي:** أحد الأئمة في القرآت والعربية. أخذ القرآت عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم. وروى عن أبيه زيد عن جده الحرث عن علي. وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء. قال السيرافي: وكان أشد تجويداً للقياس. وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها. قال: وسئل عن يونس، فقال: هو والنحو سواء. أي هو الغاية فيه.

قال: وكان يطعن على العرب ويعيب الفرزدق وينسبه إلى اللحن فهجاه الفرزدق بقوله:

ولو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له: لحنت. ينبغي أن تقول: مولي موال. وكان مولى آل الحضرمي، وهم خلفاء لبني عبد شمس. (مات) سنة سبع وعشرين ومائة. عن ثمان وثمانين سنة.

و (ثانيهم) **عيسى بن عمر الثقفي أبو عمرو مولى خالد بن الوليد:** نزل في ثقيف فنسب إليهم. امام في النحو والصرف والقراءة، مشهور، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي إسحاق. وروى عن الحسن البصري، والعجاج بن رؤبة، وجماعة. وأخذ عنه الأصمعي وغيره.

وصنَّف في النحو:

١ ـــ الاكمال.

٢ ـــ الجامع.

قال السيرافي: ولم يقعا إلينا. ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآهما. ويقال: إن له نيفاً وسبعين مصنفاً ذهبت كلها. وكان يتقعر في كلامه. حكى عنه الجوهري في (الصحاح) وغيره: أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: مالي أراكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة. افرنقعوا عني. واتهمه عمرو بن هبيرة بوديعة فضربه نحو ألف سوط. فجعل يقول: والله إن كانت إلا اثياب في أسيفاط قبضها عشاروك. (مات) سنة تسع وأربعين أو خمسين ومائة.

و (ثالثهم) **أبو عمرو بن العلاء بن عبدالله المازني النحوي المقري:** أحد القراء السبعة المشهورين. اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً والأصح أن اسمه ربان. وسبب الاختلاف أنه كان لجلالته لا يسئل عنه. كان امام أهل البصرة في القراءة والنحو واللغة. أخذ عن جماعة من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد. وروى عن أنس بن مالك وأبي صالح السمان وعطاء وطائفة. قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراآت والعربية وأيام

العرب والشعر. وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها. وكان من أشراف العرب ووجوهها. مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين وغيره. وقال الذهبي: قليل الرواية للحديث.

(وقال في حقه:

شعر

ما زلت أغلق أبواباً وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار)

وهو صدوق، حجة في القراءة، وكان نقش خاتمه.

وان امرؤ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

قرأ عليه اليزيدي، وعبدالله بن المبارك وخلق. وأخذ عنه الأدب وغيره أبو عبيدة والأصمعي وخلق.

وقال سفيان بن عينية: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، قد اختلفت عليَّ القراءات فبقراءة من تأمرني؟ فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء. (مات) سنة أربع أو تسع وخمسين ومائة.

ثم خلفهم: الخليل بن أحمد: وقد سبق ترجمته. ويقال له: فيلسوف الوقت. فاق من قبله وما أدركه من بعده. ثم أخذ منه سيبويه، وجمع العلوم التي استفادها منه في كتابة. فجاء كتابه أحسن من كل صنف في النحو إلى الآن. ولله در القائل:

الأصلي المليك صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه ذوو قلم ولا أبناء منبر

وسيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر امام البصريين أبو بشر، وقيل: أبو الحسن مولى بني الحرث بن كعب ثم تولى الربيع بن زياد الحارثي. وسيبويه لقب. ومعناه: رائحة التفاح. وقيل: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره. وقيل: كان يشم منه رائحة الطيب بذلك سمي. وقيل: كان يعتاد شم التفاح. وقيل: سمي بذلك لنظافته لأن التفاح من لطيف الفواكه. كان أصله من

البيضاء. من أرض فارس ونشأ بالبصرة. وأخذ عن الخليل و يونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر. وسبب طلبه النحو إنه كان يستملي على حماد بن سلمة الحديث فقال يوماً:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء» فقال سيبو يه: ليس أبو الدرداء. فقال حماد: لحنت يا سيبو يه. فقال: لا جرم. لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً ثم لزم الخليل. انتهى ما ذكره السيرافي. قال أبو عبيدة: قيل ليونس بعد موت سيبو يه: ان سيبو يه صنف كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل فاستبعد هذا. فلما نظر في كتابه قال: يجيب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عني. ويحكى: أنه تخرق كتابه في كم المازني بضع عشرة مرة. وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه: هل ركبت البحر تعظيماً واستصعاباً. قال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبو يه فقال: مرحباً بزائر لا يمل. قال: وما سمعت الخليل يقولها لغيره وكان شاباً نظيفاً جميلاً. وكان في لسانه حبسة. وقلمه أبلغ من لسانه. قال الجرمي: في كتابه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها، فعرف ألف ولم يعرف خمسون.

حكى: أنه ورد بغداد على يحيى البرمكي، فتناظر هو والكسائي في قولهم: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور. فإذا هو هي، أو هو إياها. فاختار سيبو يه الرفع ولم يجوز النصب. وقال الكسائي: أخطأت العرب ترفع ذلك وتنصبه، وجعل يورد أمثلته من ذلك: خرجت فإذا زيد زيد قائم وقائماً وسيبو يه يمنع النصب. فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك وهم فصحاء الناس. فقال يحيى: انصفت. فسئلوا فاتبعوا الكسائي فاستكان سيبو يه، وقال سيبو يه: أيها الوزير مرهم أن ينطلقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطاوع خلاف الصواب وكانوا إنما قالوا الصواب ما قاله هذا الشيخ.

يقال: إن هؤلاء الأعراب قد أرشوا على ترجيح جانب الكسائي. فقال

الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير أنه قد وفد عليك من بلده مؤملا، فإن رأيت أن لا ترده خائباً فأمر له بعشرة آلاف درهم. فخرج إلى فارس ولم تطل مدته بعد ذلك. و (مات) بالبيضاء، وقيل بشيراز سنة ثمانين ومائة. قال الخطيب: وعمره اثنتان وثلاثون سنة. وقيل: نيف على الأربعين. وقيل: مات بالبصرة سنة إحدى وستين. وقيل: سنة ثمان وثمانين. وقال ابن الجوزي: مات بساوة سنة أربع وتسعين. قيل: إذا رأيت سيبويه يقول: سألت يونس، فهو ابن حبيب وإذا رأيته يقول: حدثني الثقة، فهو أبو زيد أوس الأنصاري.

وأما الكسائي: فهو علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان الامام أبو الحسن الكسائي، من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين. وما ظنك برجل غلافه الفراء. وسمي الكسائي لأنه أحرم في كساء، وقيل غير ذلك. وهو من أهل الكوفة واستوطن بغداد. وقرأ على حمزة ثم اختار لنفسه قراءة، وسمع من سليمان بن أرقم وأبي بكر بن عياش. قال الخطيب: وتعلم النحو على كبر، فلزم معاذا الهراء حتى أنفد ما عنده. وخدم أبا عمرو بن العلاء نحواً من سبع عشرة سنة ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميماً وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة. فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس. فمرت بينهما مسائل أقر له فيها بالفضل يونس وصدره في موضعه. وقال ابن الأعرابي: كان الكسائي أعلم الناس ضابطاً عالماً بالعربية، قارئاً صدوقاً، إلا أنه كان يديم شرب النبيذ، ويأتي الغلمان، وأدب ولد الرشيد، وجرى بينه وبين أبي يوسف القاضي مجالس حكيناها في طبقات النحاة. وقال ابن درستويه: كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً فيقيس عليه واختلط بأعراب الأبلة فأفسد بذلك النحو.

وصنَّف:

١ ــ معاني القرآن.
٢ ــ ومختصراً في النحو.
٣ ــ القراءات.
٤ ــ النوادر الكبير.
٥ ــ الأوسط.
٦ ــ الأصغر.
٧ ــ العدد.
٨ ــ الهجاء.
٩ ــ المصادر.
١٠ ــ الحروف.
١١ ــ اشعار المعاياة.

وغير ذلك.

و (مات) هو ومحمد بن الحسن بالري في يوم واحد. وكانا خرجا مع الرشيد فقال: دفنت النحو والفقه في يوم واحد. وذلك سنة ثنتين أو ثلاث أو تسع وثمانين ومائة أو اثنتين وتسعين ومائة.

ثم صار الناس فريقين:

(كوفيا): وشيخهم الكسائي وتلميذه المبرد.

و **(بصريا):** وشيخهم سيبويه والأخفش تلميذه.

أما المبرود: فهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد. إمام العربية ببغداد في زمانه. أخذ عن الكسائي والأزدي وأبي حاتم السجستاني. وروى عنه إسماعيل الصفار ونفطويه والصولي. وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقة إخبارياً علامة صاحب نوادر وظرافة. وكان جميلاً لا سيما في صباه. كان الناس بالبصرة يقولون: ما رأى المبرد مثل نفسه. ولما صنف المازني كتاب: (الألف واللام) سأل المبرد عن دقيقة وعويصة فأجابه

بأحسن جواب. فقال له: قم فأنت المبرد بكسر الراء، المثبت للحق فغيره الكوفيون، وفتحوا الراء.

وله من التصانيف:

١ ــ معاني القرآن.
٢ ــ الكامل.
٣ ــ المقتضب.
٤ ــ الرواضة.
٥ ــ المقصور والممدود.
٦ ــ الاشتقاق.
٧ ــ القوافي.
٨ ــ إعراب القرآن.
٩ ــ نسب عدنان وقحطان.
١٠ ــ الرد على سيبويه.
١١ ــ شرح شواهد الكتاب.
١٢ ــ ضرورة الشعر.
١٣ ــ العروض.
١٤ ــ ما اتفق لفظه واختلف معناه.
١٥ ــ طبقات النحاة البصريين.

وغير ذلك.

قال السيرافي: وكان بينه وبين ثعلب من المنافرة ما صار مثلاً حتى قال الشاعر:

فابدانـنا في بلدة والتقاؤنا عسير كأنا ثعلب ومبرد

وأما الأخفش تلميذ سيبويه: فهو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين، إلا أن الحق أن الأخافش أربعة وسنذكرهم. كان مولى بني مجاشع بن دارم من أهل بلخ. وكان أفلح لا

ينطبق شفتاه على أسنانه. سكن البصرة وقرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه. ولم يأخذ عن الخليل. وكان معتزلياً. حدث عن الكلبي والنخعي وهشام ابن عروة. وروى عنه أبو حاتم السجستاني. ودخل بغداد وأقام بها مدة. وروى وصنف بها. قال: ولما ناظر سيبويه الكسائي ورجع وجه إلى فعرفني خبره ومضى إلى الأهواز وودعني فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة. فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان سلمت عليه وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها. فأراد أصحابه الوثوب عليَّ فنعهم عني ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه، ولما فرغت قال لي: بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة. فقلت: نعم. فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جنبه ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك و يتخرجوا عليك وتكون معي غير مفارق لي، فأجبته، إلى ذلك.

فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن، فألفت كتاباً في المعاني فجعله أمامه، وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفراء كتاباً في ذلك عليهما وقرأ عليه الكسائي (كتاب سيبويه) سراً ووهب له سبعين ديناراً. وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل.

صنف:

١ ــ الأوساط في النحو.
٢ ــ معاني القرآن.
٣ ــ المقاييس في النحو.
٤ ــ الاشتقاق.
٥ ــ المسائل الكبير.
٦ ــ الصغير.
٧ ــ العروض.
٨ ــ القوافي.

وغير ذلك.

(مات) سنة عشر أو إحدى وعشرين أو خمس عشرة ومائتين.

فائدة:

الأخافش ثلاثة:

(الأكبر): عبد الحميد بن عبد المجيد.

و (الأوسط): سعيد بن مسعدة.

و (الأصغر): علي بن سليمان.

وقيل: أربعة:

و (الرابع): أحمد بن عمران.

وقيل: أحد عشر:

و (الخامس): أحمد بن محمد الموصلي.

و (السادس): خلف بن عمر.

و (السابع): عبدالله بن محمد.

و (الثامن): عبد العزيز بن أحمد.

و (التاسع): علي بن محمد المغربي الشاعر.

و (العاشر): علي بن اسماعيل الفاطمي.

و (الحادي عشر): هارون بن موسى بن شريك.

ومن جملة تلامذة سيبويه:

قطرب: محمد بن المستنير أبو علي النحوي. لازم سيبويه، وكان يدلج إليه، فإذا خرج رآه على بابه فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل. فلقب به. وأخذ عن عيسى بن عمر. وكان يرى المعتزلة النظامية، فأخذ عن النظام مذهبه. واتصل بأبي دلف العجلي، وأدب ولده. ولم يكن ثقة. قال ابن السكيت: كتبت عنه قطراً ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً.

وله من التصانيف:

١ ــ معاني القرآن، لم يسبق إليه، وعليه احتذى الفراء.
٢ ــ الاشتقاق.
٣ ــ القوافي.
٤ ــ المثلث.
٥ ــ النوادر.
٦ ــ الصفات.
٧ ــ الأصوات.
٨ ــ العلل في النحو.
٩ ــ الأضداد.
١٠ ــ الهمز.
١١ ــ خلق الإنسان.
١٢ ــ خلق الفرس.
١٣ ــ اعراب القرآن.
١٤ ــ المصنف.
١٥ ــ الغريب في اللغة.
١٦ ــ مجاز القرآن.

وغير ذلك. (مات) سنة ست ومائتين.

ثم جاء:

صالح بن إسحاق بن عمرو الجرمي البصري مولي جرم بن ريان من قبائل اليمن وكان يلقب «بالكلب» وبـ «النباح» لصياحه حال مناظرة أبي زيد. قال الخطيب: كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة، ديناً، ورعاً، حسن المذهب، صحيح الاعتقاد. قدم بغداد وأخذ عن الأخفش و يونس، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة.

وحدث عنه المبرد وكان جليلاً في الحديث والأخبار. وناظر الفراء. وانتهى إليه علم النحو في زمانه. و (مات) سنة خمس وعشرين ومائتين.

وله من التصانيف:

١ ـ التنبيه.

وغيره.

ومن شركائه:

صالح بن بكر بن عثمان المازني. وقد عرفت ترجمته.

ثم جاء بعدهما:

محمد بن يزيد الملقب بالمبرد. وقد عرفت ترجمته.

ثم جاء بعده:

أبو إسحاق الزجاج.

وأبو بكر السراج.

وابن درستويه.

وأبو بكر محمد بن مزيد.

وأبو بكر محمد بن ميرمان.

وابن كيسان: وهو أخذ عن المبرد، وثعلب، إلا أن أخذه عن المبرد أغلب.

وابن مجاهد: صاحب القراءات أخذ عنهما، إلا أن أخذه عن ثعلب أغلب.

وأعلم أن:

الزجاج: هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج.

قال الخطيب: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب. كان يخرط الزجاج. وقال للمبرد: كسبي كل يوم درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي وأنا أعطيك كل يوم درهماً إلى أن يفرق الموت بيننا. ثم صار معلماً لأولاد بعض بني مارقة. فنفذ إليه في كل شهر ثلاثين درهماً. ثم طلب من المبرد عبيدالله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم. فقال له: لا أعرف

لك إلا رجلاً زجاجاً عند بني فلان. فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عني فأحضرت وأسلم القاسم إليَّ، وكنت أعطى المبرد بعد ذلك ألف درهم كل يوم إلى أن مات ولا أخليه من النقد. ثم ان القاسم نذر لي عشرين ألف دينار إن ولى الوزارة مكان أبيه، فما مضت إلا قليل حتى ولى الوزارة وصرت ملازماً له ونديمه. وهبت من أذكاره بالوعد. فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر. فقلت: عوّلت على رعاية الوزير أيده الله تعالى. وأنه لا يحتاج إلى اذكار بنذر عليه في أمر خادم واجب الحق. فقال: أخاف مقالة أهل النفاق في دفعه إليك دفعة، فخذ متفرقاً وجعلني على رقاع الناس في الحوائج الكبار، وآخذ منهم جعلا. وربما قال لي: حصل مال النذر، فكنت أقول: لا مع أنه قد حصل في أقل مدة إلى أن سألني يوماً فاستحيت من الكذب المتصل. فقلت: قد حصل ببركة الوزير. فقال: فرجت والله عني فقد كنت مشغول القلب.. ثم دفع لي بثلاثة آلاف دينار صلة. فلما كان من الغد لم أعرض عليه شيئاً، فقال: هات ما معك من الرقاع.

قلت: النذر وقع الوفاء به فقال: سبحان الله، أتراني أقطع كرماً صار عادة لي ولك، وعرفك الناس به، وصار لك به عندهم جاه، وربما يظنوا أن ذلك لضعف جاهك عندي. أعرض عليّ، وخذ بلا حساب. فقبلت يده ودمت على عملي إلى أن مات.

وله من التصانيف:

١ ــ معاني القرآن.

٢ ــ الاشتقاق.

٣ ــ خلق الإنسان.

٤ ــ فعلت وافعلت.

٥ ــ مختصر النحو.

٦ ــ خلق الفرس.

٧ ــ شرح أبيات سيبويه.

٨ ــ القوافي.

٩ ــ العروض.

١٠ ــ النوادر.

١١ ــ كتاب الأمالي.

١٢ ــ تفسير جامع النطق.

وغير ذلك. (مات) في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وسئل عن سنه عند الوفاة فعقد سبعين. وآخر ما سمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل، رضي الله عنه.

واعلم أن:

أبا بكر بن السراج هو: محمد بن السري البغدادي النحوي. قال المرزباني: كان أحدث أصحاب المبرد مع ذكاء وفطنة. قرأ عليه (كتاب سيبويه) ثم اشتغل بالموسيقى، فسئل عن مسألة بحضرة الزجاج، فأخطأ في جوابها، فوبخه الزجاج، وقال: مثلك يخطىء في مثل هذه المسألة. والله لو كنت في منزلي ضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك. فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق. وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن. ثم رجع إلى الكتاب ونظر في دقائقه وعول على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة. ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. أخذ عنه أبو القاسم الزجاجي، والسيرافي، والفارسي، والرماني. ولم تطل مدته و (مات) شاباً في ذي الحجة سنة ست عشر وثلاثمائة.

وله من الكتب:

١ ــ الأصول الكبير.

٢ ــ جمل الأصول.

٣ ــ الموجز.

٤ ــ شرح سيبويه.

٥ ــ الاشتقاق: لم يتم.

٦ ــ احتجاج القراءة.

٧ ــ الشعر والشعراء.

٨ ــ الجمل.

٩ ــ الرياح والهواء والنار.

١٠ ــ الخط.

١١ ــ والهجاء.

١٢ ــ المواصلات والمذكرات: في الأخبار.

وأعلم أن:

ابن درستويه: هو عبدالله أبو محمد بن جعفر بن درستويه بضم الدال والراء المهملتين، ابن المرزبان النحوي أحد من اشتهر وعلا قدره وكثر علمه، جيد التصنيف. صحب المبرد ولقي ابن قتيبة. وأخذ عنه الدارقطني، وغيره. وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة. وثقة ابن مندة وغيره، وضعفه هبة الله اللالكائي. ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين. (ومات) سنة سبع وأربعين وثلاثمائة..

صنف:

١ ــ الإرشاد في النحو.

٢ ــ شرح الفصيح.

٣ ــ الرد على المفضل.

٤ ــ الرد على الخليل.

٥ ــ غريب الحديث.

٦ ــ المقصور والممدود.

٧ ــ معاني الشعر.

٨ ــ أخبار النحاة.

وغير ذلك.

واعلم أن:

محمد بن مزيد هو: محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد، أبو بكر

الخزاعي، المعروف بابن أبي الأزهر النحوي، وسماه بعضهم محمد بن أحمد بن مزيد. قال الخطيب في (تاريخ بغداد): حدث عن المبرد وكان مستمليه، والزبير بن بكار وجماعة. وروى عنه أبو الفرج الأصبهاني، والمعافى بن زكريا، وأبو بكر بن شاذان، والدارقطني. وقال: كان ضعيفاً يروي المناكير. وقال غيره: كان كذاباً قبيح الكذب.

صنّف:

١ ــ الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز.
٢ ــ وأخبار عقلاء المجانين.

و (مات) سنة خمس وعشرين وثلاثمائة عن نيف وتسعين.

واعلم أن محمد بن ميرامان هو: محمد بن علي بن اسماعيل، أبو بكر العسكري، المعروف بميرمان. (ولد) بطريق رامهرمز، وأخذ عن المبرد، وأكثر بعده عن الزجاج. وكان قيماً بالنحو، أخذ عنه الفارسي، والسيرافي. وكان ضنيناً لا يقرىء (كتاب سيبويه) إلا بمائة دينار، فوعده أبو هاشم الجبائي، أضعاف ما أراده، على شرط أن يمهل في أداء المال، فلما تم الكتاب، أرسل إليه زنفيلجة حسنة مغشاة بالادم، محلاة، فملأها حجارة وقفلها وختمها، وحملها في منديل، فقال: فليكن عندك إلى أن يجيئني مال لي ببغداد، فلما رأى منظرها وثقلها لم يشك في أنها دراهم بل ذهب، ثم كتب إليه رقعة فيها: قد تعذر عليّ حضور المال، وأرهقني السفر، وقد أبحتك التصرف فيما عندك من المال. وخرج أبو هاشم لوقته إلى البصرة، ففتحها فإذا فيها حجارة، فقال: سخر منا أبو هاشم، لا حياه الله.

وكان ميرمان ــ مع علمه ــ ساقط المروءة، سخيفاً، إذا أراد أن يمضي إلى مكان بعيد، طرح نفسه في طبق حمال، وشده بحبل، وربما كان معه نبق أو غيره، فيأكل ويرمي الناس بالنوى يتعمد رؤوسهم، وربما بال على رأس الحمال، فإذا قيل له يعتذر.

وله :

١ ــ شرح كتاب سيبويه : لم يتم .
٢ ــ شرح شواهده .
٣ ــ شرح الأخفش .
٤ ــ النحو المجموع على العلل .
٥ ــ العيون .
٦ ــ التلقين المجازي .
٧ ــ صفة شكر المنعم .

قال الزبيدي : توفي ميرمان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

واعلم ان ابن كيسان: هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن كيسان، أبو الحسن النحوي.

قال الزبيدي: وليس هذا بالقديم الذي له: (العروض) و(المعمى). قال الخطيب: كان يحفظ المذهبين: البصري والكوفي في النحو، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب. وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: انه أنحى منهما. قال ياقوت: لكنه إلى مذهب البصريين أميل. وكان الأنباري يقول: خلط المذهبين، فلم يضبط منهما شيئاً.

قال أبو حيان التوحيدي: ما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم والتحف والنتف من مجلسه. وكان يجتمع على بابه، نحو من مائة رأس من الدواب، للرؤساء والأشراف الذين يقصدونه، وكان اقباله على صاحب الرقعة والخلق، كإقباله على صاحب الديباج والدابة والغلام.

ومن تصانيفه في النحو:

١ ــ المهذب .
٢ ــ غلط أدب الكاتب .
٣ ــ السلامات .
٤ ــ البرهان .

٥ ــ غريب الحديث.
٦ ــ معاني القرآن.
٧ ــ علل النحو.
٨ ــ مصابيح الكتاب.
٩ ــ ما اختلف فيه البصريون والكوفيون.

وغير ذلك. (مات) لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين. ولكن هذا سهو والأصح أنه مات سنة عشرين وثلاثمائة.

ثم جاء بعد هؤلاء:

أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي. و يقال له: الفسوي أيضاً لأنه ولد بمدينة فَسَا من أعمال فارس.

وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي.

وعلي بن عيسى الرماني.

ثم تلميذ لأبي علي وهو: أبو الفتح عثمان بن جني.

وابن أخته: محمد بن الحسين.

ثم تلميذ له: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: وفاق أكثر من تقدمه في التحقيق والتدقيق. ولو لم يكن له سوى:

١ ــ كتاب أسرار البلاغة.
٢ ــ دلائل الاعجاز.

لكفاه شرفاً وفخراً.

واعلم أن الفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الامام أبو علي الفارسي الفسري المشهور، أوحد زمانه في علم العربية. أخذ عن الزجاج، وابن السراج وطوف بلاد الشام. وكان يقول كثير من تلامذته: أنه أعلم من المبرد. و برع من طلبته جماعة: كابن جني، وعلي بن عيسى الربعي. وكان متهماً بالاعتزال وتقدم عند عضد الدولة. وله صنف:

١ ــ الإيضاح في النحو.

٢ ــ والتكملة في التصريف.

و يقال: انه لما عمل الإيضاح استقصره، وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئاً، وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى وصنف (التكملة)، وحملها إليه، فلما وقف عليها قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو.

ومن تصانيفه:

٣ ــ الحجة.

٤ ــ التذكرة.

٥ ــ أبيات الاعراب.

٦ ــ تعليقة على كتاب سيبو يه.

٧ ــ المسائل الحلبية.

٨ ــ البغدادية.

٩ ــ القعبرية.

١٠ ــ البصرية.

١١ ــ الشيرازية.

١٢ ــ العسكرية.

١٣ ــ الكرمانية.

١٤ ــ المقصور والممدود.

١٥ ــ الاغفال: وهو مسائل أصلحها على الزجاج.

وغير ذلك. (توفي) ببغداد سنة سبع وثلاثمائة.

وأما زيد بن علي بن عبدالله الفارسي: أبو القاسم الفسوي النحوي اللغوي. قال ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، وابن العديم في (تاريخ حلب): كان فاضلاً بعلم اللغة والنحو، عارفاً بعلوم كثيرة.

شرح:

١ ــ الإيضاح.

٢ ــ وحماسة أبي تمام.

وأقرأ النحو بحلب، وروى بها الإيضاح، عن أبي الحسن ابن أخت الفارسي، عن خاله؛ والحديث عن أبي نعيم الهروي وغيره. قرأ عليه الشريف أبو البركات عمر بن إبراهيم الكوفي، وسمع منه أبو الحسن علي بن طاهر، النحو وغير.

وسكن دمشق وأقرأ بها. و (مات) بطرابلس في ذي الحجة أو ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة.

وأما حسن بن عبدالله السيرافي: هو حسن بن عبدالله بن المرزبان القاضي، أبو سعيد السيرافي النحوي. قال ياقوت: كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فسماه أبو سعيد عبدالله. وكان أبو سعيد يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض. قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، وقرآهما عليه النحو، وأخذ هو النحو عن ابن السراج، ومبرمان، وأخذ عنه القرآن والحساب. وولي القضاء ببغداد. وقال أبو حيان التوحيدي في تقريظ الجاحظ: أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وامام الأئمة. له معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، رحمه الله تعالى، فما وجد له خطأ، ولا عثر له على زلة. وقضى ببغداد، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة. صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كله. وقال في (محاضرات العلماء): شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، ما رأيت أحفظ منه لجوامع الزهد نظماً ونثراً. وكان ديناً ورعاً تقياً نقياً زاهداً عابداً خاشعاً. له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام، ما قرىء عليه شيء قط، فيه ذكر الموت والبعث ونحوه إلا بكى، وجزع ونغص عليه يومه وليلته، وامتنع من الأكل والشرب، وما رأيت أحداً من المشايخ كان أذكر لحال الشباب، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه، وكان إذا رأى أحداً من أقرانه عاجلة الشيب تسلى به.

وقال في (الامتاع): هو أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، والزم للجادة الوسطى في الخلق والدين،

وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، كتب إليه ملوك عدة كتباً مصورة بتعظيمه، تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة، وكان حسن الخط. طلب أن يقرر في ديوان الافتاء، فامتنع وقال: هذا أمر يحتاج إلى دربة، وأنا عار منها، وسياسة وأنا غريب فيها. وقال الخطيب: كان زاهداً ورعاً لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كسب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون قدر مؤونته. وكان أبو علي وأصحابه يحسدونه كثيراً. (مولده) بسيراف قبل السبعين ومائتين، وفيها ابتدأ طلب العلم. وخرج إلى عمان وتفقه بها وأقام بالعسكر مدة، ثم ببغداد إلى أن (مات) بها في خلافة الطائع، يوم الإثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

وله من التصانيف:

١ ــ شرح كتاب سيبويه؛ لم يسبق إلى مثله، وحسده عليه أبو علي الفارسي وغيره من معاصريه.

٢ ــ وشرح الدريدية.

٣ ــ ألفات القطع والوصل.

٤ ــ الاقناع في النحو؛ لم يتمه فأتمه ولده يوسف، وكان يقول: وضع والدي النحو في المزابل بالإقناع: يعني أنه سهله جداً فلا يحتاج إلى مفسر.

٥ ــ شواهد سيبويه.

٦ ــ المدخل إلى كتاب سيبويه.

٧ ــ الوقف والابتداء.

٨ ــ صنعة الشعر والبلاغة.

٩ ــ أخبار النحاة البصريين؛ وهو كراسة كبيرة.

وأما الرماني: فهو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني. وكان يعرف أيضاً بالأخشيدي، وبالوراق، وهو بالرماني أشهر. كان إماماً في العربية، علامة في الأدب، في طبقة الفارسي والسيرافي، معتزلياً.

(ولد) سنة ست وسبعين ومائتين. وأخذ عن الزجاج، وابن السراج، وابن دريد. قال أبو حيان التوحيدي: لم ير مثله قط، علماً بالنحو، وغزارة بالكلام وبصيرا بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وإيضاحاً للمشكل، مع تأله وتنزه، ودين وفصاحة، وعفاف ونظافة، وكان يمزج النحو بالمنطق، حتى قال الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني، فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن، فليس معه شيء. قال السيوطي: النحو ما يقوله الفارسي، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما، ومن بعدهما بدهر، لم يعهد فيها شيء من ذلك.

صنَّف الرماني:

١ ــ التفسير.
٢ ــ الحدود الأكبر.
٣ ــ الأصغر.
٤ ــ شرح أصول ابن السراج.
٥ ــ شرح موجزة.
٦ ــ شرح سيبويه.
٧ ــ شرح مختصر الجرمي.
٨ ــ شرح الألف واللام للمازني.
٩ ــ شرح المقتضب.
١٠ ــ شرح الصفات.
١١ ــ معاني الحروف.

وغير ذلك. (مات) في حادي عشر جمادي الأولى، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وأما أبو الفتح عثمان بن جني: فقد عرفت حاله.

وأما ابن أخت أبي علي الفارسي: فهو محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث، أبو الحسين الفارسي النحوي. قال ياقوت: أخذ عن

خاله أبي علي الفارسي علم العربية، وطوف الآفاق، ورجع إلى الوطن. وكان خاله الفارسي علم العربية، وطوف الآفاق، ورجع إلى الوطن. وكان خاله أوفده على الصاحب بن عباد إلى الري، فارتضاه وأكرم مثواه؛ وورد خراسان ونزل نيسابور دفعات، وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان. وآل أمره إلى أن اختص بالأمير اسماعيل بن سبكتكين بغزنة ووزر له. ثم عاد إلى نيسابور، ثم جاور بمكة، ثم عاد إلى غزنة، ورجع إلى نيسابور ثم انتقل إلى اسْفَرايين، ثم استوطن جرجان إلى أن مات. وقرأ عليه أهلها؛ منهم: عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه.

وله تصانيف منها:

١ ــ كتاب في الهجاء.
٢ ــ كتاب مائية الشعر.

(مات) سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

وأما عبد القاهر الجرجاني: فهو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، الإمام المشهور أبو بكر. أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي، ولم يأخذ عن غيره، لأنه لم يخرج عن بلده. وكان من كبار أئمة العربية والبيان، شافعياً أشعرياً.

صنَّف:

١ ــ المغني في شرح الإيضاح.
٢ ــ المقتصد في شرحه.
٣ ــ اعجاز القرآن الكبير.
٤ ــ الصغير.
٥ ــ الجمل.
٦ ــ العوامل المائة.
٧ ــ العمدة في التصريف.

ومن جملة مصنفاته:

٨ ــ دلائل الاعجاز.

٩ ــ وأسرار البلاغة، في علمَيْ المعاني والبيان، وهما الآية الكبرى، واليد البيضاء في العلمين المذكورين، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذينك العلمين. وغير ذلك من التصانيف.

(مات) سنة إحدى أو أربع وسبعين وأربعمائة.

ومن شعره:

كبر على العلم يا خليلي ... ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حماراً تعش سعيداً ... فالسعد في طالع البهائم

قلت: هؤلاء الإعلام الذين ذكرتهم كلهم من تلامذة سيبويه امام أهل البصرة.

وأما تلامذة الكسائي امام أهل الكوفة فأشهر هؤلاء:

الفراء.

وبعده: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

وبعده: القاسم بن محمد الانباري.

أما الفراء: فهو يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي، امام العربية، أبو زكريا المعروفُ بالفراء. كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي؛ أخذ عنه وعليه اعتمد، وأخَذ عن يونس؛ وأهل الكوفة يدعون أنه استكثر عنه، وأهل البصرة يدفعون ذلك. وكان يحب الكلام ولا يميل إلى الاعتزال. وكان متديناً متورعاً على تيه وعجب وتعظم. وكان زائد العصبية على سيبويه، وكتابه تحت رأسه، وكان يتفلسف في تصانيفه، ويسلك ألفاظ الفلاسفة. وكان أكثر مقامه ببغداد، فإذا كان آخر السنة، أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً، يفرق في أهله ما جمعه. كان شديد المعاش، لا يأكل حتى لا يمسه الجوع، وجمع ما لا خلفه لابن له شاطر، صاحب سكاكين. وأبوه زياد: هو الأقطع، قطعت يده

في الحرب مع الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وكان مولى لأبي ثروان، وأبو ثروان مولى بني عبس.

صنّف الفراء:

١ ــ معاني القرآن.
٢ ــ البهي فيما يلحن فيه العامة.
٣ ــ اللغات.
٤ ــ المصادر في القرآن.
٥ ــ الجمع والتثنية في القرآن.
٦ ــ آلة الكتاب.
٧ ــ النوادر.
٨ ــ المقصور والممدود.
٩ ــ فعل وافعل.
١٠ ــ المذكر والمؤنث.
١١ ــ الحدود: يشتمل على ستة وأربعين حد في الإعراب.

وله غير ذلك. (مات) بطريق مكة سنة سبع ومائتين عن سبع وستين سنة.

وأما أبو العباس ثعلب: فهو أحمد بن يحيى يزيد بن سيار الشيباني، مولاهم البغدادي، الإمام أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة. (ولد) سنة مائتين، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة، وحفظ كتب الفراء، فلم يشذ منها حرف. وعني بالنحو أكثر من غيره، فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني والغريب. ولازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة، وسمع من محمد بن سلام الجمحي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم، وعبيدالله بن عمر القواريري الأصغر، ونفطويه، وأبي عمر الزاهد، وجمع.

قال بعضهم: إنما فضل أبو العباس أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور.

قال أبو الطيب اللغوي: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة، وعلى سلمة بن عاصم في النحو، ويروي عن ابن نجدة كتب أبي زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبي حفص كتب الأصمعي، وعن عمرو بن أبي عمرو كتب أبيه. وكان ثقة، متفنناً، يستغني بشهرته عن لغته. وكان ضيق النفقة مقتراً على نفسه.

قال أبو بكر بن مجاهد: قال لي ثعلب: يا أبا بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ماذا يكون حالي؛ فانصرفت من عنده، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، فقال لي: اقرأ أبا العباس مني السلام، وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل. وقال أبو عمرو الزاهد: سئل ثعلب عن شيء فقال: لا أدري، فقيل له: أتقول لا أدري، وإليك تضرب أكباد الإبل من كل بلد، فقال: لو كان لامك بعدد لا أدري بعير لاستغنيت.

صنّف:

١ ــ المصون في النحو.

٢ ــ اختلاف النحويين.

٣ ــ معاني القرآن.

٤ ــ معاني الشعر.

٥ ــ القراءات.

٦ ــ التصغير.

٧ ــ الوقف والابتداء.

٨ ــ الهجاء.

٩ ــ الأمالي.

١٠ ــ غريب القرآن.

١١ ــ الفصيح؛ وقيل: هو للحسن بن داود الرقي، وقيل: ليعقوب بن السكيت. وله أشياء أخرى.

وثقل سمعه بآخره، ثم صم، فانصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر، (وبيده كتاب ينظر فيه) وإذا بدواب من ورائه، فلم يسمع صوت حافرها، فصدمته، فسقط على رأسه في هوة من الطريق، فلم يقدر على القيام، فحمل إلى منزله، و (مات) منه يوم السبت لعشر خلون أو لثلاث عشرة بقيت من جمادي الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين. وخلف كتباً تساوي جملة ألفي دينار واحداً وعشرين ألف درهم؛ ودكاكين تساوي ثلاثة آلاف دينار، فرد ماله على ابنته.

وذكره الداني في (طبقات القراء)، فقال: روى القراءة عن سلمة بن عاصم، عن أبي الحارث، عن الكسائي، وعن الفراء، وله كتاب حسن فيها. روى القراءة عنه ابن مجاهد، وابن الأنباري، وغيرهما.

وأما ابن الأنباري: فهو قاسم بن محمد بن بشار، أبو محمد الأنباري النحوي. كان محدثاً إخبارياً، عارفاً بالأدب والغريب، ثقة، صاحب عربية. أخذ عن سلمة بن عاصم، وأبي عكرمة الضبي.

وصنّف:

١ ــ خلق الإنسان.
٢ ــ خلق الفرس.
٣ ــ الأمثال.
٤ ــ المقصور والممدود.
٥ ــ المذكر والمؤنث.
٦ ــ غريب الحديث.
٧ ــ شرح السبع الطوال.

(مات) في غرة ذي القعدة سنة أربع، أو صفر سنة خمس وثلاثمائة.

قلت: هذه مشاهير علماء الأدب، ولم يخلف من بعدهم مثلهم إلا قليلاً، وستعرفهم إن شاء الله تعالى.

خاتمة

في ذكر الكتب المشهورة المعتنى بها في علم النحو وبيان أحوال مصنفيها

ومن الكتب المختصرة فيه:

(مقدمة ابن الحاجب المسماة بالكافية): وقد عرفت ترجمة ابن الحاجب في علم الصرف عند ذكر (كتاب الشافية). والناس قد اعتنوا بكتاب الكافية أشد الاعتناء، بحيث لا يمكن احصاء شروحها، وهي حقيق بذلك.

وأجل شروحها الذي سار ذكره في الأمصار والأقطار مسير الصبا والأمطار: (شرح نجم الأئمة رضي الدين الاسترابادي)، وهو شرح عظيم الشأن، جامع لكل بيان وبرهان، تضمن من المسائل أفضلها وأعلاها، ولم يغادر من الفوائد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. قال السيوطي في (طبقات النحاة): الرضي الإمام المشهور، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب. الذي لم يؤلف عليها ولا في غالب كتب النحو مثله، جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل. وقد أكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم، في مصنفاتهم ودروسهم. وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها. ولقبه نجم الأئمة، ولم أقف على اسمه، ولا على شيء من ترجمته، إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح، سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وأخبرني صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم، بمكة، أن (وفاته) سنة أربع وثمانين أو ست، الشك مني وله: (شرح على الشافية). انتهى ما ذكره السيوطي.

قلت: أما ما سمعته من شأن هذا الكتاب، أن السعد التفتازاني سأل

بعضاً من الطلبة، أن الشريف الجرجاني بأي شيء يشتغل؛ قال: بشرح الكافية للشيخ رضي الدين، قال: لعله يريد أن يصنف شرحاً للمفتاح.

وللشريف الجرجاني (تعليقات) و (حواش) على هذا الشرح، رأيناها واستفدنا منها. و يروى أن نجم الأئمة رضي الدين، كان على مذهب الرفض. ويحكى عنه: أنه كان يقول: العدل في عمر ليس بتحقيق موضع قوله، العدل في عمر تقديري. نعوذ بالله من الغلو في البدعة والعصبية في الباطل. يقال: إنه ليس في المتأخرين من اطلع على تدقيقات كتاب سيبو يه مثله.

ومن شروح الكافية:

(شرح السيد ركن الدين) ثلاثة شروح: (كبير) و (متوسط) و (صغير).

وهذا (المتوسط) متداول بين الناس على أيدي المبتدئين. وصاحبه الحسن ابن محمد بن شرفشاه العلوي الاسترابادي، أبو الفضائل السيد ركن الدين. قال ابن رافع في (ذيل تاريخ بغداد): قدم مراغة، واشتغل على مولانا نصير الدين، وكان يتوقد ذكاء وفطنة. وكان المولى قطب الدين حينئذ في ممالك الروم، فقدمه النصير، وصار رئيس الأصحاب بمراغة. وكان يجيد درس الحكمة، وكتب الحواشي على (التجريد) وغيره، وكتب لولد النصير (شرحاً على قواعد العقائد).

ولما توجه النصير إلى بغداد، سنة اثنتين وسبعين وستمائة، لازمه، فلما مات النصير في هذه السنة، صعد إلى الموصل واستوطنها، ودرس بالمدرسة النورية بها، وفوض إليه النظر في أوقافها. و (شرح مقدمة ابن الحاجب) بثلاثة شروح أشهرها (المتوسط). وتكلم في أصول الفقه، وأخذ على السيف الآمدي، ثم فوض إليه تدريس الشافية بالسلطانية. و (مات) في رابع عشر صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة. وذكره الأسنوي في: (طبقات الشافعية)، وقال: شرح الحاوي، ومات سنة ثمان عشرة. وقال الصفدي: كان شديد التواضع، يقوم لكل أحد حتى السقاء، شديد الحلم، وافر الجلالة عند التتار. شرح (مختصر ابن الحاجب)، وشرح (الشافية في التصريف). وعاش بضعاً وسبعين سنة.

ومن شروح الكافية:

(شرح مولانا الخبيصي المسمى بالوشاح)؛ وهو قد بلغ النهاية في حسن الإيجاز مع تكثير للفوائد، والاستقصاء في الشواهد. قال السيوطي: أبو بكر لخبيصي صاحب (شرح الحاجبية) المشهور، وهو ممزوج مختصر متداول بين الناس، سماه (الموشح)، ولا أعرف من ترجمته زيادة على هذا.

قلت: خبيص: قرية من قرى كرمان، ونسبته إليها لا إلى بائع الخبيصة كما توهمه بعض الناس. وعلى هذا الشرح (تعليقات) و (فوائد) مهمة للسيد الشريف الجرجاني.

ومن شروح الكافية:

(شرح الهندي للكافية): ولعله لسراج الدين الهندي. وستعرف ترجمته في فن أصول الفقه لأنه أشهر بذلك من النحو.

ومن شروحها:

(شرح الفاضل السامي مولانا عبد الرحمن الجامي): بلغ غاية لا يمكن الزيادة عليها، في لطف التحرير، وحسن الترتيب، وشهرة حاله في بلادنا أغنت عن التعرض لترجمته. قدس سره.

ومن شروحها:

(شرح الكافية): لجلال الدين الغجدواني. وهو أحمد بن علي بن محمود، جلال الدين الغجدواني. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة إلا أن هذا الشرح مشهور بأيدي الناس لطيف، ذكر فيه أنه قرأ على الحسام السغناقي.

ومن شروح الكافية:

(شرح النجم السعيدي): وهو سعيد العجمي المشهور بالنجم سعيد، شارح الحاجبية. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة. وشرحه هذا كبير، جعله شرحاً للمتن، ولشرح المصنف للمتن وفيه أبحاث حسنة.

ومن شروح الكافية:

(شرح تقي الدين النيلي): وهو إبراهيم بن الحسين بن عبدالله بـن ابراهيم ابن ثابت الطائي.

ومن المختصرات في علم النحو:

(لب اللباب)، وعليه شروح، أحسنها وأفضلها:

(شرح السيد عبدالله بن محمد الحسيني العجمي السيد جمال الدين النُقْرة كار) بضم النون، وسكون القاف، وبالراء المهملة، معناه: صائغ الفضة، صاحب (شرح اللب) و(شرح اللباب) و(شرح الشافية) في التصريف، وهي تصانيف مشهورة ممزوجة متداولة بأيدي الناس. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة، إلا أنه ذكر في (شرح الشافية)، أنه ألفه للأمير الجامي، وهو قريب من الثمانمائة. ثم وقفت له على (شرح التخليص) ممزوج؛ ذكر فيه أنه ألفه للأمير منكلي يغلي. وله: (شرح على التنقيح في أصول الفقه) للفاضل صدر الشريعة. ورأيت في بعض نسخ هذا الشرح أنه أتم تصنيفه في يوم العيد من شوال سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

ومن المختصرات في علم النحو:

(لباب الأعراب): للامام الفاضل محمد بن محمد بن أحمد، تاج الدين الاسفرايني، صاحب (اللباب)، وصاحب (شرح المصباح المسمى بضوء المصباح) في النحو. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة.

وله شروح كثيرة منها:

(شرح السيد عبدالله) شارح اللب. وقد تقدم.

و(شرح قطب الدين الفالي) وهو محمد بن سعيد بن محمود بن أبي الفتح السيرافي المعروف بالفالي، صاحب (شرح اللباب). قال السيوطي لم أقف له على ترجمة.

و (شرح الامام الزوزني): وهو محمد بن عثمان بن محمد بن أبي علي العرض، بفتح الراء، الزوزني. وزُوْزَن بلد بين هراة ونيسابور.

و (شرح آخر موسوم بالعباب): ولم يتحقق اسم مؤلفه.

و (شرح مولانا شيخ علي الشهير بمصنفك)، كان رحمه الله من أولاد الإمام فخر الدين الرازي. وكان للإمام الرازي ولد اسمه محمد، وكان الإمام يحبه كثيراً، وأكثر مصنفاته صنفت لأجله، وقد ذكر اسمه في بعضها. ومات محمد في عنفوان شبابه. وولد له ولد بعد وفاته، وسموه أيضاً محمداً، وبلغ رتبة أبيه في العلم، ثم مات وخلف ولداً اسمه محمود، وبلغ هو أيضاً رتبة الكمال. ثم عزم سفر الحجاز، وخرج من هراة، ولما وصل بِسْطام، أكرمه أهلها، لمحبتهم في العلماء، سيما أولاد فخر الدين الرازي، فأقام هناك بحرمة وافرة. وخلف ولداً اسمه مسعود، وسعى في تحصيل العلم، لكنه لم يبلغ رتبة آبائه، وقنع برتبة الوعظ، لأنه لم يهاجر وطنه. وخلف ولداً اسمه محمد أيضاً، وحصل هو من العلوم ما يتقدي به أهل تلك البلاد. ثم خلف ولداً اسمه مجد الدين محمد وصار هو أيضاً مقتدى من الناس في العلم. وولد له ولد اسمه شيخ علي وهو الذي اشتهر بمولانا مصنفك لأنه صنف كتباً شريفة في حداثة سنه كما سنذكره. والكاف في لغة العجم للتصغير، فهو شيخ علي بن مجد الدين بن محمد بن مسعود بن محمود بن محمد بن محمد بن عمر، الشاهر وردي البسطامي الهروي الرازي العمري البكري. وكان الامام الرازي يصرح في مصنفاته، بأنه من أولاد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وعنهم. وذكر أهل التاريخ، أنه من أولاد أبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه.

وولد المولى مصنفك في سنة ثلاث وثمانمائة. وسافر مع أخيه إلى هراة لتحصيل العلم في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

وصنَّف:

١ ــ شرح الإرشاد: في سنة ثلاث وعشرين.

٢ ــ وشرح المصباح في النحو: في سنة خمس وعشرين.

٣ ــ وشرح آداب البحث: في سنة ست وعشرين بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ وشرح اللباب: في سنة ثمان وعشرين.

٥ ــ وشرح المطول: في سنة اثنتين وثلاثين.

٦ ــ وشرح شرح المفتاح للتفتازاني: في سنة أربع وثلاثين.

وصنَّف:

٧ ــ حاشية التلويح: في سنة خمس وثلاثين.

٨ ــ وشرح البردة: في تلك السنة أيضاً.

٩ ــ وكذا: شرح القصيدة الروحية لابن سينا.

ثم ارتحل في سنة تسع وثلاثين إلى هراة:

١٠ ــ وشرح هناك: الوقاية.

١١ ــ وشرح الهداية: سنة تسع وثلاثين.

وصنَّف في هذه السنة أيضاً:

١٢ ــ حدائق الإيمان لأهل العرفان.

ثم ارتحل سنة ثمان وأربعين إلى ممالك الروم. وصنَّف هناك في سنة خمسين وثمانمائة.

١٣ ــ وشرح المصابيح للبغوي؛ بإشارة حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم.

وشرح في تلك السنة أيضاً:

١٤ ــ شرح المفتاح الشريفي.

وصنَّف في هذه السنة أيضاً:

١٥ ــ حاشية شرح المطالع.

وأيضاً: ١٦ ــ شرح بعضاً من أصول فخر الإسلام البزدوي.

وصنَّف في سنة ست وخمسين:

١٧ ــ شرح الكشاف للزمخشري.

وصنَّف من الكتب على اللسان الفارسي:

١٨ ــ أنوار الأحداق.

١٩ ــ وحدائق الإيمان.

٢٠ ــ وتحفة السلاطين.

وصنَّف في تاريخ إحدى وستين:

٢١ ــ كتاب التحفة المحمودية، صنَّفه لأجل الوزير محمود باشا، صنَّفه على اللسان الفارسي في نصيحة الوزراء، وذكر هذه التواريخ في هذا الكتاب. وذكر فيه: أنه عزم على أن لا يصنف شيئاً بعده، اعتذاراً عنه بكبر السن، سيما الكتب الفارسية، وكان سنه إذ ذاك، على ما ذكره في ذلك الكتاب، ثمان وخمسين إلا أن له تصانيف أخر غير ما ذكره، ولم ندر أنه نقض عزيمته وصنفها بعدَ ذلك التاريخ، أو صنف قبلها ولم يذكر عند ذكر مصنفاته، وذلك:

٢٢ ــ كالتفسير الفارسي: رأينا منه المجلدة الأولى وهي: في (تفسير الفاتحة) خاصة، والمجلدة الأخيرة وهي من (سورة النبأ إلى آخر القرآن). ولقد أجاد في ترتيبه، واعتذر هو عن تأليفه على ذلك اللسان، وقال: كتبته بأمر السلطان محمد خان، والمأمور معذور.

وله أيضاً.

٢٣ ــ شرح الشمسية، على اللسان الفارسي.

وله أيضاً:

٢٤ ــ حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة.

وغير ذلك. ثم قال في (التحفة المحمودية) بعد ذكر نسبة: هؤلاء آباء الأبدان، وأما آباء الأرواح فكثيرة.

أما في العلوم العربية، فلي أستاذان:

(أولهما) مولانا جلال الدين يوسف الأوبهي، رحمه الله. كان من مقدمي علماء خراسان والعراق وما وراء النهر، وكان وحيد دهره في علم العربية سيما في حل (الكشاف)، و(المفتاح)، وكان يضرب به المثل في ذكاء الطبيعة وقوة القريحة. وكان من تلامذة مولانا سعد الدين التفتازاني، وقد أجازه التفتازاني من بين تلامذته بتغيير مصنفاته، وقال: أما بعد حمدالله والصلاة على رسول الله، فقد أجزت للمولى العالم الفاضل الكامل، جلال الدين يوسف ابن الإمام المرحوم ركن الدين مسيح، أن يروي عني مقروءاتي ومسموعاتي ومستجازاتي عموماً، ومصنفاتي خصوصاً؛ فقد قرأ الكثير وسمع الكثير مثل: (شرح الكشاف) و(المفتاح) وغيرهما، وأن يدر سهماً، و يصلح ما يتفق أنه من سهو البنان أو البيان، بعد التأمل والاحتياط، والمراجعة والمطالعة الوافرة؛ وهذا خط الفقير سعد التفتازاني، كتبه في آخر سفر حياته والاتصال بوفاته وهو: الأواخر من محرم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بسمرقند.

(والأسناد الثاني) في هذ العلوم: الفاضل العلامة، قطب الملة والدين، أحمد بن محمد بن محمود الأمامي الهروي، بلغه الله إلى أقصى ما يتمناه في دينه ودنياه، وفي آخرته وعقباه. وهو في هذه العلوم، تلميذ الأمام المحقق، الفاضل المدقق، الذي كان مع كبر سنه يضيء بين العلماء كالبدر بين النجوم، مولانا جلال الملة والدين يوسف الأوبهي المذكور، نور الله روحه، وكثر في كل لحظة فتحه وفتوحه. وهو تلميذ الأمام، أمام الدنيا، الذي أشرقت الأرض بنور علومه وتصنيفاته وتأليفاته، سعد الحق والملة والشريعة والدين التفتازاني، أحله دار رضوانه، وألبسه لباس عفوه وغفرانه.

وأما أستاذي في الفقه:

أما في فقه الشافعي: فهو الفاضل الكامل، الذي كان يستضيء الآفاق في حياته بنور تقواه، و يستفيد العالمون بنور فتواه: الامام الهمام، عبد العزيز بن أحمد بن عبد العزيز الأبهري، فقد قرأت كتاب (الحاوي) عنده، وكتب لي

أجازني في الدرس والفتوى، وكتاب إجازته طويل، إلا أن من جملة ما كتب في شأني، أنه قال: بعد ما سابق اقران قرنه في هذه الحلبة، وفاق على أبناء عصره في التحلي بهذه الحلية، وصار ممن يعول عليه وغض شبابه نضير ويرجع إليه وماله في الآفاق نظير، فأجزت له أن يدرس جميع الكتب المتداولة من كتب الفروع والأصول، ونسخ المعقول والمنقول، وأن يروي التفسير والحديث والفقه عني، وكل ما وضح وصح عنده أنه من مقروءاتي ومسموعاتي ومجازاتي بشرط الرعاية، لما شرط أهل الصناعة في الرواية، وأن يكتب في الحوادث الدينية، والوقائع الشرعية جواب الفتوى، بشرط الاحتياط والرجوع إلى الكتب مرة بعد أخرى، واختيار ما هو الأصح والأقوى. والله يعصمه وإياي من الميل واتباع الهوى؛ ثم قال: ثم اني أخذت الفقه عن شيخي ووالدي قدوة المحققين، زبدة المدققين، سيف الحق والشريعة والدين أحمد ابن المولى الفاضل الكامل العامل نظام الدين عبد العزيز الأبهري؛ وهو: عن الشيخ الفقيه النبيه غياث الدين محمد سبط، صاحب (الحاوي)؛ وهو: عن خاله جلال الحق والدين؛ عن أبيه نجم الدين عبد الغفار القزويني؛ عن الامام المحقق والحبر المدقق؛ أبي القاسم عبد الكريم الرافعي؛ عن أبيه الامام نور الدين الرافعي؛ عن الامام أبي منصور؛ عن الامام الهمام حجه الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي؛ عن امام الحرمين؛ عن أبيه الامام أبي محمد الجويني؛ عن الامام أبي بكر القفال؛ عن الامام أبي زيد المروزي؛ عن الامام أبي إسحاق الاسفرايني؛ عن ابن سريج؛ عن أبي القاسم الانماطي؛ عن الامامين اسماعيل والربيع؛ عن الامام الأعلم والهمام المكرم محمد بن إدريس الشافعي، رضي الله عنه وأرضاه؛ عن مسلم؛ عن ابن جريج؛ عن عطاء؛ عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

وبروايته أيضاً: عن نافع، عن ابن عمر، وهما رضي الله عنهما عن حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما في فقه أبي حنيفة رضي الله عنه: فشيخي وسندي وأستاذي هو الامام قدوة علماء الانام، فصيح الحق والملة والشريعة والدين، محمد بن محمد علا، أنزله في دار اكرامه منازل العلى، فلقد كان آية باهرة في الفتوى، وحجة

قاهرة في التقوى. ومن جملة ما قال هذا الفاضل في إجازته لي: وان من جملة من خص الله شأنه بالعلم، الذي هو الفضل العظيم والطول الجسيم، المولى الأعظم، المتحلي بأكارم الأخلاق وأحاسن الشيم، محقق معضلات الأصول والفروع، موضح مشكلات المعقول والمسموع، صاحب النصاب الكامل من العلوم، الغالب بوفور فضله على القروم، الذي مجمل العلوم عنده مفصل، ولباب الفنون له محصل، ذهنه الفائق الرائق كنز مشحون بجواهر الدقائق، والأخ في الله، السالك في حجة الانتباه، أبو المحامد شرف الملة والدين، شيخ علي ابن الامام المرحوم المبرور، مولانا مجد الدين محمد الشاهرودي البساطي، متع الله المستفيدين بأنفاسه النفيسة مدة طويلة؛ إلى أن قال: وسمع مني وقرأ عليّ وحقق لديّ الدفتر الأول من (الهداية)، للشيخ الرباني، والحبر الهمام الصمداني، شيخ الإسلام برهان الشريعة والملة والدين المرغيناني، جعل الله سعيه مشكوراً ولقاه نضرة وسروراً؛ وجرى بيننا مباحثات كثيرة بثيرة، ومناظرات غزيرة، فوقفت بتفتيشه على دقائق، كانت مستورة في خيام الاستتار، واطلعت بتنقيره على حدائق ذات بهجة تروق عيون أولى الأبصار؛ ثم قال: فأجزت له أن يروى عني التفسير والحديث والكلام، والفقه وأصوله، والأدب وما ينخرط في ذلك النظام، وأن يجيب بالبنان والبيان، في الحوادث اليومية، والنوازل الشرعية، بعد الاتقان والإيقان، وتتبع مختارات الروايات بقدر الوسع والإمكان، على مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة، عليه شآبيب الرحمة والرضوان.

ومن المختصرات في علم النحو:

(المصباح): للامام الطرزي. وقد سبق ترجمته في علم اللغة عند ذكر (المغرب) في لغة الفقهيات. وله شروح منها:

شرح مسمى (بضوء المصباح): للاسفرايني وقد تقدم هو. وله شرح آخر له سماه (بالمفتاح)، واختصر منه: (الضوء) وله شرح آخر، لمولانا مصنفك، وهو شرح لطيف نافع في الغاية.

ومن كتب النحو:

(العمدة): لابن مالك، وقد ذكرنا ترجمته؛ و (تسهيل الفوائد) له أيضاً، يكاد أن لا يخل بمسألة من النحو، لكن عباراته صعبة، لا ينتفع به المبتدي. وله أيضاً: (ألفية) أورد فيها مهمات (التسهيل). وعليها شروح مفيدة سيما (شرح بن قاسم). ومن جملة شروحها: (شرح ولد المصنف) رحمه الله؛ وهو: محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك، الامام بدر الدين ابن الامام جمال الدين، الطائي الدمشقي الشافعي النحوي ابن النحوي. قال الصفدي: كان اماماً ذكياً فهماً حاد الخاطر، اماماً في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض، جيد المشاركة في الفقه والأصول. أخذ عن والده ووقع بينه وبينه شيء فسكن بَعْلَبَكَّ فقرأ عليه جماعة: منهم بدر الدين بن زيده، فلما مات والده طلب إلى دمشق، وولي وظيفة والده، وتصدى للاشغال والتصنيف. وكان اللعب يغلب عليه، وعشرة من لا يصلح. وكان إماماً في مواد النظم من النحو والمعاني والبيان والعروض والبديع، ولم يقدر على نظم بين واحد بخلاف والده.

وله من التصانيف:

١ ــ شرح ألفية والده.

٢ ــ شرح الكافية.

٣ ــ شرح لاميته، لم يكمله.

٤ ــ شرح التسهيل، لم يتمه.

٥ ــ المصباح في اختصار المفتاح في المعاني.

٦ ــ روض الأزهار فيه.

٧ ــ شرح الملحة.

٨ ــ شرح الحاجبية.

٩ ــ مقدمة في العروض.

١٠ ــ مقدمة في المنطق.

وغير ذلك. (مات) بالقولنج بدمشق، يوم الأحد ثامن المحرم، سنة ست وثمانين وستمائة، وتأسف الناس عليه.

ومن جملة شروحها: (شرح ابن جابر).

وهو محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي أبو عبدالله الأعمى النحوي. ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة. وقرأ القرآن والنحو على محمد ابن يعيش، والفقه على محمد بن سعيد الراوندي، والحديث على أبي عبدالله الزواوي. ثم رحل إلى الديار المصرية، صحبة أحمد بن يوسف الرعيني. وهذان هما المشهوران بالأعمى والبصير. فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب، ولم يزالا هكذا على طول عمرهما وسمعا بمصر من أبي حيان، ودخلا الشام، وسمعا الحديث من المزي والجزري وابن كاميار. ثم قطنا حلب وحدثا بها عن المزي بصحيح البخاري، وسمع منها البرهان الحلبي.

ومن تصانيف ابن جابر:

١ ـ شرح الألفية لابن مالك. وهو كتاب مفيد يعتني بالأعراب للأبيات، هو جليل جداً نافع للمبتدئين؛ وله:

٢ ـ نظم الفصيح.

٣ ـ ونظم كفاية المتحفظ.

٤ ـ والحلة السيراء في مدح خير الورى؛ وهي بديعية ونظمها عال، لكنه أخل فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جداً، وأخبرني بعض أدباء صفد قدم علينا من القاهرة أنه رأى له:

٥ ـ شرحاً على ألفية ابن معطى، في ثمانية مجلدات، ولم أقف عليه. كذا ذكر السيوطي. (مات) في سنة ثمان وسبعمائة، وأجاز لمن أدرك حياته.

ورفيقه هو: أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي، غرناطي، أديب ماهر، (ولد) بعد السبعمائة. وكان من حاله ما سبق في ترجمة ابن جابر. وكان مقتدراً على النظم والنثر، عارفاً بالبديع وفنونه، ديناً، حسن الخلق حلو المحاضرة. شرح (بديعية) رفيقه. و(مات) قبله بسنة في رمضان سنة تسع وسبعين. وأجاز أيضاً لمن أدرك حياته.

وقبل هذا (ألفية لابن المعطى). وهو يحيى بن معطى بن عبد النور، أبو الحسين زين الدين الزواوي المغربي النحوي الحنفي. كان اماماً مبرزاً في العربية شاعراً محسناً قرأ على الجزولي، وسمع من ابن عساكر، واقرأ النحو بدمشق مدة، ثم بمصر، وتصدر بالجامع العتيق وحمل الناس عنه.

وصنَّف:

١ ــ الألفية في النحو.

٢ ــ الفصول له.

(ولد) سنة أربع وستين وخمسمائة، و (مات) في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وست مائة. و (ألفية) جلال الدين السيوطي أتى ما فيها وزيادة عليها مقدار الثلث.

ومن المنظومات:

(ملحة الأعراب) للحريري. وهو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري. وستقف على ترجمته عند ذكر المقامات، لأنه بها أشهر من غيرها.

و (أرجوزة الشيخ ابن الحاجب): نظم فيه على أحسن وجه خالياً من تكلف النظم.

ومن المبسوطات في كتب النحو:

(المفصل) للزمخشري، صاحب (الكشاف). وستقف على ترجمته عند ذكر الكشاف لأنه أشهر مصنفاته.

و (المقرب) لابن عصفور. وهو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، بن الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الأشبيلي، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس. وقد عرفت ترجمته عند ذكر (الممتع) في التصريف.

ومن المبسوطات: شروح المفصل، منها:

(الإيضاح): لابن الحاجب. وقد مرت ترجمته.

و (شرح ابن يعيش). وهو يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى النحوي الحلبي، موفق الدين أبو البقاء، المشهور بابن يعيش، وكان يعرف بابن الصانع أيضاً. بصاد مهملة ونون.

ولد: في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحلب.

وقرأ النحو على فتيان حلب وأبي العباس البيروري، وسمع الحديث على الرضي التكريتي وأبي الفضل الطوسي. ورحل إلى بغداد ليدرك أبا البركات الأنباري فبلغه خبر وفاته بالموصل. وكان من كبار أئمة العربية ماهراً في النحو والتصريف قدم دمشق وجالس الكندي، وتصدر بحلب للاقراء زماناً، وطال عمره، وشاع ذكره، وغالب فضلاء حلب تلامذته. وكان حسن الفهم، لطيف الكلام، طويل الروح على المبتدي والمنتهى ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار. حدث عنه جماعة آخرهم: أبو بكر الدبشتى.

وصنَّف:

١ ــ شرح المفصل.

٢ ــ شرح تصريف ابن جني.

(مات) في الخامس والعشرين من جمادي الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ومن شروح المفصل:

(الأقليد) للجندي؛ وشرح آخر مسمى (بالموصل) ولم أقف على ترجمة مؤلفها.

ومن الكتب المبسوطة:

كتاب (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب): لابن هشام. وله مختصر سماه: (قواعد الاعراب). وعليها شروح نافعة. وهو عبدالله بن يوسف بن

أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، الشيخ جمال الدين الحنبلي، النحوي الفاضل، العلامة المشهور، أبو محمد. قال في الدرر: ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة، ولزم الشهاب عبد اللطيف بن المرحل، وتلا على ابن السراج، وسمع على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمي، ولم يلازمه ولا قرأ عليه. وحضر دروس التاج التبريزي، وقرأ على التاج الفكهاني (شرح الإشارة) له إلا الورقة الأخيرة، وتفقه للشافعي ثم تحنبل، فحفظ (مختصر الخرقي) في دون أربعة أشهر، وذلك قبل موته بخمس سنين. وأتقن العربية، ففاق الأقران بل الشيوخ، وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم. تصدر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصريف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد، مسهباً وموجزاً، مع التواضع والبر والشفقة، ودماثة الخلق ورقة القلب. قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه. وكان كثير المخالفة لأبي حيان شديد الانحراف عنه.

صنَّف:

١ ــ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه، قال السيوطي: وقد كتبت عليه (حاشية) و (شرحاً لشواهده).

وصنَّف:

٢ ــ التوضيح على الألفية، مجلد.
٣ ــ رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة، أربعة مجلدات.
٤ ــ عمدة الطالبين في تحقيق تصريف ابن الحاجب، مجلدان.
٥ ــ التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل، عدة مجلدات.
٦ ــ شرح التسهيل، مسودة.
٧ ــ شرح الشواهد الكبرى.

٨ ــ والصغرى.

٩ ــ القواعد الكبرى.

١٠ ــ والصغرى.

١١ ــ شذور الذهب.

١٢ ــ شرحه.

قال السيوطي: وقد كتبت عليه حاشية لما قرىء عليّ.

١٣ ــ قطر الندى.

١٤ ــ شرحه.

١٥ ــ الجامع الكبير.

١٦ ــ الجامع الصغير.

١٧ ــ شرح اللمحة لأبي حيان.

١٨ ــ شرح بانت سعاد.

١٩ ــ وشرح البردة.

٢٠ ــ التذكرة، خمسة عشر مجلداً.

٢١ ــ المسائل السفرية في النحو. وغير ذلك.

وله عدة حواش على الألفية والتسهيل.

(توفي) ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبعمائة.

وأصل هذه الكتب وأجمعها، وأحسنها وأنفعها، ومقبول أفاضل الآفاق، ومقتدى الأدباء على الأطباق، كتاب الشيخ الامام، والفاضل الهمام، الشيخ الأكبر عمرو بن عثمان بن قنبر، روح الله روحه، وجزاه الله عنا وعن كافة المسلمين خير الجزاء. وقد عرفت ترجمة سيبويه فلا نعيدها.

علم المعاني

وهو تتبع خواص تراكيب الكلام، ومعرفة تفاوت المقامات، حتى يتمكن من الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الأول على الثاني، وذلك لأن للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء أما بسليقتهم أو بممارسة علم البلاغة.

وتلك الخواص، بعضها ذوقية، وبعضها استحسانية، وبعضها توابع ولوازم، له معاني الأصلية، لكن لزوماً معتبراً في عرف البلغاء، وإلا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة. وكذا مقامات الكلام متفاوتة، كمقام الشكر والشكاية والتهنئة والتعزية والجد والهزل، وغير ذلك من المقامات.

وكيفية تطبيق الخواص على المقامات، تستفاد من علم المعاني، ومداره على الاستحسانات العرفية.

وموضوعه: التراكيب الخبرية والطلبية، من حيث تطبيق خواصها على مقتضى الحال.

ومسائله: القواعد التي يتعرف منها أن أي مقام يقتضي أي خواص من الخواص.

ومبادئه: المسائل النحوية واللغوية. وبالجملة المسائل الأدبية كلها.

ودلائله: استقراء تراكيب البلغاء.

والغرض منه: تطبيق الكلام على مقتضى الحال.

وغايته: الاقتدار على التطبيق المذكور، وتمام تفصيل هذا المقام، لا يسعه نطاق الكلام.

وأما الكتب المصنفة في علم المعاني: فلما لم يفرز عن البيان والبديع، رأينا أن نذكرها بعد ذكر الجميع إن شاء الله تعالى. ولابن الهيثم البحريني كتاب في علم المعاني فقط.

علم البيان

وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد.

وغرضه: تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية، وفهم مدلولاتها، ليختار الأوضح منها مع فصاحة المفردات.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في تعيين المعنى المراد بالدلالات الواضحة.

ومبادئه: بعضها عقلية، كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات المجازية، ومراتب الكنايات؛ وبعضها وجدانية ذوقية، كوجوه التشبيهات وأقسام الاستعارات، وكيفية حسنها ولطفها.

وإنما اختاروا في علم البيان وضوح الدلالة، لأن بحثهم لما اقتصر على الدلالة العقلية أعني التضمنية والالتزامية ـ وكانت تلك الدلالات خفية، سيما إذا كان اللزوم بحسب العادات والطبائع، وبحسب الألف، فوجب التعبير عنها بلفظ أوضح؛ مثلاً إذا كان المرئي دقيقاً في الغاية، تحتاج الحاسة في إبصارها إلى شعاع قوي، بخلاف المرئي الجلي، وكذا الحال في الرؤية العقلية، أعني الفهم والإدراك.

والحاصل: أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني، المعتبرة فيها من الاستعارات والكفايات، مع وضوح الألفاظ الدالة عليها.

ومن الكتب المفردة فيه: (الجامع الكبير) لابن الأثير الجزري. وقد عرفت ترجمته في علم التفسير، لأن أجل مصنفاته (التفسير الكبير).

علم البديع

وهو علم باحث عن التراكيب العربية، من حيث وجوه تحسين الكلام بالحسن العرضي، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المرام.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث التحسين والتزيين العرضيين، بعد تكميله دائرتي الفصاحة والبلاغة.

وغرضه: تحصيل ملكة تحلية الكلام بالمحسنات العرضية.

وغايته: الاحتراز عن خلو الكلام عن التحلية المذكورة.

ومنفعته: التطرية لنشاط السامع وزيادة القبول في العقول.

ومبادئه: تتبع الخطب والرسائل والأشعار المتحلية بالصنائع البديعية.

وإنما دونوا هذا العلم، واعتبروا هذه الصنائع، لأن الأصل وإن كان الحسن الذاتي، وكان ذلك مما يكفي في تحصيله المعاني والبيان، لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضاً، لأن الحسناء إذا عريت عن المزينات، ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها الشريفة، فيفوته التمتع بها، وأما إذا طابقت الصورة والمعنى والذات والأوصاف، يستوفي منها الحظ كل الناظرين والمطالعين جمالها الحقيقي والمجازي. ولهذا اشترطوا فيها الحسن الذاتي أولاً وبالذات، لئلا يكون كالثياب الحسنة المزخرفة، على الشوهاء القبيحة الخرفة، أو كغمد من ذهب، على نثل من خشب، والحسن العرضي ثانياً وبالتبع، ليكون مقبولاً في البدء والختم.

ومن الكتب المختصة بعلم البديع:

(زهر الربيع) للمطرزي وقد عرفته.
و (كتاب البديع) للتغاشي.
و (تحرير التحبير) لابن أبي الأصبع.
و (شرح البديعيات) لابن حجة.

ومن الكتب المشتملة على الفنون الثلاثة:

(روض الأذهان)، وكذا: (المصباح) لابن مالك، وقد عرفته، و (كتاب مفتاح العلوم) للسكاكي اشتمل هذه الثلاثة، وقدم عليها الاشتقاق والصرف والنحو، وأورد عقيب الثلاثة المذكورة ــ بطريق التكملة ــ علم الاستدلال، وعلم العروض والقوافي، ودفع مطاعن القرآن.

قلت: السكاكي. هو أبو يعقوب يوسف السكاكي العلامة. كان علامة بارعاً في علوم شتى، خصوصاً المعاني والبيان. وله كتاب (مفتاح العلوم) في إثني عشر علماً من علوم العربية. ونقل عنه أبو حيان في (الإرتشاف) في مواضع، وقال فيه: إن السكاكي من أهل خوارزم. وذكر الشيخ سراج الدين البلقيني فقال: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي، سراج الدين الخوارزمي، إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال

والعروض والشعر، وله النصيب الوافر من علم الكلام وسائر العلوم، من رأى مصنفه علم تبحره ونبله وفضله. (مات) بخوارزم في أوائل شهر الله الأصم رجب، سنة ست وعشرين وستمائة. (وكانت ولادته) ليلة الثلاثاء من شهر جمادي الأولى، سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

شرح (المفتاح) المولى المؤذني؛ وشرح (القسم الثالث من المفتاح)، وذكر فيه العلوم الثلاثة المختصة بعلم البلاغة جماعة كثيرة، منهم: ناصر الدين الترمذي، والخلخالي، وعماد الدين الكاشي، ولم أقف على ترجمتهم. إلا أن الخلخالي: هو محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي شمس الدين. كان إماماً في العلوم العقلية والنقلية.

وله من التصانيف المشهورة:

١ ــ شرح المصابيح.
٢ ــ وشرح المختصر.
٣ ــ وشرح المفتاح.
٤ ــ وشرح التلخيص.

(مات) سنة خمس وأربعين وسبعمائة. وأفضل الشروح وأعلاها ثلاثة:

١ ــ شرح العلامة قطب الدين الشيرازي.
٢ ــ وشرح سعد الدين التفتازاني.
٣ ــ وشرح السيد الشريف الجرجاني.

أما العلامة قطب الدين الشيرازي: فهو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي الشافعي العلامة. (ولد) بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة. وكان أبوه طبيباً، فقرأ عليه وعلى عمه، والزكي الركشاوي، والشمس الكبي. ثم سافر إلى النصير الطوسي فقرأ عليه وبرع. ثم دخل الروم فأكرمه صاحبها. وولي قضاء سيواس ومَلْطيَة، وقدم الشام، ثم سكن تبريز، واقرأ بها العلوم العقلية. وحدث (بجامع الأصول) عن الصدر القونوي، عن يعقوب الهذباني، عن المصنف. وكان ينظر في (شرح السنة)

للبغوي. وكان يخالط الملوك، متحرزاً ظريفاً مزاحاً لا يحمل هما، ولا يغير زي الصوفية. وكان يجيد لعب الشطرنج و يديمه، و يتقن الشعبذة، و يضرب بالرباب. وكان من بحور العلم، ومن أذكياء العالم، يخضع للفقهاء، و يلازم الصلاة في الجماعة. وإذا صنف كتاباً صام ولازم السهرة، ومسودته مبيضته. وكان يصاحبه الملوك، ثم انقطع عن أبواب الأمراء إلى أن مات.

وله:

١ ــ شرح المختصر لابن الحاجب.

٢ ــ شرح المفتاح.

٣ ــ شرح كليات القانون لابن سينا.

٤ ــ وله شرح حكمة الاشراق.

٥ ــ وصنف كتاب درة التاج، على لسان الفارسية، أدرج فيه جميع أقسام الحكمة النظرية والعملية.

وصنَّف في الهيئة:

٦ ــ التحفة؛

٧ ــ ونهاية الإدراك.

وغير ذلك. ومصنفاته كثيرة كلها في غاية الحسن والإتقان.

(مات) في رابع رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة.

وأما سعد الدين التفتازاني: فهو مسعود بن القاضي فخر الدين عمر، ابن المولى الأعظم برهان الدين عبد الله، ابن الإمام الرباني شمس الحق والدين، القاري الشيخ سعد الدين التفتازاني، الإمام العلامة. عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعي. قال ابن حجر: (ولد) سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وأخذ عن القطب والعضد، وتقدم في الفنون، واشتهر ذكره وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه.

وله: ١ ــ شرح العضد؛

٢ ــ وشرح التلخيص مطول؛
٣ ــ وآخر مختصر؛
٤ ــ وشرح القسم الثالث من المفتاح؛
٥ ــ والتلويح في شرح التوضيح في الأصول؛
٦ ــ وشرح العقائد النسفية؛
٧ ــ والمقاصد؛
٨ ــ وشرحه في الكلام؛
٩ ــ وشرح الشمسية في المنطق؛
١٠ ــ وشرح تصريف الزنجاني؛
١١ ــ والارشاد في النحو؛
١٢ ــ وتهذيب المنطق والكلام؛
١٣ ــ وحاشية الكشاف، لم يتم؛
١٤ ــ وحاشية شرح العضد على مختصر ابن الحاجب.

وغير ذلك. وتصانيفه كثيرة. وكان في لسانه لكنة. وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق (مات) بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

قلت: ذكر مولانا فتح الله الشرواني في أوائل (شرحه للإرشاد)، للفاضل سعد الدين التفتازاني ــروح الله روحهــ وقال: لا بأس بذكر تاريخ تأليف الارشاد بل سائر مؤلفات المصنف، رحمه الله. لقد زرت مرقده المقدس بسرخس، فوجدت مكتوباً على صندوق مرقده من جانب القدم: ولد عليه الرحمة والرضوان، في صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة. وفرغ من تأليف:

١ ــ (شرح التصريف) الزنجاني، حين بلغ ست عشرة سنة، في الليلة الخامسة عشرة من شعبان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة؛

٢ ــ ومن (شرح تلخيص المفتاح)، في يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بهراة. قلت: وكان الإفتتاح في يوم الإثنين الثاني من رمضان، الواقع في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بجرجانية خوارزم؛

٣ ــ ومن (اختصاره)، في سنة ست وخمسين وسبعمائة بغُجْد وان؛

٤ ــ ومن (شرح الرسالة الشمسية)، في جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة بمزارجام؛

٥ ــ ومن (شرح التنقيح)، في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، بكلستان تُرْكستان؛

٦ ــ ومن (شرح العقائد)، في شعبان سنة ثمان وستين وسبعمائة؛

٧ ــ ومن (شرح المختصر) في الأصول، في ذي الحجة حجة سبعين وسبعمائة؛

٨ ــ ومن الرسالة الكريمة: (الارشاد)، سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، كلها بخوارزم؛

٩، ١٠ ــ ومن (مقاصد الكلام) و (شرحه)، في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وسبعمائة بسمرقند؛

١١ ــ ومن (تهذيب الكلام) في رجب؛

١٢ ــ ومن (شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم) في شوال، كليهما في سنة تسع وثمانين وسبعمائة بظاهر سمرقند.

١٣ ــ وشرع في تأليف (الفتوى الحنفية)، يوم الأحد التاسع من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبعمائة بهراة؛

١٤ ــ وفي تأليف (مفتاح الفقه) سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة؛

١٥ ــ وفي شرح (تلخيص الجامع) سنة خمس وثمانين وسبعمائة، كليهما في السرخس؛

١٦ ــ وفي (شرح الكشاف)، في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وسبعمائة، بظاهر سمرقند؛

(وتوفي) يوم الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بسمرقند، ونقل إلى سرخس، ودفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادي الأولى بهذه السنة، روح الله روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه.

وأما السيد الشريف الجرجاني: فهو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني. قال العيني في (تاريخه): عالم بلاد الشرق، كان علامة دهره،

وكانت بينه و بين الشيخ سعد الدين مباحثات ومحاورات في مجلس تيمور لنك.

وله تصانيف مفيدة منها:

١ ــ شرح المواقف للعضد؛
٢ ــ وحواشي شرح الأصفهاني للتجريد للنصير الطوسي؛

و يقال: ان مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً. (مات) سنة أربع عشرة وثمانمائة. هذا ما ذكره العيني. قال السيوطي:

ومن مصنفاته:

٣ ــ شرح القسم الثالث من المفتاح؛
٤ ــ وحاشية المطول؛
٥ ــ وحاشية المختصر؛
٦ ــ وحاشية الكشاف، لم يتم؛
٧ ــ وله رسالة في تحقيق معنى الحرف.

وأفادني سيدنا المؤرخ شمس الدين بن عزم، أن (مولد) الشريف الجرجاني بجرجان من ولاية أشتر آباذ، سنة أربعين وسبعمائة، وأنه (توفي) بشيراز، في سادس ربيع الثاني سنة ست عشرة وثمانمائة.

قلت: فمدة عمره ــ تغمده الله بغفرانه ــ ست وسبعون سنة.

نقل السيوطي عن شيخه محمد الكافيجي أنه قال: السيد الشريف وقطب الدين الرازي التحتاني لم يذوقا علم العربية، بل كانا حكيمين.

قلت: هذا الكلام خروج عن الانصاف، ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية، ومشاركتهما لسائر العلوم، عدم معرفتها، فانظر بالانصاف، في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية، قد عجز عنها القدماء من أرباب العلوم العربية.

وعين البغض تبرز كل عيب　　وعين الحب لا تجد العيونا

ومن الكتب النافعة في العلوم المذكورة: (تلخيص المفتاح) و (الإيضاح)، وهو يجري مجرى الشرح للتلخيص. كلاهما للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر ابن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن ابراهيم بن علي بن أحمد ابن دلف العجلي، أبو المعالي قاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي العلامة. قال ابن حجر: (ولد) سنة ستين وستمائة، واشتغل وتفقه، حتى ولى قضاء ناحية بالروم، وله دون العشرين، ثم قدم دمشق، واشتغل بالفنون، واتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان، وأخذ عن الأيكي وغيره، وسمع الحديث من العز الفاروقي وغيره، وخرج له البرزالي جزءاً حدث به. وكان فهماً ذكياً فصيحاً مفوهاً، حسن الإيراد، جميل الذات والهيئة والمكارم، جميل المحاضرة، حسن الملتقى، جواداً، حلو العبارة، حاد الذهن، منصفاً في البحث، مع الذكاء والذوق في الأدب وحسن الخط. وناب عن ابن صصري، ثم عزله. ثم ولى خطابة جامع دمشق، ثم طلبه الناصر، وقضى ديناً كان عليه، وولاه قاضياً بالشام، ثم طلبه إلى مصر وولاه قضاءها بعد صرف ابن جماعة، فصرف أموال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين، وعظم أمره جداً، وكان للفقراء ذخراً وملجأ. ثم أعيد إلى قضاء دمشق بسبب أولاده، وخصوصاً ابنه عبد الله، فإنه أسرف في اللهو والرشوة، ففرح به أهل الشام، فأقام قليلاً وتعلل وأصابه فالج، فمات منه، وأسفوا عليه كثيراً. وكان مليح الصورة، فصيح العبارة، كبير الذقن، موطأ الأكتاف، جم الفضيلة، محب الأدب يحاضر به ويستحضر نكتة، قوى الخط. ويقال إنه لم توجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلته، وله في ذلك وقائع. قلت: ولا أعلمه نظم شيئاً، مع قوة باعه في الأدب.

وله من التصانيف:

١ ــ تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان. وهو من أجل المختصرات فيه وأنفعها للناس. قال السيوطي: وملكته بخطه الحسن المليح ونظمته في أرجوزة؛

وله: ٢ ــ إيضاح التلخيص، وذلك يجري مجرى الشرح له؛

٣ ــ والسوار المرجاني من شعر الأرجاني؛

(مات) في منتصف جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

ثم أن (التلخيص) عليه شروح مفيدة، منها:

١ ــ شرح الخلخالي، وقد عرفته؛
٢ ــ وشرح الزوزني؛
٣ ــ وشرح التفتازاني المطول؛
٤ ــ والمختصر.

وقد عرفت ترجمتها.

وأما (الإيضاح) فلم نعرف له شرحاً غير:

١ ــ شرح مولانا جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي؛ ولم نعرف ترجمته؛

٢ ــ وغير شرح مولانا حيدر الشيرازي ثم الرومي برهان الدين. كان علامة بالمعاني والبيان والعربية، أخذ عن التفتازاني. و(شرح الإيضاح) للقزويني شرحاً ممزوجاً، وقدم الروم، وأقرأ وأفتى على مذهب أبي حنيفة، رضي الله عنه. و(مات) بعد العشرين وثمانمائة. قال السيوطي: أخذ عنه شيخنا محيى الدين الكافيجي، وذكره لنا هو وغيره.

ومن جملة من اختصر المفتاح: مولانا عضد الدين سماه (بالفوائد الغياثية). وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، القاضي عضد الدين الأيجي، العلامة الشافعي، المشهور بالعضد. قال في (الدرر): كان اماما في المعقول، قائماً بالأصول والمعاني والعربية، مشاركاً في الفنون، كريم النفس، كثير المال جداً، كثير الأنعام على الطلبة. (ولد) بعد السبعمائة، وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ زين الدين الهبكي تلميذ البيضاوي وغيره. وولي قضاء الممالك. وكان أنجب تلامذة عظاماً اشتهروا في الآفاق منهم:

الشيخ شمس الدين الكرماني، وسيف الدين الأبهري، والتفتازاني، والضياء القرمي.

وصنَّف:

١ ــ شرح مختصر ابن الحاجب؛

٢ ــ والمواقف؛
٣ ــ والفوائد الغياثية، في المعاني والبيان؛
٤ ــ ورسالته في الوضع.

وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة. و (مات) مسجوناً سنة ست وخمسين وسبعمائة.

وأورد ابن السبكي في (طبقات الشافعية)، ما كتبه عضد الدين، يستفتي به أهل عصره، فيما وقع في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [١] حيث قال: «من مثله» متعلق «بسورة» صفة لها، أي بسورة كائنة من مثله، والضمير، «لما نزلنا» أو «لعبده»، ويجوز أن يتعلق بقوله: فأتوا، والضمير للعبد، حيث جوز في الوجه الأول كون الضمير لما نزلنا تصريحاً، وحظره في الوجه الثاني تلويحاً. فليت شعري ما الفرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا، وفأتوا من مثل ما نزلنا بسورة. وكتب الجواب كثير من الفضلاء، سيما فخر الدين الجاربردى، إذ تعرض عضد الدين جواب الجار بردى، ثم رد جواب عضد الدين، ابراهيم ولد فخر الدين الجار بردى وأطالوا الكلام فيه، تركنا ذكرها لطولها ولعدم تعلق غرضنا بها.

وعلى (الفوائد الغياثية) شروح كثيرة، منها:

(شرح شمس الدين الكرماني). من تلامذته، وهو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني، ثم البغدادي، شمس الدين، صاحب (شرح البخاري)، الإمام العلامة في الفقه والحديث والتفسير والأصلين والمعاني والعربية. قال ابنه في (ذيل المسالك): (ولد) يوم الخميس سادس عشر جمادي الآخرة، سنة سبع عشرة وسبعمائة. وقرأ على والده بهاء الدين، ثم انتقل إلى كرمان، وأخذ عن العضد وغيره، وبهر وفاق أقرانه، وفضل غالب أهل زمانه. ثم دخل دمشق ومصر، وقرأ بها البخاري على ناصر الدين الفارقي، وسمع من جماعة، وحج ورجع إلى بغداد واستوطنها. وكان تام الخلق، فيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣.

بشاشة وتواضع للفقراء والعلماء، غير مكترث بأهل الدنيا ولا ملتفت إليهم، يأتي إليه السلاطين في بيته، و يسألونه الدعاء والنصيحة.

وله من التصانيف:

١ ــ شرح البخاري، أربعة مجلدات؛
٢ ــ وشرح المواقف؛
٣ ــ وشرح مختصر ابن الحاجب، سماه: السبعة السيارة؛
٤ ــ وشرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان؛
٥ ــ وشرح الجواهر؛
٦ ــ وأنموذج الكشاف؛
٧ ــ وحاشية على تفسير البيضاوي، وصل فيها إلى سورة يوسف؛
٨ ــ ورسالة في مسألة الكحل في الكافية.

(مات) بكرة يوم الخميس، سادس عشر المحرم، سنة ست وثمانين وسبعمائة، بطريق الحج، فنقل إلى بغداد، ودفن بقبر أعده لنفسه، بقرب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحمهما الله تعالى.

ومن شروح الفوائد الغياثية:

(شرح ابن السيد الشريف الجرجاني). وهو محمد بن علي الجرجاني ابن السيد الشريف المشهور صاحب التصانيف. قرأ على والده وبرع.

١ ــ وكمل حاشية أبيه على المتوسط؛
٢ ــ وشرح الارشاد في النحو للتفتازاني؛
٣ ــ وشرح الفوائد الغياثية، وهو شرح ممزوج لطيف في الغاية رأيناه واستفدنا منه؛
٤ ــ وشرح هداية الحكمة، وهو ممزوج أيضاً؛

وله:

٥ ــ رسالة مختصرة في المنطق: أورد ما يحتاج إليه، كتبها على أسلوب رسالة والده في المنطق، مع زيادات شريفة، لكن كتبها والده بالفارسية.

ومن شروح الفوائد:

(شرح سعد الدين الحلال)، بالمهملة، ولم أقف على ترجمته.

و (شرح آخر) ممزوج لطيف في الغاية، لكن لم أعرف اسم مصنفه. والله أعلم.

ومن الكتب المعتبرة في هذه الفنون:

(كتاب الوشاح) للمولى صدر الشريعة. وسنذكره في علم الفقه أو الأصول لأنه بها أشهر. ومن أراد الوقوف في علم البلاغة على العجب العجاب والتبحر في هذا الباب، فعليه بكتابي: (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة)، كلاهما من مؤلفات الشيخ عبد القاهر الجرجاني، لا زال من أن يتداركه اللطف السبحاني. وقيل: إن كتابيه في هذه الفنون بحران ينشعب منها العيون. والله ولي التوفيق.

علم العروض

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر، العارضة للألفاظ والتراكيب العربية.

وموضوعه: الألفاظ العربية، من حيث أنها معروض للإيقاعات المعتبرة في البحور الستة عشر عند العرب، على ما وضعه واضع هذا الفن الخليل بن أحمد. فعلى الأول يكون علم العروض من فروع الموسيقى؛ وعلى الثاني من فروع علم الشعر على مذهب المتأخرين؛ وان اعتبرت في الأشعار العربية يكون من فروع العلوم الأدبية، والمختار عندنا هذا؛

وغايته: الإحتراز عن الخطأ في إيراد الكلام على الإيقاعات المعتبرة؛

ومبادئه: مقدمات حاصلة من تتبع أشعار العرب.

وإنما جعلوا هذا العلم جزءاً من علم البلاغة، لأن الإيقاع بمنزلة الحسن العرضي، لتنشيط السامعين وتطريبهم زيادة طرب، فيتمكن الكلام المعتبر هو

فيه النفس أشد تمكن، وتتأثر منه النفس، فتقبلها أشد قبول. سيما إذا تضمن تخييلاً، سيما إذا كان ذلك التخييل والوزن، مناسباً لطبع السامع وحاله، كما يعرف تلك المناسبة المتدربون في ذلك العلم.

وقد يقال: لما توقف علم المعاني على تتبع التراكيب العربية، وكانت التراكيب قسمين: منظوم ومنثور؛ وتوقف معرفة المنظوم على علم العروض، جعلوه من العلوم العربية، لكن يكون حينئذ من مبادي علم المعاني، كالمحاضرات والتواريخ، لا قسماً برأسه من علم المعاني، كما ذكرناه أولاً، لكن الصحيح أنه قسم برأسه منه، لأنه المحسنات العرضية للكلام كما ذكرناه.

وأعلم: أن العروض يستغنى عنه السليم الطبع، المستكثر لأنواع الشعر، ولا ينتفع به البليد، ويحتاج إليه من عداهما وهم الأكثرون. وإن اجتمع الطبع والكسب فذلك غاية الحذق والمهارة.

وأعلم: أن الشعر عند الحكماء كلام مخيل موزون أو غير موزون، وجعلوا مدار الشعر على المخيلات التي تتأثر منها النفس قبضاً وبسطاً، حتى قيل: النفس في باب الأقدام والأحجام، طوع على التخييل من التصديق؛ وعند المتأخرين: كلام موزون مقفى، فاعتبروا القافية والوزن وتركوا التخييل؛ وعند بعضهم: كلام موزون عمداً، فهم تركوا التقفية والتخييل، إلا أنهم اعتبروا العمد، ليخرج ما وقع في التنزيل من الآيات الموزونة عن حد الشعر، إذ لا عمد فيها، بدليل قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾(١). لكن الحق وهو المختار عندي، اعتبار القيود المذكورة جميعاً من التخييل، وإلا يصير الكلام كتزين الشوهاء والوزن، وإلا ينقص لذة الطبع والتقفية، وإلا ينقص لذة السمع والعمد، وإلا يلزم وجود الشعر في القرآن «وما هو بقول شاعر». فالشعر: كلام مخيل، موزون، مقفى بطريق العمد. والتخييل: تأثير الكلام في النفس، بالقبض أو البسط، أو غيرهما، بحسب المعنى المراد منه. والوزن: عبارة عن هيئة تتبع نظام ترتيب المتحركات والساكنات، وتناسبها في العدد والمقدار، بيحث تجد النفس عند سماعها لذة مخصوصة ذوقية.

---

(١) سورة يس، آية: ٦٩.

واعلم: أو واضع هذا الفن خليل بن أحمد؛ تتبع أشعار العرب، وحصرها في خمسة عشر وزناً، وسمى كلاً منها بحراً، واعتبر في هذه البحور أربعاً وثلاثين عروضاً وثلاثة وستين ضرباً، وذكر من علل الزحارف ثلاثاً وعشرين علة. قيل: إنما وضعه خليل بن أحمد، وهذبه الجوهري، وزاد الأخفش بحراً آخر سماه المتدارك. قيل: استمسك خليل بن أحمد أستار الكعبة، وسأل الله تعالى أن يرزقه علماً لم يسبق إليه أحد؛ فأجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، فأعطاه هذا العلم، حتى أنه سماه باسم العروض تبركاً وتيمناً، لأن العروض من أسماء الكعبة. روى أن ابن المعتز قال: كان سبب استخراج الخليل هذا العلم، أنه مر بالبصرة في سكة القصارين، فسمع دق الكذنيق بأصوات مختلفة، فسمع من دار دق، ومن أخرى دق دق، ومن أخرى دقق دقق، فأعجبه ذلك، وقال: والله لأضعن على هذا المعنى علماً غامضاً، فوضع العروض على حدود الشعر.

قلت: الكُذينق، بضم الكاف، وكسر المعجمة، وسكون المثناه التحتانية، وفتح النون: شيء من جلود يدق به كالهاون.

ومن الكتب المختصرة في علم العروض:

(كتاب لأ بن مالك)، وقد عرفت ترجمته؛ و (عروض الورقة) للجوهري؛ و (لامية ابن الحاجب)، وقد عرفتها؛ وللأيمكي (مختصر) بديع؛

و (عروض ابن القطان)، وهو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز، المعروف بابن القطان، الشاعر البغدادي. سمع الحديث من جماعة، وسُمع عليه، وكان غاية في الخلاعة والمجون، كثير المزاح والمداعبة والهجاء، ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره. وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة. وله (ديوان شعر) أكثره جيد. (ولد) ضاحى نهار يوم الجمعة، سابع ذي الحجة، سنة ثمان أو سبع وسبعين وأربعمائة. و (توفي) يوم السبت، الثامن والعشرين من شهر رمضان، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ببغداد.

و (لامية صدر الدين الساوي)؛ و (شرحها) للإمام القزويني؛

و (شرح لامية ابن الحاجب) لجمال الدين بن واصل.

و (شفاء العليل في علم الخليل) لأمين الدين المحلى. وقد مدحه سراج الدين الوراق في قطعة له يمدح بها المحلى وهي هذه:

جزاك الله عن علم الخليل مجازاة الجليل عن الخليل
وكنا قد أيسنا منه حتى شفيت غليلنا بشفا العليل

والمحلى: هو محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن، أبو بكر الأنصاري، الشيخ أمين الدين المحلى. قال الذهبي: أحد أئمة النحو بالقاهرة، تصدر لاقرائه، وانتفع به الناس، وله شعر حسن وتصانيف حسنة، منها: (أرجوزة في العروض) (مات) في ذي القعدة، سنة ثلاث وسبعين وستمائة، عن ثلاث وسبعين.

ومن الكتب النافعة:

(عروض الخطيب التبريزي): وهو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني، أبو زكريا بن الخطيب التبريزي. قال ياقوت: وربما يقال له الخطيب وهو وهم. وكان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب، حجة صدوقاً ثبتاً، هاجر إلى أبي العلاء المعري، وأخذ عنه وعن عبيد الله الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان، وابن برهان، والمفضل القصباني، وعبد القاهر الجرجاني، وغيرهم. وسمع الحديث وكتب الأدب على خلق، منهم: القاضي أبو الطيب الطبري، وأبو القاسم التنوخي، والخطيب البغدادي. وأخذ عنه العلم موهوب الجواليقي وغيره، وروى عنه السلفي، وأبو الفضل بن ناصر. وولي تدريس الأدب بالنظامية، وخزانة الكتب بها. وانتهت إليه الرياسة في فنه، وشاع ذكره في الأقطار. وكان يدمن شرب الخمر و يلبس الحرير والعمائم المذهبة، وكان الناس يقرأون عليه تصانيفه وهو سكران. وكان أكولاً نهماً.

صنّف:

١ ــ شرح القصائد العشر؛

٢ ـــ تفسير القرآن؛
٣ ـــ الأعراب؛
٤ ـــ شرح اللمع؛
٥ ـــ الكافي في العروض والقوافي؛
٦ ـــ ثلاثة شروح على الحماسة؛
٧ ـــ شرح شعر المتنبي؛
٨ ـــ وشعر أبي تمام؛
٩ ـــ وشرح الدريدية؛
١٠ ـــ وشرح سقط الزند؛
١١ ـــ وشرح المفضليات؛
١٢ ـــ وتهذيب الاصلاح: لا بن السكيت.

وغير ذلك. (ولد) سنة احدى وعشرين وأربعمائة. (مات) فجأة في جمادي الأولى سنة اثنتين وخمسمائة.

ومن الكتب النافعة المفيدة:

(عروض أبي الجيش) الأنصاري الأندلسي، وهو أبو عبد الله محمد؛ و (شرحه داود القيصري) المدرس بمدرسة أزنيق من بلاد الروم؛ وشرحه أيضاً الياس بن ابراهيم الرومي سماه: (فتح النقوض في شرح العروض).

ومن الكتب النافعة في الغاية:

(القصيدة الخزرجية)، و (شرحها ابن داود الغربي).

وفيما أورده السكاكي في تكملة (مفتاح العلوم) كفاية في هذا العلم. والله أعلم.

علم القوافي

علم يبحث فيه عن تناسب اعجاز البيت وعيوبها.

وغرضه: تحصيل ملكة إيراد الأبيات، على اعجاز متناسبة خالية عن العيوب التي يتنفر عنها الطبع السليم، على الوجه الذي اعتبره العرب؛

وغايته: الإحتراز عن الخطأ فيه؛

ومبادئه: مقدمات حاصلة من تتبع اعجاز أشعار العرب.

ومن الكتب المختصرة فيه: (كتاب الأ يكي)؛

ومن المتوسطة:

(كتاب لأ بن القطاع). وهو علي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القطاع الصقلي. قال ياقوت: كان إمام وقته بمصر في علم العربية وفنون الأدب. قرأ على أبي بكر الصقلي، وروى عنه (الصحاح) للجوهري. وكان نقاد المصريين ينسبونه إلى التساهل في الرواية، وذلك أنه لما قدم مصر، سألوه عن (الصحاح)، فذكر أنه لم يصل إليهم، ثم لما رأى اشتغالهم به، ركب لهم اسناداً وأخذه الناس عنه مقلدين له.

صنَّف:

١ ــ أبنية الأفعال؛

٢ ــ أبنية الأسماء؛

٣ ــ حواشي الصحاح؛

٤ ــ تاريخ صقلية؛

٥ ــ الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة؛

وغير ذلك.

(ولد) سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. و (مات) سنة خمس أو أربع عشرة وخمسمائة، و (دفن) بقرب ضريح الإمام الشافعي، رحمه الله عليه.

ومن المبسوطة: (كتاب لأ بن سيدة)؛ و (كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي في شرح القصيدة الغراء والخريدة الحسناء) لصدر الدين الساوي؛ ولإبن عصفور (كتاب) جم الفوائد.

وما أورده السكاكي في كتاب (المفتاح) كاف فيه. وأكثر كتب العروض مذيلة بقلم القوافي.

علم قرض الشعر

علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية، لا من حيث الوزن والقافية، بل من حيث حسنها وقبحها من حيث أنها شعر؛ وحاصله: تتبع أحوال خاصة بالشعر، من حيث الحسن والقبح والجواز الإمتناع وأمثالها؛

وغرضه: تحصيل ملكة ايراد الشعر على تلك الأحوال الخاصة؛

وغايته: الإحتراز عن الخطأ في ذلك الإيراد؛

ومبادئه: مقدمات حاصلة من تتبع أشعار العرب؛ واستحسانات تقبلها الطباع السليمة. ورأيت كتاباً منظوماً في هذا العلم، وأنا في عنفوان الشباب، زمن اشتغالي بالعلوم الأدبية، لكن لم أتذكر اسمه وأسم مصنفه في هذا الآن، والله المستعان.

علم مبادي الشعر

علم باحث عن مقدمات تخييلية، يحصل منها الترغيب أو الترهيب، وتختلف تلك بحسب قوم قوم؛ وموضوعه: الشعر من حيث مقدماته المناسبة من تتبع الأمور التخييلية؛ ومباديه: تحصيل من تتبع أشعار الناس بحسب قوم قوم؛ والغرض منه: تحصيل ملكة إيراد الكلام الشعري على مواد متناسبة.

وغايته: الإحتراز عن الخطأ فيها. وكتاب الشعر من مواد الأقيسة المذكورة في الكتب الحكمية نافعة في هذا الباب.

علم الإنشاء

علم يبحث فيه عن المنثور، من حيث أنه بليغ وفصيح، ومشتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام.

وموضوعه، وغرضه، وغايته: ظاهرة مما ذكر. ومبادئه: مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم، سيا الحكمة العملية والعلوم الشرعية، وسير الكمل، وحكايات الأمم، ووصايا العقلاء، وغير ذلك من أمور لا تتناهى.

ومن الكتب المصنفة في هذا الباب:

(كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لأبي الفتح ابن الأثير الجزري. وهو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين. كان (مولده) بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل وحصل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيراً من الأحاديث، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئاً كثيراً من الأشعار. ثم قصد الملك الناصر صلاح الدين وأقام عنده مدة. ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده، فاستوزره وحسنت حاله عنده. وله أحوال اخر فيها طول.

وله من التصانيف:

(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر): وهو في مجلدين. جمع فيه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا أورده. (ولد) في يوم الخميس، العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر. و (توفي) في إحدى الجمادين أو في التاسع والعشرين من ربيع الآخر ــ وهو الأصح ــ سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد.

وكان له اخوان:

(أحدهما) مجد الدين أبو السعادات المبارك، صاحب كتاب (نهاية الحديث والأثر)، وقد تقدم ذكره في علم اللغة؛

(والآخر) أبو الحسن علي الملقب عز الدين، وسنذكره عند ذكر التواريخ لأنه صنف كتاب (الكامل)، وهو أجل التواريخ وأحسنها، وأنفعها.

وكان الأخوة الثلاثة كلهم فضلاء نجباء رؤوساء، أرباب التصانيف المقبولة، وقلما يتفق أخوة مثل هؤلاء.

ومن كتب الإنشاء:

(كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء) لموفق الدين. (ولد): هو في

آخر الجمادين، أو أول الربيعين، سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن.

وله:

١ ـــ كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم؛

٢ ـــ ومجموع. أختار فيه شعر أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وديك الجن؛ مجلد كبير.

٣ ـــ وله ديوان الترسل، في عدة مجلدات.

ومن العجب العجاب في علم الإنشاء:

(المقامات) للحريري. وقد عمل على أسلوبها كثير من الناس رأيت منها ثلاثة؛ و (تواريخ العبتي)؛ وهذان يمكن عدهما من المحاضرات أيضاً. و (قهوة الإنشاء) لأبي بكر ابن حجة أيضاً.

واعلم أن الحريري: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري، الإمام أبو محمد الحريري. (ولد) في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة. وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة. وتصانيفه تشهد بفضله وتقر بنبله، وكفى بفضله شاهداً، المقامات التي فاق بها الأوائل، وأعجز الأواخر. قال البندهي: كان سبب وضعها أن أبا زيد السروجي ورد البصرة، وكان شيخاً شحاذاً بليغاً فصيحاً، فوقف في مسجد بني حرام، فسلم ثم سأل الناس، والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبهم فصاحته وحسن صياغة كلامه، وذكر أسر الروم ولده، كما ذكر في المقامة الحرامية قال الحريري: فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم فضلاء، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل، فحكى كل واحد منهم، أنه سمع من هذا السائل في مسجده، في معنى آخر، فصلاً أحسن مما سمعت، وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله، ويظهر في فنون الحيلة فضله، فتعجبوا منه، فأنشأت (المقامة الحرامية)، ثم بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أول شيء صنعته. وذكر ابن الجوزي بعد هذا الكلام: أنه عرض الحرامية على الوزير ابن الجوزي بعد هذا الكلام: أنه عرض الحرامية على الوزير أنو شروان فاستحسنها، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها، فأتمها خمسين.

وقال ياقوت: بلغني أنه لما صنع (الحرامية)، أصعد إلى بغداد، فدخل إلى السلطان ومجلسه غاص بالفضلاء، فطلبوا منه شيئاً يدل على فضله في الكتابة، فأخذ بيده قلماً وقال: كل ما يتعلق بهذا، وأشار إلى القلم، فأجاب كل من سأله شيئاً بما استحسنه، حتى بهرهم. فبلغ الخبر الوزير أنو شروان، فطلبه، فانتهى حديثهما إلى (المقامة الحرامية)، فأراها إياه فاستحسنها جداً، وقال: ينبغي لك أن تزيد على هذه، فقال: أصنع بالبصرة إذ يجتمع خاطري، فعمل أربعين مقامة فعرضها على الوزير. وقال بعض حساده: انها لرجل استضاف به، ومات عنده، فامتحنوه بمقامة أخرى يضعها عندهم، فجلس في منزله ببغداد أربعين ليلة فلم يتهيأ له ترتيب كلمتين، مع أنه سوذ كثيراً من الكاغد، فعاد إلى البصرة، وعمل عشر مقامات وأضافها إليها، وأصعد إلى بغداد، فحينئذ بان فضله وعلموا أنه من عمله. وكان (مولده) ببلد قريب من البصرة يقال لها المشان. وكان الحريري دميماً مبتلى بنتف لحيته فقيل فيه:

شيخ لنا من ربيعة الفرس ... ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد ... ألجمه في العراق بالخرس

قيل: إنه كتب سبعمائة نسخة من المقامات بخطه وقرئت عليه.

وله أيضاً:

١ ــ درة الغواص في أوهام الخواص؛
٢ ــ الملحة؛
٣ ــ وشرحاً؛
٤ ــ ورسائله؛
٥ ــ وديوان شعره.

(مات) بالبصرة في سادس رجب سنة ست عشرة وخمسمائة.

وأما (تواريخ العتبي): فهو لأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي.

ذكر فيه أحوال محمود بن سبكتكين، وحروبه مع الأعداء. وهذا الكتاب علم في الفصاحة والبلاغة واللطافة.

وأما ابن حجة: فهو تقي الدين أبو بكر بن حجة، صاحب (شرح البديعيات)، وغير ذلك من التصانيف.

علم مبادىء الإنشاء وأدواته

وهو علم باحث عما يحتاج إليه المنشىء من الخط، والعربية، والعلوم الشرعية، والتواريخ، وما يناسب ذلك. وموضوعه، وغايته، وغرضه ظاهر للمتدبر.

ومن المصنفات في هذا العلم، بحيث لا يغادر قليلاً ولا كثيراً إلا أحصاها. ولا يدع شيئاً من المهمات إلا كشف عنها واستقصاها:

(كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء)، للشيخ الإمام العلامة جامع أشتات الفنون، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي الشافعي. وهو كتاب نافع في بابه في الغاية. ولقد طالعت بعضاً منه وانتفعت به، لكن لم أقف على ترجمة مصنفه إلا أنه مصري الدار وكاتب الإنشاء بالديار المصرية.

(مات) في جمادي الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة عن خمس وستين. كذا في (تاريخ السخاوي).

ومن الكتب النافعة المختصرة في صناعة الإنشاء:

(كتاب مناظر الإنشاء) لمحمود الشهير بخواجة جهان، إلا أنه وقع باللسان الفارسي، وصاحبه من مشاهير الدنيا، وكان ذا ثروة ومال عظيم، وكان يصل احسانه من الهند إلى علماء الروم وفضلاء العجم. و يقال: إنه كان وزيراً في بلاد الهند.

علم المحاضرة

وهو علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير، مناسب للمقام من جهة معانيها الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص؛ وغرضه: تحصيل تلك الملكة، وفائدته: الإحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير، على ما يقتضيه مقام

التخاطب، من جهة معانيها الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه. والفرق بينه وبين علم المعاني: أن المعاني تطبيق المتكلم كلامه على مقتضى الحال، وكلام الغير على خواص لائقة بحاله؛ والمحاضرات: استعمال كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية. وموضوعه، وغايته، وغرضه، ومباديه ظاهرة للمتدبر.

ومن الكتب المصنفة فيه:

(ربيع الأبرار) لجار الله العلامة الزمخشري، رحمه الله. وستقف على ترجمته عند ذكر (الكشاف) في التفاسير.

و (فنون المحاضرة) للراغب الأصفهاني، وهو المفضل بن محمد الأصبهاني، أبو القاسم الراغب، صاحب المصنفات. كان في أوائل المائة الخامسة.

وله:

١ ــ مفردات القرآن؛
٢ ــ وأفانين البلاغة؛
٣ ــ والمحاضرات؛
٤ ــ وله تفسير سمعناه من بعض الثقات؛
٥ ــ وله تفصيل النشأتين؛
٦ ــ وله كتاب الذريعة في أحكام الشريعة.

والناس يظنون أنه معتزلي، لكن قال السيوطي: رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي، على ظهر نسخة من (القواعد الصغرى) لابن عبد السلام، ما نصه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس) في الأصول، أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة، وقرنه بالغزالي. وهذه فائدة حسنة فلا عبرة بظنون الناس «وإن بعض الظن اثم».

ومن كتب المحاضرات:

(التذكرة الحمدونية): وهي لأبي المعالي محمد بن أبي سعد بن الحسن بن

محمد بن علي بن حمدون، الكاتب الملقب كافي الكفاة، بهاء الدين البغدادي. كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل، هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر. وسمع أبو المعالي من أبي القاسم اسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره. صنف: كتاب (التذكرة)، وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ، والأدب، والنوادر، والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، وهو من الكتب الممتعة، مشهور، كثير الوجود بأيدي الناس.

(ولد) في رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة. و (توفي) يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة، سنة اثنتين وستين وخمسمائة، ودفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد. وكان موته في الحبس، رحمه الله تعالى.

ومن كتب المحاضرات:

(ريحانة الأدب) لا بن سعد، ولم أقف على ترجمته.

و (العقد الفريد) لأ بن عبد ربه. وهو أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم الأموي. كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس.

وصنف كتابه (العقد)، وهو من الكتب الممتعة حوى من كلٰ شيء.

وله: (ديوان شعر) جديد، يشتمل أشعاره كل معنى مليح، وكل لفظ فصيح.

وكانت (ولادته) في عاشر شهر رمضان، سنة ست وأربعين ومائتين.

و (توفي) يوم الأحد، ثامن عشر جمادي الأولى، سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام.

ومن كتب المحاضرات: (فصل الخطاب) للتيفاشي؛ و (نثر الدرر) للآبي؛ و (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني. وهو علي بن الحسين بن محمد بن

أحمد القرشي الأموي الكاتب الأصبهاني، صاحب كتاب (الأغاني).

(ولد) بأصبهان ونشأ ببغداد. كان من أعيان أدبائها، وعالماً بأيام الناس والأنساب والسير. وكان من المتشيعين. وكان يحفظ اللغة والنحو والصرف والسير والمغازي والشعر والأغاني. وكان يعرف من آلة المنادمة شيئاً كثيراً، مثل علم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم. وشعره يجمع اتقان العلماء وإحسان الظرفاء.

وله المصنفات المستملحة منها:

١ ــ كتاب الأغاني، الذي وقع الإتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله. يقال: جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه وحكى عن الصاحب بن عباد، أنه كان في أسفاره وتنقلاته، يستصحب حمل ثلاثين جملاً من الكتب، فلما وصل إليه كتاب (الأغاني) استغنى به عنها.

ومن مصنفاته:

٢ ــ كتاب جمهرة النسب؛
٣ ــ وكتاب الغلمان المغنين؛
٤ ــ وكتاب الأماء الشواعر.

وغير ذلك. وأشعاره كثيرة، ومآثره شهيرة.

(ولد) سنة أربع وثمانين ومائتين. وفي هذه السنة مات البحتري الشاعر و (توفي) في يوم الأربعاء، رابع عشر ذي الحجة، سنة ست وخمسين وثلاثمائة ببغداد، وقيل: سنة سبع وخمسين، والأول أصح.

ومن كتب المحاضرات:

(السكردان) لأبن أبي حجلة. وهو أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة، نزيل دمشق ثم القاهرة، شهاب

الدين أبو العباس. (ولد) بزاوية جده بتلمسان سنة خمس وعشرين وسبعمائة، واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع. ومهر في الأدب، ونظم الكثير ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها. وكان حنفي المذهب، حنبلي المعتقد. وكان كثير الحط على الإتحادية. وصنف كتاباً عارض به قصائد ابن الفارض، كلها نبوية. وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويحط على نحلته، ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم. وقد امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي. وكان يقول الشعر مع أنه لا يحسن العروض. وكان كثير العشرة للظلمة ومدمني الخمر. وكان جده من الصالحين. وسمي بأبي حجلة لأن حجلة أتت إليه وباضت على كمه. وكان كثير النوادر والنكت ومكارم الأخلاق.

وجمع مجاميع حسنة منها:

١ ــ ديوان الصبابة.

٢ ــ ومنطق الطير.

٣ ــ والسجع الجليل فيما جرى من النيل.

٤ ــ والسكردان.

٥ ــ والأدب الغض.

٦ ــ وأطيب الطيب.

٧ ــ ومواصيل المقاطيع.

٨ ــ والنعمة الشاملة في العشرة الكاملة.

٩ ــ وحاطب ليل، عمله كالتذكرة في مجلدات كثيرة.

١٠ ــ وبحر أعداء البحر.

١١ ــ وعنوان السعادة.

١٢ ــ ودليل الموت على الشهادة.

١٣ ــ وقصيرات الحجال.

(مات) في مستهل ذي الحجة، سنة ست وسبعين وسبعمائة، وله إحدى وخمسون سنة.

ومن كتب المحاضرات:

(حياة الحيوان) لكمال الدين الدميري، ولها (كبرى) و (صغرى) وهو كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي المصري، صاحب التصانيف المفيدة في علوم عديدة. كان كثير العبادة، ملازماً للصوم، عديم النظير في وقته. وكان يكتسب أولاً بالخياطة ثم تركه. ولم يتقلد القضاء أصلاً، ولا لبس ثياباً فاخرة تواضعاً، وما رؤى راكباً قط. أخذ عن الأسنوي والعراقي وأعيان العلماء. ومن تأمل كتابه المذكور وما أودعه فيه من الغرائب والفوائد والعلوم المفيدة عرف فضله.

(ولد) سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. و (توفي) بالقاهرة سنة ثمان وثمانمائة.

قلت: الدميري، منهم من يقول بكسر المهملة وكسر الميم، ومنهم من يقول بضم الأول وفتح الثاني على زنة التصغير، ومنهم من يقول بفتح الدال وكسر الميم. ولعل الصواب هو الأخير، لأني وجدته مضبوطاً كذلك بخط بعض الثقات. قلت: وبعد مدة رأيت في كتاب (الجواهر المضية في طبقات الحنفية)، في كتاب الأنساب الذي أورده ذيلاً للكتاب، ما صورته (الدَمِيْري) بفتح الدال وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء، قرية بمصر. هذا ما ذكره، والله أعلم.

ومن كتب المحاضرات:

(مؤنس الوحيد) للثعالبي، صاحب كتاب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها. والثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب.

وله:

١ ـــ كتاب فقه اللغة.
٢ ـــ وسحر البلاغة.

٣ ــ ونشر البلاغة.

٤ ــ ومن غاب عنه المطرب.

قال ابن بسام صاحب (الذخيرة) في حقه: كان في وقته راعي تلَعَاتِ العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه. وامام المصنفين بحكم قرانه، سار ذكره مسير المثل، وضربت إليه آباط الأبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب. (ولد) سنة خمسين وثلاثمائة.. و(توفي) سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ومن لطائف كتب المحاضرات:

(محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) للشيخ الإمام، العالم الرباني، والبحر الصمداني، مرشد السالكين، ومنقذ الهالكين، الشيخ أبي عبد الله محيى الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي، الحاتمي الطائي الأندلسي، قدس الله سره العزيز. كان جليل الشأن، نسيج وحده في العرفان. وله المصنفات الوافرة، والمؤلفات الزاخرة. وتصانيفه لا تحصى، ومنها:

١ ــ الفتوحات المكية: التي ضمن فيها غريب المعارف الكشفية والذوقية.

٢ ــ وكذلك الفصوص.

(توفي) سنة ثمان وثلاثين وستمائة. و(مولده) في رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية. وعنه أخذ الشيخ شرف الدين بن الفارض، وستعرفه، والشيخ صدر الدين القونوي، وسنذكره إن شاء الله تعالى. قال الجزري: قرأ القراءات بالأندلس، روى عن المشايخ، وروى عنه المشايخ. توفي بدمشق ودفن بالصالحية بتربة بني الذكي، وقبره بها ظاهر يزار.

ومن كتب المحاضرات:

(سلوان المطاع في عدوان الاتباع) لأبن ظفر. وهو أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين، أحد الأدباء الفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة، منها:

١ ــ سلوان المطاع في عدوان الاتباع، صنفه لبعض الأمراء بصقلية.
٢ ــ خبر البشر بخير البشر.
٣ ــ وتفسير كبير اسمه الينبوع.
٤ ــ وتجباء الأبناء.
٥ ــ وحاشية درة الغواص للحريري.
٦ ــ وشرح المقامات للحريري، وهو اثنان: (صغير) و (كبير)، وغير ذلك.

وكان قصير القامة، دميم الخلقة، غير صبيح الوجه. وله شعر. وكانت نشأته بمكة. و (مولده) بصقلية، وتنقل في البلاد، وسكن آخر الوقت بمدينة حماة، و (توفي) بها سنة خمس وستين وخمسمائة. ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات. قيل: زوج ابنته في حماة بغير يكفو من الحاجة والضرورة، وأن الزوج رحل بها من حماة، وباعها في بعض البلاد.

ومن كتب المحاضرات: (كتاب المحاضرات والمناظرات)! (كتاب الإمتاع والمؤانسة). كلاهما لأبي حيان التوحيدي وهو علي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي، نسبة إلى نوع من التمريسي التوحيد. قال ابن حجر: يحتمل أن ينسب إلى التوحيد الذي هو الدين، فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد. شيرازي الأصل، وقيل: نيسابوري. كان متفنناً في جميع العلوم، من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام، معتزلياً يسلك مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية، فيلسوف الأدباء، أديب الفلاسفة، امام البلغاء، لكن كان سخيف اللسان، قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان، فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة، واسع الرواية والدراية، يتشكى من زمانه، و يبكي في تصانيفه على حرمانه. أقام ببغداد مدة، ومضى إلى الري وصحب أبا الفضل بن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمدهما، وصنف في مثالبهما كتاباً.

وصنَّف:

١ ــ الرد على ابن جنى في شرح شعر المتنبي.
٢ ــ المحاضرات والمناظرات.
٣ ــ الإمتاع والمؤانسة.
٤ ــ الحنين إلى الأوطان.
٥ ــ تعريض الجاحظ البصائر.

وغير ذلك. وأحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنا بها على من لا يعرف مقدارها، وما وجد من تصانيفه كتبت عنه في حياته. قال ياقوت: وكان يتأله والناس على ثقة من دينه. وقال ابن النجار: كان صحيح العقيدة. وقال الذهبي: كان سيء العقيدة، كذاباً، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، والقدح في الشريعة. وقال ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، والتوحيدي، وأبو العلاء المعري، وشرهم على الإسلام التوحيدي، لأنهما صرحاً وهو مجمع ولم يصرح. (مات) في حدود الثمانين والثلاثمائة.

وكتب المحاضرات كثيرة مثل:

(نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب).
و (رونق المجالس).
و (أنيس المحاضرة).
و (الروض الخصيب ومؤنس الحبيب).
و (نظم السلوك في مسامرة الملوك).
و (نشوان المحاضرات).
و (عجائب الغرائب).
و (ترويح الأرواح).

وغير ذلك مما يطول تعدادها.

علم الدواوين

واعلم: أن الكلام أما منثور، أو منظوم. ولما كانت المحاضرة تقع بالمنظوم كما تقع بالمنثور دونوا الدواوين المشتملة بالقصائد والمقاطيع والأراجيز والجاميع؛ وموضوعه، وغايته، وغرضه، ومنفعته ظاهرة مما تقدم. ولا يخفى أن أفضل الشعراء شرفاً وفضلاً، وأولادهم بالتقديم، هو حسان بن ثابت، لفضيلته بشرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وشرفه بمدحه صلى الله عليه وسلم. وهو حسان بن ثابت المنذر بن حرام الخزرجي، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، المنافح عنه والمناضل المؤيد بروح القدس، يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا الوليد، وبأبي الحسام أيضاً، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الغازي به أعراض المشركين. عاش مائة وعشرين سنة؛ ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام، وكذا أبوه وجده وأبو جده، لا يعرف في العرب أربعة من صلب واحد واتفقت مدة عمرهم غيرهم. كان شجاع اللسان جبان الجنان، لم يكن ممن يشهد الوغاء، ولا يهتز إلى اللقاء، وكان يرفع إلى الآجام مع النساء والصبيان. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يضع لحسان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس، ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ديوان العرب:

(نهاية الأرب في أشعار العرب) يشتمل على ألف قصيدة مختارة. ومنها: (الحماسة) اختيار أبي تمام الطائي. وهو حبيب بن أوس، الشاعر المشهور. كان واحد عصره في ديباجة لفظه، وفصاحة شعره، وحسن أسلوبه.

وله:

١ ــ كتاب الحماسة، التي دلت على غزارة فضله واتقان معرفته.

٢ ــ وله مجموع آخر سماه: فحول الشعراء: جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين.

٣ ــ وكتاب الإختيارات من شعر الشعراء. وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره. قيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، غير القصائد والمقاطيع. ومدح الخلفاء، وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد، وقصد البصرة. قالت العلماء: خرجت من قبيلة طيء ثلاثة، كل واحد منهم مجيد في بابه: حاتم في جوده، وداود في زهده، وأبو تمام الطائي في شعره. (ولد) سنة تسعين، أو اثنتين وتسعين، أو اثنتين وسبعين، أو ثمان وثمانين ومائة. و (توفي) بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل: توفي في ذي القعدة، أو جمادي الأولى سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائتين. وقيل: في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. ووضع بإزائها (الحماسة البصرية).

ومن الدواوين:

(الذخيرة) لأبن بسام. وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن بسام، المعروف بالبسامي الشاعر المشهور. كانت أمه امامة ابنة حمدون النديم. كان من أعيان الشعراء، ومحاسن الظرفاء، لسنا مطبوعاً في الهجاء، لم يسلم منه أمير ولا وزير، ولا صغير ولا كبير، وهجا أباه وأخوته وسائر أهل بيته (توفي) في صفر سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة، عن نيف وسبعين سنة.

ومن الدواوين:

(ديوان أبي العلاء المعري). وهو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داود التنوخي، أبو العلاء المعري، من معرة النعمان من الشام. كان غزير الفضل، شائع الذكر وافر العلم، غاية في الفهم، عالماً باللغة، حاذقاً بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته. (ولد) يوم الجمعة عند الغروب، لثلاث بقين من ربيع الأول، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وجدر من السنة الثالثة من عمره فعمى منه. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأني ألبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر. وقال الشعر وهو ابن احدى أو اثنتي عشرة سنة، وأخذ النحو واللغة عن أبيه، ومحمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب. وحدث عن أبيه وجده. وهو من بيت علم ورياسة.

وكان متهماً في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى أكل اللحم، ولا يؤمن بالبعث والنشور وبعث الرسل. وشعره المتضمن للألحاد كثير. قال ابن العديم في كتابه (دفع التجري على أبي العلاء المعري): كان يرميه أهل الحسد بالتعطيل، ويعملون على لسانه الأشعار، ويضمنونها أقاويل الملاحدة قصد الهلاكة. وقد نقل عنه أشعاراً تتضمن صحة عقيدته، وكذب ما ينسب إليه. وقال الذهبي: انه ملحد، وحكم بزندقته. وقال السلفي: أظنه تاب وأناب.

وله من التصانيف:

١ — شرح شعر المتنبي.
٢ — شرح شعر البحتري.
٣ — شرح شعر أبي تمام.
٤ — سقط الزند، من نظمه.
٥ — لزوم ما لا يلزم.

وغير ذلك. (مات) ليلة الجمعة، ثالث أو ثاني أو ثالث عشر ربيع الأول، سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

ومن الدواوين:

(ديوان أبي الطيب المتنبي). وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الجعفي الكندي الكوفي، المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. وقيل: أحمد ابن الحسين بن مرة بن عبد الجبار. هو من أهل الكوفة، قدم الشام في صباه، وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها. وكان من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها ووحشيها. وكان شعره في الغاية والنهاية من الفصاحة والبلاغة والحكمة وسائر المحاسن، بحيث لا حاجة إلى مدحه. والناس في شعره على اختلاف: منهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده؛ ومنهم من يرجح أبا تمام عليه. واعتنى العلماء بشرح ديوانه، حتى قال بعضهم: وقفت له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطول ومختصر. وكان رجلاً مسعوداً ورزق السعادة في شعره.

وإنما قيل له المتنبي، لأنه ادعى النبوة حتى حبس، ثم تاب وأطلق؛ وقيل: لقوله أنا أول من تنبي بالشعر؛ وقيل: لقوله:

أنـــا في أمـــة تـــداركـــهـــا الله غـــريـــب كـــصـــالـــح في ثـــمـود

ولما رجع من بغداد إلى الكوفة، عرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي في جماعة من أصحابه، وكان مع المتنبي أيضاً جماعة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتل المتنبي وابنه «محسد» وغلامه «مفلح»، في موضع يقال له الصافية. وقيل: إنه لما رأى الغلبة فر، قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار، وأنت القائل:

الخـيـل والليـل والبـيـداء تـعـرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً حتى قتل. وكان سبب قتله هذا البيت، وذلك يوم الأربعاء، لست أو لثلاث بقين، أو لليلتين بقيتاً من رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة؛ وقيل: يوم الإثنين، لثمان بقين من رمضان، أو يوم الإثنين، لخمس بقين من رمضان، أو يوم الأربعاء، لليلتين بقيتاً منه. و(مولده) في سنة ثلاث وثلاثمائة بمحلة كندة في الكوفة. والله أعلم.

ومن الدواوين:

(ديوان البحتري). وهو أبو عبادة وليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري؛ الشاعر المشهور. مدح كثيراً من الخلفاء، أولهم المتوكل على الله، وكثيراً من الأكابر والرؤساء. وأقام ببغداد زماناً، ثم عاد إلى الشام. وتشبب في أشعاره بعلوة بنت زريقة، وزريقة أمها. وكان يقول: كان الشعراء يعرضون أشعارهم على أبي تمام، فلما عرضت عليه شعري، أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك، فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته. وكان يقال لشعر البحتري: سلاسل الذهب، وهو في الطبقة العليا. وقيل له: أنت أشعر أم أبو تمام، قال: جيده خير من جيدي، ورديي خير من رديه. وقيل للمعري: أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم

البحتري أم المتنبي؟ فقال: هما حكيمان والشاعر البحتري. وشعر البحتري سائر وديوانه موجود فلا حاجة إلى الإكثار في مدح شعره. وجمع شعره على الحروف أبو بكر الصولي، وعلى الأنواع علي بن حمزة.

وللبحتري:

١ ــ كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام.
٢ ــ وله معاني الشعر.

(ولد) سنة ست، أو سبع، أو خمس، أو اثنتين، أو إحدى ومائتين، أو مائتين. و (توفي) سنة أربع، أو خمس، أو ثلاث وثمانين ومائتين، والأول أصح.. وكان موته بمَنْبِج أو بحلب، والأول أصح.

ومن الدواوين:

(ديوان جرير). وهو أبو حرزة بالحاء المهملة والراء المهملة ثم المنقوطة: جرير بن عطية الخطفي، واسمه حذيفة التيمي، الشاعر المشهور. كان من فحول شعراء الإسلام. وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن. وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ويقال: إن بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء؛ وفي الأربعة فاق جرير على غيره. حكى أبو عبيدة، أن أم جرير رأت في نومها، وهي حامل به، كأنها ولدت حبلاً من شعر أسود، فجعل ينزو، فيقع في عنق هذا وهذا، حتى فعل ذلك برجال كثيرة، فأولوا الرؤيا بأنها تلد غلاماً شاعراً ذا شر وشدة شكيمة وبلاء على الناس. فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل. والجرير: الحبل. ويلقب جرير بابن المراغة، وهذا لقب لأمه، هجاه به الأخطل، ونسبها إلى أن الرجال يتمرغون عليها. ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال: أما والله أني لا أعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعته صاحبه. وكذلك كان. (توفي) في سنة عشر ومائة، وفيها مات الفرزدق، وعمر نيفا وثمانين سنة

ومن الدواوين:

(ديوان الفرزدق). وهو أبو فراس همام أو هميم بن غالب، وكنيته أبو الأخطل، التميمي، الشاعر المشهور بالفرزدق، صاحب جرير. كان أبوه من جلة قومه وسرواتهم، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس. وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة.

وقد اختلف العلماء بالشعر، في المفاضلة بين جرير والفرزدق. والأكثرون على أن جريراً أشعر منه. وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو المشهور، وفي كتب المحاضرات مذكور، فلا تضيع بذكرها السطور. وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة، فقال: قد أجزناك، فلما انفصل عن المجلس قال القاضي: زيدونا في الشهود، فأخبر الفرزدق بذلك، فقال: وما يمنعه من ذلك، وقد قذفت ألف محصنة. وأخبار الفرزدق كثيرة مذكورة في كتب المحاضرات والتواريخ فالإختصار أولى.

(توفي) بالبصرة، سنة عشر ومائة، قبل جرير بأربعين أو بثمانين يوماً. وقيل: انهما توفيا سنة احدى عشرة ومائة. قيل: لقي الفرزدق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وتوفي سنة اثنتي أو أربع عشرة أو عشر ومائة، مات وقد قارب المائة. ولقب الفرزدق: قطع العجين، وإنما لقب به لغلظه وقصره؛ وقيل: لقب به لأنه كان جهم الوجه، وقد أصابه جدري في وجهه، وهذا القول أصح. وخبره مع زوجته النوار —وهي ابنة عمه— تزوجا وطلاقا، وندامته على الطلاق، شهيرة في كتب المحاضرات.

ومن الدواوين:

(ديوان أبي نواس). وهو أبو علي الحسن بن هانىء بن عبد الأول، المعروف بأبي نواس، الشاعر المشهور. كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان. وسأل الخصيب —صاحب ديوان الخراج بمصر— أبا نواس عن نسبه، فقال: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه.

(ولد) بالبصرة ونشأ بها؛ وقيل: ولد بالأهواز، ثم خرج إلى الكوفة، ثم

صار إلى بغداد، فأسلمته أمه وهو طفل إلى بعض العطارين، فرآه أبو أسامة والبة بن الحباب، فاستجلاه، فقال له: أني أرى فيك مخائل، وستقول الشعر. فصار معه، وقدم به بغداد حتى صار من الطبقة الأولى من المولدين. وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في العشرة. وقد اعتنى بجمع شعره طائفة ولهذا يوجد ديوانه مختلفاً. منهم: أبو بكر الصولي، وعلي بن حمزة، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون. وأخباره كثيرة وأشعاره شهيرة، وإصاباته في الأمور في الألسنة مذكورة، ولا حاجة إلى التطويل. وذكر الإمام اليافعي في (تاريخه) أموراً غريبة، يكاد يستحيلها العقل، لولا صحة النقل. (ولد) في سنة خمس وأربعين، أو ستة وثلاثين ومائة. و (توفي) سنة خمس أو ست أو ثمان وتسعين ومائة ببغداد. وإنما قيل له أبو نواس، لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه. قال الخلكاني: وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول:

تكثر ما استطعت من الخطايا ... فإنك بالغ رباً غفوراً
ستبصران وردت عليه عفواً ... وتلقى سيداً ملكاً كبيراً
تعض ندامة كفيك مما ... تركت مخافة النار السرورا

قيل: وكان المأمون يقول: لو وصفت الدنيا نفسها، لما وصفت بمثل قول أبي نواس.

شعر

إلا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

ومن الدواوين:

(ديوان مؤيد الدين الطغرائي). وهو عميد الملك فخر الكتاب، أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشي، المعروف بالطغرائي. كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر. وله ديوان شعر جيد.

ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة «بلامية العجم». وكان عملها ببغداد

سنة خمس وخمسمائة، يصف حاله و يشكو زمانه. وشرحها صلاح الدين الصفدي في مجلدين، وسماه: (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم)، وقد ملأ شرحه بالفوائد الأدبية، والغرائب الجدية والهزلية، و بالجملة: أنه من أحسن المجاميع وأنفعها. وولي الطغرائي الوزارة مدة بمدينة ارْبِل للسلطان مسعود ابن محمد السلجوقي، وكان ينعت بالأستاذ. ولما جرى بين السلطان مسعود وأخيه محمود المصاف بالقرب من همدان، وكانت النصرة لمحمود، فنسبوا الأستاذ إلى الألحاد، وكانوا خافوا منه لفضله، فقتل سنة ثلاث، أو أربع، أو ثماني عشرة وخمسمائة، وقد جاوز ستين سنة. والطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه، وهي لفظة أعجمية.

قال ابن الأثير في (الكامل): كان الأستاذ يميل إلى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالاً لا تحصى. قيل: وتلك التصانيف معتبرة عند أهلها.

منها: ١ ــ كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة.

٢ ــ ومنها جامع الأسرار.

٣ ــ وكتاب تراكيب الأنوار.

٤ ــ ورسالة ذات الفوائد.

٥ ــ وكتاب حقائق الإستشهادات، يبين فيه إثبات صناعة الكيمياء، والرد على ابن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب (الشفا) به.

و يقال: إن الأستاذ ألقى المثقال من الأكسير أولاً على ستين ألفاً ذهباً، وآخراً على ثلاثمائة ألف. وإنما سميت قصيدته «بلامية العجم»، تشبيهاً لها «بلامية العرب»، ومطلع لامية العرب هذه:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فاني إلى قوم سواكم لأميل

ومطلع لامية العجم هذه:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: علموا أولادكم «لامية العرب»، فأنها ترفع هممهم وتصلح كلمهم. ورأيت لها (شرحاً) حسناً تام المقاصد، كثير الفوائد، وهو مجلد جيد. وحسبك تسمية هذه القصيدة «بلامية العجم»، وعدها نظيرة «للامية العرب»، وإضافة الشيء إلى شيء مشهور أو عظيم، يدل على شرف المضاف.

ومن الدواوين:

(ديوان ابن نباتة) بالضم. وهو ابو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة. كان شاعراً مجيداً، جمع بين حسن السبك، وجودة المعنى. طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء. وله في سيف الدولة بن حمدان غر القصائد ونخب المدائح. ومعظم شعره جيد. وله (ديوان كبير).

(ولد) في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. و(توفي) يوم الأحد، ثالث شوال سنة خمس وأربعمائة ببغداد. روى عنه أنه قال: كنت يوماً قائماً في دهليزي، فدق على الباب، فقلت: من؟ فقال: رجل من أهل الشرق، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بعلة　　　تنوعت الأسباب والداء واحد

فقلت: نعم، فقال أرويه عنك؟ فقلت: نعم. فلما كان آخر النهار دق على الباب، فقلت: من؟ فقال: رجل من أهل تاهرت من الغرب، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بعلة　　　تنوعت الأسباب والداء واحد

فقلت: نعم، فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم، وعجبت كيف وصل شعري إلى الشرق والغرب.

قلت: ونظر هذه الحكاية في الإتفاق، أن أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، كان بمنى أيام التشريق، فسمع منادياً ينادي: يا أبا الفرج، فقلت: لعله ينادي غيري، فلم أجبه، ثم نادى: يا أبا الفرج المعافي، فقلت: يجوز أن يتفق آخر في الاسم والكنية، فلم أجبه، فرجع فنادى: يا أبا

الفرج المعافى بن زكريا النهراوي، فقلت: لم يبق شك. فقلت ها أناذا فما تريد؟ قال: لعلك من نهروان الشرق؟ فقلت: نعم، فقال: نحن نريد نهروان الغرب، فعجبت من إتفاق الأسم والكنية واسم الأب وما انتسب إليه، وعلمت أن نهروانا آخر بالغرب غير ما بالعراق.

ومن الدواوين:

(ديوان ابن المعتز). وهو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد. أخذ الأدب عن المبرد وثعلب وغيرهما. كان أديباً بليغاً، شاعراً مطبوعاً، مقتدراً على الشعر، قريب المأخذ، سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الابداع للمعاني، مخالطاً للعلماء والأدباء، معدوداً من جملتهم. وكان شديد السمرة، مسنون الوجه يخضب بالسواد. وكان رخي البال في عيش رغيد، إلى أن خلع المقتدر، وبويع عبد الله بن المعتز، ولقبوه المرتضى بالله، أو المنصف بالله، أو الغالب بالله، أو الراضي بالله. وأقام يوماً وليلة، ثم أعيد المقتدر، واختفى ابن المعتز، ثم أخذه المقتدر وقتله، يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر، سنة ست وتسعين ومائتين.

ولأبن المعتز من التصانيف:

١ ــ كتاب الزهر والرياض.
٢ ــ وكتاب البديع.
٣ ــ وكتاب مكاتبات الأخوان بالشعر.
٤ ــ وكتاب الجوارح والصيد.
٥ ــ وكتاب السرقات.
٦ ــ وكتاب أشعار الملوك.
٧ ــ وكتاب الآداب.
٨ ــ وكتاب طبقات الشعراء.

وغير ذلك.

وله أشعار رائقة وتشبيهات بديعة. وله البيت المشهور وهو:

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وقيل: الرواية عنه: فظن شراً، قاله في مليح جاءه ليلاً، واصطبح معه في غرة الفجر، والأبيات طويلة، أوردها ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان).

ومن الدواوين:

(ديوان ابن الفارض). وهو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، مصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، المنعوت بالشرف.

له: ١ ــ ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف، ينحو منحى طريقة الفقراء.

٢ ــ له دوبيت.

٣ ــ ومواليا.

٤ ــ وألغاز.

قال الخلكاني: سمعت أنه كان رجلاً صالحاً، كثير الخير على قدم التجرد. جاور بمكة ــزادها الله شرفاً وتعظيماًــ زماناً. وكان حسن الصحبة محمود العشرة.

أخبرني بعض أصحابه أنه ترنم يوماً وهو في خلوة، ببيت الحريري صاحب المقامات وهو:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

قال: فسمع قائلاً ولم ير شخصه وقد أنشد:

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

(ولد) في الرابع من ذي القعدة، سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة.

و (توفي) بها يوم الثلاثاء، الثاني من جمادي الأولى، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

الفارض: الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال.

ومن الدواوين:

(ديوان بهاء الدين زهير). وهو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي الكاتب، من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً، وأكبرهم مروءة. واتصل بخدمة السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب، وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية، ثم عاد معه إلى القاهرة. قال الخلكاني: وكنت يومئذ بالقاهرة، ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق، وكثرة الرياضة، ودماثة السجايا. وكان كبير القدر عند صاحبه ومطلعاً على سرائره. ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته. وكان (مولده) في خامس ذي الحجة، سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة، حرسها الله تعالى. و (توفي) بمصر يوم الأحد، رابع ذي القعدة، سنة ست وخمسين وستمائة.

ومن الدواوين:

(ديوان أبي علي) دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور. أصله من الكوفة وأقام ببغداد. وقيل: دعبل لقب، واسمه الحسن أو عبد الرحمن أو محمد، وكنيته أبو جعفر. وكان أطروشاً، وفي قفاه سلعة. كان شاعراً مجيداً، إلا أنه كان بذيء اللسان، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس. وهجا الخلفاء — منهم المأمون — ومن دونهم. وطال عمره؛ وكان يقول: لي خمسون سنة، أحمل خشبتي على كتفي، أدور على من يصلبني عليها، فما أجد من يفعل ذلك. وكان بينه وبين مسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير، وعليه تخرج دعبل في الشعر. وكان يقول: من فضل الشعر، أنه كلما زاد كذب الشاعر زاد المدح له، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له: أحسنت والله، فلا يشهد له شهادة زور، إلا ومعها يمين الله تعالى. (ولد) دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة. و (توفي)

سنة ست وأربعين ومائتين. و «دِعبل» بكسر الدال اسم الناقة الشارف.
ومدح دعبل علي بن موسى الرضا بقصيدة أولها:

مدارس آيات خلت عن تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات

وأمر له علي بن موسى الرضا بجائزة سنية، فقال: ما قلنا إلا لوجه الله تعالى، وسأل منه قيصاً تباشر جسده، ليجعله في كفنه، لعل الله يبرد به مضجعه، فأعطاه ذلك. ولما سمعه فضل بن سهل، حمل إلى دعبل ثلاثين ألف درهم، وحمل إليه المأمون مالاً جزيلاً، فانصرف بأربح صفقة وأثرى حال لشاعر. ولهذا البيت حكاية طويلة تركناها للإختصار.

ومن الدواوين:

(ديوان القاضي التنوخي). وهو القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي ابن محمد التنوخي.

وله:
١ ــ كتاب الفرج بعد الشدة.
٢ ــ وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه.
٣ ــ وكتاب نشوان المحاضرة.
٤ ــ وله كتاب المستجاد من فعلات الأجواد.

ونزل بغداد وأقام بها، وحدث إلى حين وفاته. وكان سماعة، صحيحاً. وكان أديباً شاعراً اخبارياً. تقلد القضاء والأعمال من قبل الإمام المطيع لله. (ولد) ليلة الأحد، لأربع بقين من ربيع الأول، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، بالبصرة. و (توفي) ليلة الإثنين، لخمس بقين من المحرم، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ببغداد.

وأما ولده أبو القاسم علي بن المحسن، كان أديباً فاضلاً له شعر، وكان يصحب أبا العلاء المعري، وأخذ عنه، وهم أهل بيت، كلهم فضلاء أدباء ظرفاء. (ولد) في منتصف شعبان، سنة خمس وستين وثلاثمائة، بالبصرة، و (توفي) يوم الأحد، مستهل المحرم، سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

وإذا انتهيت إلى هذا المقام، فلعلك تسأم من هذا النوع من الكلام، مع أن احصاء شعراء الإسلام أمر تنبو عنه الأوهام.

ومما لم نتعرض له:

(ديوان شمس الدين بن عفيف التلمساني).

و (ديوان سناء الملك).

و (ديوان القاضي الفاضل).

و (ديوان ابن الوكيل).

و (ديوان التهامي).

و (ديوان ابن النبيه المصري).

هؤلاء كلهم شعراء الإسلام.

وأما الشعراء والقدماء: فأشعرهم عشرة، نذكر أسماءهم هاهنا:

ومنهم: أمرىء القيس بن حجر الكندي. هو الذي فتح لهم أفانين الشعر، وبكى في الدمن، فاتبعوه، واقتدوا به في الجزالة والفصاحة.

ومنهم: النابغة الذبياني، واسمه زياد بن عمرو. وقد قدمه بعض الرواة على امرىء القيس لرقة شعره.

ومنهم: زهير بن أبي سلمى ـ بضم السين ـ المزني. وهو أشدهم أمراً، وأمدحهم وأجرأهم على الكلام. وابنه «كعب» بلغ الإسلام، فأسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما هجاه، وتاب بعدما عصاه، وأنشد عنده قصيدته المشهورة (بانت سعاد)، فعفاه النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن هدر دمه، وأجازه ببردة له صلى الله عليه وسلم، وأسلم فحسن إسلامه.

ومنهم: الأعشى، واسمه ميمون بن قيس بن ثعلبة. كان لا يمدح أحداً إلا رفع منه، ولا يهجو أحداً إلا وضع منه.

ومنهم: طرفة بن العبد بن سفيان. فضله بعض الشعراء على غيره. وزعم لبيد أنه أشعر الناس.

ومنهم: أوس بن حجير، من بني الأسد بن عمرو بن تميم. كان شاعر تميم أدرك زهيراً والنابغة.

ومنهم: لبيد بن ربيعة، من بني عامر بن صعصعة. لم يدرك أحد منهم الإسلام غيره، لطول عمره. كان أتقاهم كَلماً وأقلهم سقطاً.

ومنهم: عدي بن زيد، من بني أمرىء القيس بن مناة بن زيد بن تميم. كان الفضل بن محمد يقدمه عليهم لحسن استعارته وحلاوة عباراته.

ومنهم: عبيد بن الأبرص، هو أقدمهم سناً. وقد جعله «الحطيئة» بعد «أمرىء القيس».

ومنهم: بشر الأسدي، وهو عاشرهم. وأهل الحجاز يقدمونه عليهم ويرون أنه أشعرهم وأسدهم سياقاً للحديث.

علم التواريخ

وهو معرفة أحوال الطوائف، وبلدانهم، ورسومهم، وعاداتهم، وصنائع أشخاصهم وأنسابهم، ووفياتهم، إلى غير ذلك. وموضوعه: أحوال الأشخاص الماضية؛ من الأنبياء والأولياء، والعلماء والحكماء والشعراء، والملوك والسلاطين، وغيرهم. والغرض منه: الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته: العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب، بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار، ويستجلب نظائرها من المنافع. وهذا العلم كما قيل عمر آخر للناظرين، والإنتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين.

ومن الكتب المصنفة فيه:

(تاريخ لأبن كثير): وهو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري الدمشقي، الفقيه الشافعي، الحافظ عماد الدين بن الخطيب شهاب الدين.

(ولد) سنة سبعمائة. وقدم دمشق، وله نحو سبع سنين، سنة ست وسبعمائة، مع أخيه بعد موت أبيه. وحفظ (التنبيه) وعرضه سنة ثمان عشرة،

وحفظ (مختصر ابن الحاجب)، وتفقه بالبرهان الفراري، والكمال ابن قاضي شهبة. ثم صاهر المزي، وصحب ابن تيمية، وقرأ في الأصول على الأصبهاني. وكان كثير الإستحضار قليل النسيان، جيد الفهم. وكان يشارك في العربية، و ينظم نظماً وسطاً. قال ابن حجر: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين. وقد ذكره الذهبي في معجمه المختص فقال: الإمام المحدث المفتي البارع. ووصفه بحفظ المتون وكثرة الإستحضار جماعة، منهم: الحسين وشيخنا العراقي وغيرهما. وسمع من الحجار، والقاسم بن عساكر وغيرهما. ولازم الحافظ المزي، وتزوج بابنته وسمععليه أكثر تصانيفها. وأخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية فأكثر عنه. وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام. وقال ابن حبيب فيه: امام ذوى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل. سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بأقواله، وشنف وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاواه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. (مات) بدمشق في خامس عشر شعبان. وقد أجاز لمن أدرك حياته. وهو القائل:

تمر بنا الأيام تترى وإنما تساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

قال ابن حجر: ولو قال: «فلا عائد صفو الشباب» إلى آخره، لكان أصنع.

ومن التواريخ:

(تاريخ الطبري): وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وقيل: يزيد بن كثير بن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك. وله مصنفات مليحة في فنون عديدة، تدل على سعة علمه وغزارة فضله. وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحداً. وكان أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني على مذهبه. كان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها. وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في (طبقات الفقهاء) في جملة المجتهدين. (ولد) سنة أربع

وعشرين ومائتين بآمل طبرستان. و (توفي) في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد.

ومن التواريخ:

(تاريخ ابن الأثير الجزري سماه «الكامل»): وهو كتاب لطيف. وصاحبه عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري، وهو أحد الأخوة الثلاثة المشهورين بابن الأثير. وقد تقدم اثنان منهم، وهذا عز الدين. (ولد) بالجزيرة المشهورة بجزيرة ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما، ونشأ بها، ثم سار إلى الموصل مع أخويه مجد الدين أبي السعادات المبارك، وضياء الدين أبي الفتح نصر الله، ووالده محمد. وسكن الموصل، وسمع بها. وقدم بغداد وسمع من فضلائها. ثم رحل إلى الشام والقدس، وسمع هناك من جماعة، ثم عاد إلى الموصل، ولزم بيته منقطعاً إلى التوفر على النظر في العلم. وكان بيته مجمع فضلاء الموصل والواردين عليها. وكان اماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة، وخبيراً بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم وأيامهم.

صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه (الكامل): ابتدأ فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة، وهو من خيار التواريخ؛ واختصر كتاب (الأنساب) لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني، وزاد عليه أشياء، واستدرك عليه فيه في مواضع؛ وله كتاب (أخبار الصحابة) في ستة مجلدات.

(ولد) في رابع جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة. و (توفي) في شعبان سنة ثلاثين وستمائة.

ومن التواريخ:

(تاريخ ابن الجوزي) مجلدات. وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، علي بن محمد، القرشي التيمي الصديقي البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، الملقب جمال الدين الحافظ. كان علامة عصره وأمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ.

صنَّف في فنون عديدة منها:

١ ــ زاد المسير في علم التفسير: أربعة أجزاء أتى فيها بأشياء غريبة.
٢ ــ وله في الحديث تصانيف كثيرة.
٣ ــ وله: المنتظم في تواريخ الأمم، وهو كبير.
٤ ــ وله: الموضوعات؛ أورد فيها كل حديث موضوع.

وكتبه أكثر من أن تعد. يقال: إنه جمعت الكراريس التي كتبها، وقسمت الكراريس على مدة عمره فخص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. و يقال: إنه جمعت برادة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحصل شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل، فكفت وفضل منها. وله أشعار كثيرة وأجوبة نادرة، منها: أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة، فرضي الكل بجواب الشيخ وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فسأله أحد من أفضل البشر بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فرضي الكل، لأن ابنة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند علي رضي الله عنه، والكلام يحتملها. وهذا الجواب لو حصل بعد الفكر التام لكان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة. ويحكى: أنه سأله انسان، فقال: مالنا نرى الكوز الجديد إذا صب فيه الماء ينن ويخرج منه صوت؟ فقال: يشكو ما لاقاه من حر النار. وسئل: ان الكوز إذا ملأناه لا يبرد، فإذا نقص برد؟ فقال: حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل إلا على ناقص. وسئل: كيف نسب قتل الحسين إلى يزيد وهو بدمشق؟ فأنشد:

سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وله من هذا النوع أجوبة لطيفة. (ولد) سنة ثمان أو عشر وخمسمائة. و (توفي) ثاني عشر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

ومن التواريخ:

(مرآن الزمان) لسبط ابن الجوزي. وهو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي، الواعظ المشهور. حنفي المذهب، وله صيت وسمعة في مجالس وعظه، وقبول عند الملوك وغيرهم. روى عن جده ببغداد، وسمع أبا الفرج بن كليب وابن طبرزد، وسمع بالموصل ودمشق، وحدث بها وبمصر.

وله: ١ ــ كتاب إيثار الانصاف.

٢ ــ ومنتهى السول في سيرة الرسول.

٣ ــ واللوامع في أحاديث المختصر والجامع.

٤ ــ وتفسير القرآن العزيز.

٥ ــ وصنف تاريخاً كبيراً، قال ابن خلكان: رأيته بخطه في أربعين مجلداً سماه: مرآة الزمان.

قلت: أنا رأيته في ثمانية مجلدات لكن مجلدات ضخام، وبخط دقيق. دقيق.

و (توفي) في الحادي والعشرين من ذي الحجة، سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق.

و (مولده) في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ببغداد. وكان يقول: أخبرتني أمي أن مولدي سنة اثنتين وثمانين. رحمه الله تعالى.

ومن الدواوين:

(تاريخ) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الشافعي. كان ذا فضل في كل فن، وكان موصوفاً بكرم الأخلاق والديانة، وكان ثقة في نقله. وصنف تاريخاً سماه: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل والسمع أو أثبته العيان) ورأيته في خمسة مجلدات بخطه. وكان قاضياً بالقاهرة. مدة ما ذكره في تاريخه. (ولد) في يوم الخميس بعد صلاة العصر، حادي عشر ربيع الآخر، سنة ثمان وستمائة، بمدينة اربل بالمدرسة المظفرية، ذكر تاريخ ولادته نفسه في ترجمة زينب بنت

الشعري، في آخر الأسامي المذكورة في حرف «الزاي». و (توفي) في يوم السبت السادس والعشرين من رجب، سنة إحدى وثمانين وستمائة بدمشق المحروسة.

تفقه على أبيه بمدينة أربل، ثم انتقل بعد أبيه إلى الموصل، وحضر دروس الإمام كمال الدين بن يونس. ثم انتقل إلى حلب وقرأ النحو على أبي البقاء يعيش بن علي النحوي، والفقه على أبي المحاسن الشيخ بهاء الدين يوسف بن شداد. ثم قدم دمشق واشتغل على ابن الصلاح. ثم انتقل إلى القاهرة، وناب في الحكم عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري. ثم وَليَ قضاء المحلة، ثم وَليَ قضاء القضاة بالشام، ثم عزل، ثم وليها ثانياً ثم عزل. ومن مصنفاته: التاريخ المشهور. وله في الأدب اليد الطولى، وشعره أرق وأحسن وأعذب.

ومن التواريخ:

١ ــ (تاريخ ابن حجر): مجلدتان.

٢ ــ وتاريخ آخر له: (أنباء العمر في أبناء العمر) مجلدتان.

٣ ــ وله أيضاً: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة).

وهو الإمام العلامة، حافظ العصر، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، أبو الفضل أحمد بن الشيخ الإمام علاء الدين علي بن حجر العسقلاني.

(توفي) بعد العشاء ليلة السبت، المسفر صباحها عن ثامن عشر ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. وكان عمره إذ ذاك تسعاً وسبعين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. وصلى عليه خلق كثير من جملتهم: أبو العباس الخضر عليه السلام. رآه عصابة من الأولياء. وكان (مولده) سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

ومن التواريخ:

(تاريخ صلاح الدين الصفدي): وهو بخطه أكثر من خمسين مجلداً. وهو خليل بن أيبك الشيخ صلاح الدين الصفدي الشافعي، الامام الأديب الناظم

الناثر، أديب العصر. (ولد) سنة تسع وستين وستمائة. وقرأ يسيراً من الفقه والأصلين، وبرع في الأدب نظماً ونثراً وكتابة وجمعاً، وعني بالحديث، وسمع بالآخرة من جماعة. وقرأ على الشيخ تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، ولازم الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، وبه تمهر في الأدب. وصنف الكثير في التاريخ والأدب، وقال: كتبت أزيد من ستمائة مجلد تصنيفاً. (مات) بالطاعون ليلة عاشر شوال، سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ومن التواريخ:

(تاريخ جلال الدين السيوطي) رحمه الله تعالى، ثلاثة مجلدات.

و (طبقات النحاة) له أيضاً. مجلدان. إلى غير ذلك.

ومن جملة التواريخ:

(تاريخ الخطيب البغدادي) عشرة مجلدات. وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد، وغيره من المصنفات. كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، فإنه يدل على إطلاع عظيم. وصنف قريباً من مائة مصنف. وكان فقيهاً، فغلب عليه الحديث والتاريخ. (ولد) في جمادي الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. و (توفي) يوم الإثنين سابع ذي الحجة؛ وقيل: في شوال سنة ثلاث وستين وأربعمائة. وحمل نعشه أبو إسحاق الشيرازي، رحمهما الله تعالى.

ومن التواريخ:

(ذيل تاريخ بغداد) للحافظ محب الدين ابن النجار فجاء في ثلاثين مجلداً. وهو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله، الحافظ الكبير الثقة، محب الدين أبو عبد الله بن النجار البغدادي. وتاريخه دال على سعة حفظه وعلو شأنه. وله: (مصنف حافل في مناقب الشافعي) رحمه الله. وله تصانيف أخر في السنن والأحكام. (ولد) في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. وله الرحلة الواسعة إلى الشام، ومصر، والحجاز، ومرو، وأصبهان، وهراة، ونيسابور.

وكانت رحلته سبعاً وعشرين سنة. واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ.
(توفي) ببغداد خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ومن التواريخ:

(تاريخ أبي سعد السمعاني): وهو تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن المظفر المنصور السمعاني، المروزي الفقيه الشافعي، رحمه الله. رحل في طلب العلم والحديث إلى أقطار الأرض، وسافر إلى ما وراء النهر وخراسان، وغير ذلك من البلاد. وكان شيوخه تزيد على أربعة ألف شيخ.

وصنف التصانيف الحسنة، منها:

١ ــ ذيل تاريخ بغداد لأبي بكر بن الخطيب، نحو خمسة عشر مجلداً.
٢ ــ وتاريخ مرو، يزيد على عشرين مجلداً.
٣ ــ وكذلك الأنساب، نحو ثمانية مجلدات؛ واختصره عز الدين في ثلاثة مجلدات واستدرك عليه.

(ولد) أبو سعد يوم الإثنين، الحادي والعشرين من شعبان، سنة ست وخمسمائة و (توفي) بمرو في ليلة غرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة. وكان أبوه وجده أيضاً من الفضلاء العلماء.

ومن التواريخ:

(ذيل تاريخ السمعاني) للدبيثي: بالدال المهملة والموحدة والمثناة من تحت والمثلثة من فوق، قرية بنواحي واسط. وهو أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي، الفقيه الشافعي، المؤرخ الواسطي. سمع الحديث كثيراً، وبرع في أسماء الرجال وتاريخ الحفاظ.

وصنَّف:

١ ــ ذيل الذيل المذكور، في ثلاثة مجلدات.
٢ ــ وصنف تاريخاً لواسط.

(ولد) في السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

بواسط. و (توفي) لثمان خلون من ربيع الآخر، سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد.

ومن أجل التواريخ:

تاريخ الذهبي: ثلاثة كتب، صنف:

١ ـ (التاريخ الكبير).
٢ ـ ثم (الأوسط المسمى بالعبر).
٣ ـ و (الصغير المسمى دول الإسلام).

والذهبي *: هو محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، محدث العصر، امام الوجود حفظاً، وذهبي العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل.

(ولد) سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وطلب الحديث وهو ابن ثماني عشرة سنة. وسمع بدمشق، وبمصر، وببعلبك، وبالإسكندرية، وسمع منه الجمع الكثير. وما زال يخدم الحديث حتى رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، إلا أنه كان شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم. وكان كثير الوقيعة في الصوفية. وله التصانيف الجزيلة في الحديث، وأسماء الرجال، والتواريخ. وقرأ القرآن وأقرأه بالروايات: (توفي) ليلة الإثنين، ثالث ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

ومن التواريخ:

(كتاب البارع) لأبي عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، البغدادي الأديب الفاضل. كان حافظاً، راوية للأشعار، حسن المنادمة، لطيف المجالسة.

صنَّف:

١ ـ كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين، وجمع مائة وأحد وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح.

وهو من الكتب النفيسة، فانه يغني عن دواوين الجماعة الذين مر ذكرهم، فانه فحص أشعارهم، وأثبت منها زبدتها، وترك زبدها. وهذا الكتاب أصل نسجوا على منواله. وسنذكر عدة ذيل له.

٢ ـــ وله: كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر وما قيل فيهن من الشعر.

(توفي) سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو حدث السن. والله أعلم.

ومن التواريخ:

(يتيمة الدهر) للثعالبي. وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري. قال ابن بسام في (الذخيرة): كان رأس المؤلفين في زمانه وامام المصنفين بحكم قرانه.

وله من التصانيف:

١ ـــ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها، وهذا الكتاب ذيل للكتاب البارع المقدم ذكره.

وله أيضاً:

٢ ـــ كتاب فقه اللغة.

٣ ـــ وسحر البلاغة.

٤ ـــ ونشر البراعة.

٥ ـــ ومن غاب عنه المطرب.

٦ ـــ ومؤنس الوحيد.

وشيء كثير. جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم، وفيها دلالة على اطلاعه. وله أشعار كثيرة.

(ولد) سنة خمسين وثلاثمائة. و (توفي) في سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ومن التواريخ:

(دمية القصر) للباخرزي. وهو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي

الطيب الباخرزي، الشاعر المشهور. تفقه أولاً على والد امام الحرمين، الشيخ أبي محمد الجويني، على مذهب الشافعي رحمه الله. ثم شرع في فن الكتابة، وغلب أدبه على فقهه. واختلف إلى ديوان الرسائل، وارتفعت به الأحوال وانخفضت، ورأى من الدهر العجائب، سفراً وحضراً. وعمل الشعر، وسمع الحديث.

وصنف كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر)، وهو ذيل (يتيمة الدهر) للثعالبي؛ وجمع فيها خلقاً كثيراً. وقد وضع على هذا الكتاب، أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً سماه: (وشاح الدمية) وهو كالذيل له. (قتل) الباخرزي في مجلس الأنس ببَاخَرْز، وهي من نواحي نيسابور، في ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة. وذهب دمه هدراً.

ومن التواريخ:

(زينة الدهر) للحظيري. وهو أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي، الوراق الحظيري، المعروف «بدلال الكتب». كانت لديه معارف، وله نظم جيد. وألف مجاميع ما قصر فيها.

منها:

١ ــ كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر.

٢ ــ وذكر الطاف شعراء العصر، الذي ذيله على (دمية القصر) للباخرزي، جمع فيه جماعة كثيرة من أهل عصره ومن تقدمهم، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره.

وقد ذكره العماد الكاتب في (الخريدة)، وكان مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم.

٣ ــ وله كتاب: لمح الملح، يدل على كثرة اطلاعه.

(توفي) يوم الإثنين، الخامس والعشرين أو الخامس عشر من صفر، سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد.

ومن التواريخ:

(تاريخ خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصبهاني. وهو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج محمد بن نفيس الدين أبو الرجاء حامد، الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهاني. كان فقيهاً شافعي المذهب. تفقه بالمدرسة النظامية، وأتقن الخلاف وفنون الأدب. وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه. وكان قد نشأ بأصبهان، وقدم بغداد في حداثته وتفقه بها، وسمع الحديث. وكان سيء الحال أولاً، ثم بلغ الرفعة عند السلطان صلاح الدين ونور الدين محمود بن أتابك زنكي، وتقلبت به الأحوال إلى أن عظم أمره وصار رخي البال.

وصنَّف التصانيف النافعة، منها:

١ ــ كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، وجعله ذيلاً على (زينة الدهر) للحظيري، وجعله في عشرة مجلدات، ولم يترك إلا النادر الخامل.

٢ ــ وصنف كتاب: البرق الشامي، في سبعة مجلدات، وهو تاريخ.

٣ ــ وله كتاب: الفيح القسي في الفتح القدسي، في مجلدين.

٤ ــ وصنف: السيل على الذيل، جعله ذيلاً على خريدة القصر.

٥ ــ وله ديوان رسائل.

٦ ــ وديوان شعر.

وكانت بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات؛ منها ما يحكى أنه لقيه يوماً وهو راكب على فرس، فقال له: سر فلاكبابك الفرس، فقال له الفاضل: دام علاء العماد، وكل منهما يقرؤ مقلوباً مستوياً. ولم يزل العماد على مكانة ورفعة منزلة، إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، فاختلت أحواله، وتقطعت أوصاله. ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً، فلزم بيته وأقبل على الإشتغال بالتصانيف.

(ولد) يوم الإثنين، ثاني جمادي الآخرة، أو في شعبان، سنة عشر وخمسمائة بأصبهان و (توفي) يوم الإثنين، مستهل رمضان، سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق.

ومن التواريخ:

(تاريخ قاضي القضاة العيني) وهو على ما حكى فيه ستين مجلدة. وهو محمود بن أحمد بن موسى، العينتابي الحنفي العلامة، قاضي القضاة بدر الدين العيني.

(ولد) في رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة بعين تاب، ونشأ بها، وتفقه واشتغل بالفنون، وبرع ومهر، ووَليَ قضاء الحنفية بالقاهرة. وكان اماما عالماً علامة، عارفاً بالعربية والتصريف، وغيرهما، حافظاً للغة، كثير الإستعمال لحواشيها، سريع الكتابة. عمر مدرسة بقرب الجامع الأزهر ووقف كتبه بها.

وأما نظمه فنحط إلى الغاية، وربما يأتي به بلا وزن.

وله: ١ ـ شرح البخاري.
٢ ـ وشرح الشواهد الكبير.
٣ ـ والصغير.
٤ ـ وشرح معاني الآثار.
٥ ـ وشرح الكنز.
٦ ـ وشرح المجمع.
٧ ـ وشرح عروض الساوي.
٨ ـ وطبقات الحنفية.
٩ ـ وطبقات الشعراء.
١٠ ـ ومختصر تاريخ ابن عساكر.
١١ ـ وشرح الهداية في الفقه.
١٢ ـ وشرح درر البحار.
١٣ ـ وتاريخه الكبير المذكور.

وكان بينه وبين شيخ الإسلام ابن حجر منافسة، ولما وقعت منارة المؤيدية، وكان العيني شيخ الحديث بها، قال ابن حجر:

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين

يقول وقد مالت عليهم تمهلوا   فليس على هدمي أضر من العين

(مات) في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

ومن التواريخ:

(تاريخ الحافظ ابن عساكر) سبعة وخمسون مجلداً. وهو الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر الدمشقي، الملقب ثقة الدين. كان محدث الشام، ومن أعيان الفقهاء الشافعية. غلب عليه الحديث، فاشتهر به وبالغ في طلبه، إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره. ورحل وطوف، وجاب البلاد، ولقي المشايخ. وكان رفيق الحافظ أبي سعد السمعاني في الرحلة. وكان حافظاً ديناً، جمع بين معرفة المتون والأسانيد. سمع ببغداد، ثم رحل إلى دمشق، ثم إلى خراسان ونيسابور وهراة وأصبهان. وصنف التصانيف المفيدة. صنف (التاريخ الكبير لدمشق) في ثمانين مجلدة بخطه، أتى فيه بالعجائب، حتى قيل: إنه لعله جمع هذا منذ غفل نفسه، وإلا فالعمر لا يتسع لوضعه بعد الإشتغال والتنبه. وله تواليف حسنة غير هذا. وله شعر لا بأس به. (ولد) في أول المحرم، سنة تسع وتسعين وأربعمائة. و (توفي) في الحادي عشر من رجب، سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق.

ومن التواريخ:

(تاريخ مصر) لأبي سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد، المحدث المؤرخ المصري. كان خبيراً بأحوال الناس، ومطلعاً على تواريخهم، عارفاً بما يقوله. جمع لمصر تاريخين: أحدهما كبير لأهله؛ والآخر صغير للغرباء. وقد ذيلهما أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي.

(ولد) عبد الرحمن سنة إحدى وثمانين ومائتين. (توفي) سنة سبع وأربعين وثلاثمائة.

ومن أصح التواريخ: وأحسنها وألطفها لوروده بعبارات عذبة وأنفعها للناس لإشتماله على المهمات:

(تاريخ اليافعي) مجلدتان كبيرتان. وهو عبد الله بن أسعد بن علي اليماني الشافعي، الرجل الصالح ومحب الصلحاء، وخادم أولياء الله، المناضل عنهم، والمنافح عن شأنهم، صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة. وكل تصانيفه نافع في بابه.

وله: ١ ــ النظم الكبير، سيما مدح سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ ــ ومن لطيف مصنفاته: مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام.

٣ ــ وكتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين.

وكل تصانيفه حسن.

وبالجملة هو رجل مبارك عزيز الوجود، فرد زمانه، ونادرة أوانه، أشعري العقيدة، والسالك طريقة الصوفية السادة، والمعاشر مع أهل الخير والزهد والصلاح. قال ابن السبكي في (طبقاته الكبرى): اجتمعت به في منى سنة سبعمائة. و (توفي) بمكة في جمادي الأولى سنة سبع وستين وسبعمائة روح الله روحه وزاد في الجنة فتوحه.

وكتب التاريخ أكثر من أن تحصى، لكن ان فزت بما ذكر فزت المرام وأن أردت التوغل فيه فعليك بكتاب:

(مروج الذهب) للمسعودي.

و (أخبار الزمان) له أيضاً.

و (بستان التواريخ).

و (نوادر الأخبار).

و (معادن الذهب).

و (عيون التواريخ) ستة مجلدات.

و (زبدة الفكرة).

و (تاريخ المعارف) لأبن قتيبة.

و (نصاب الأعيان).

و (الجواهر المضية في طبقات الحنفية).

و (الطبقات الكبرى الشافعية) لأبن السبكي.

و (تاريخ النحاة) للسيوطي.

و (تاريخ الحكماء) لصاعد.
و (تاريخ صوان الحكمة).

وغير ذلك.

ومنها: (تاريخ حلب) للكمال ابن العديم، عشرة مجلدات سماه: (بغية الطلب في تاريخ حلب).

و (تاريخ نيسابور) للحافظ أبي عبد الله الحاكم: ستة مجلدات.
والذيل عليه المسمى: بـ (السياق) لعبد الغافر الفارسي، مجلد.
و (تاريخ أصبهان) للحافظ أبي نعيم، مجلد.
و (تاريخ بلخ) مجلد.
و (تاريخ اربل) لأبي البركات ابن المستوفي، أربعة مجلدات.
و (تاريخ قزوين) للرافعي.
و (تاريخ علماء الأندلس) لأبي الوليد بن الفرضي، مجلد.
و (الصلة) عليه لقاسم بن بشكوال، مجلد.
و (صلة الصلة) لأبي جعفر بن الزبير، مجلدات.
و (الذيل).
و (التكملة على الموصل).
و (الصلة) لأبن عبد الملك، تسعة مجلدات.
و (تاريخ الأندلس) لأبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي، مجلد.
و (ريحانة الأنفس في علماء الأندلس) لأبن عات. مجلد.
و (المغرب في حلي المغرب) لعلي بن سعيد الأندلسي، ستة مجلدات.
و (الإحاطة في تاريخ غرناطة) لسان الدين بن الخطيب، ثلاثة مجلدات.
و (تاريخ اليمن) للجندي، مجلد؛ و «للخزرجي» مجلدات.
و (تاريخ مكة) للحافظ تقي الدين الفاسي، ثلاثة مجلدات.
و (الطالع السعيد في تاريخ الصعيد) للكمال الأدفوي، مجلد.

وأما التواريخ في لسان الفرس فأكثر من أن تحصى، لكننا تركنا ذكرها للإستغناء بما ذكرناه عنها.

الشعبة الثالثة

من الدوحة الثانية
في فروع العلوم العربية

علم الأمثال

وهذا من فروع علم اللغة. وهو معرفة الألفاظ الصادرة عن البليغ، المشتهرة بين الأقوام، بخصوص ألفاظها، وهيئاتها، ومواردها، وسبب ورودها، وقائلها، وزمانها، ومكانها، لئلا يقع الغلط عند استعمالها في مضاربها، وهي المواضع والمقامات المشبهة بمواردها. ولا بد لمعاني تلك الألفاظ من غرابة، ولألفاظها من فصاحة و بلاغة.

وموضوعه: الألفاظ المذكورة، من حيث ورودها في مواردها. وتعيين مضاربها بالنوع.

ومبادئه: مقدمات حاصلة بالتواتر من ألفاظ الثقات.

وأما غرضه ومنفعته فغنيان عن البيان، فإن الأمثال أشد ما يحتاج إليه المنشيء والشاعر، لأنها تكسو حلة التزيين، وترقيه أعلى درجات التحسين.

ومن الكتب النافعة فيه:

(كتاب لأ بن الأنباري): وقد عرفته.

ومنها: (المستقصى في الأمثال) للعلامة الزمخشري، وستعرف ترجمته.

ومنها: (مجمع الأمثال) للاسفرايني، وهو كتاب عظيم جامع جداً. وقد عرفت الاسفرايني.

علم وقائع الأمم ورسومهم

وهذا من فروع المحاضرات والتواريخ. وهو علم يبحث فيه عن أماكن أقوام مخصوصين، ومواضع طوائف معينين، ورسوم مألوفة، وعادات معروفة لكل قوم

قوم، الموردة في أشعارهم وخطبهم ورسائلهم.

وموضوعه: أشعار العرب من الحيثية المذكورة.

ومبادئه: مأخوذة من الاستقراء أو التواتر من الثقات.

وغرضه: تحصيل ملكة ضبط تلك الأمور المذكورة.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ فيها.

والكتب المؤلفة في هذا الفن كثيرة. صنف فيه أبو عبيدة والأصمعي كتباً كثيرة، وأكثر تقربهما عند الخليفة هارون الرشيد بسبب هذا.

علم استعمالات الألفاظ

وهو من فروع علم البيان. وهو علم يبحث فيه استعمالات الألفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية، وبطريق الاستعارة والمجاز. وهذا الفن في علم البيان بطريق الكلية، وفي هذا الفن بطريق الجزئية. ومبادئه استقرائية. وموضوعه، وغرضه، وغايته لا يخفى على الفطن المتأمل.

وللأصمعي وأبي عبيدة في هذا الفن أيضاً كتب كثيرة.

علم الترسل

وهو من فروع علم الإنشاء، لأن هذا بطريق جزئي، وذاك بطريق كلي. وهو علم يذكر فيه أحوال الكاتب، والمكتوب، والمكتوب إليه؛ من حيث الآداب والأحوال والإصطلاحات الخاصة الملائمة لكل طائفة طائفة؛ ومن حيث العبارات التي يجب الاحتراز عن الدعاء للمخدرات بقولهم: أدام الله حراستها لمكان لفظ الجر والاست؛ وعن ذكر لفظ القيام كقولهم: إلى قيام الساعة، وأمثال ذلك.

وموضوعه وغايته وغرضه ظاهر للمتأمل.

ومبادئه: أكثرها بديهية، وبعضها أمور استحسانية تأديبية، وله استمداد أيضاً من الحكمة العملية.

ومن الكتب المصنفة فيه:

(مصطلح الكتاب).

و (بلغاء الدواوين والحساب).

والكتب المؤلفة فيه أكثر من أن تحصى، فلا حاجة إلى التعرض لها.

علم الشروط والسجلات

وهذا باعتبار اللفظ من فروع علم الإنشاء، وباعتبار مدلوله من فروع علم الفقه، وهو علم يبحث فيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية. وموضوعه، ومنفعته ظاهران. ومبادئه: علم الإنشاء وعلم الفقه، وله استمداد من العرف. والكتب في هذا العلم كثيرة يجدها من يطلبها.

علم الأحاجي والأغلوطات

وهذا من فروع اللغة والصرف والنحو. وهو علم يبحث فيه عن الألفاظ المخالفة لقواعد العربية بحسب الظاهر، وتطبيقها عليها، إذ لا يتيسر إدراجها فيها بمجرد القواعد المشهورة.

وموضوعه: الألفاظ المذكورة من الحيثية المذكورة.

ومبادئه مأخوذة من العلوم السابقة.

وغرضه: تحصيل ملكة تطبيق الألفاظ، التي تتراءى بحسب الظاهر مخالفة لقواعد العرب.

وغايته: حفظ القواعد العربية عن تطريق الاختلال.

ولصاحب (الكشاف) في هذا العلم كتاب سماه: (المحاجات). وغير ذلك من الكتب.

علم الألغاز

وهذا من فروع علم البيان، وتفصيله يتوقف على تقديم تعريفه؛ وذلك أن

الألغاز دلالة الألفاظ على المراد، دلالة خفية في الغاية، لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة، بل يكون بحيث تستحسنها وتنشرح إليها بشرط أن يكون المراد من الذوات الموجودة في الخارج، وأما إن كان المراد اسم شيء، سواء كان من الإنسان أو غيره يسمى معمى. وسيجيء هذا بعد. وكلاهما لكونهما خلاف البيان ــ إذ المعتبر هناك وضوح الدلالة ــ اعتبرا من فروعه. وإنما اعتبر في البيان وضوح الدلالة، كما ينبئك عنه اسم البيان، لكون الغرض هناك التفهيم. وأما المعمى واللغز، بالغرض فيهما الاخفاء فلا يتراءى ناراهما.

واعلم: أن المعتبر في علم البيان هو الدلالة العقلية؛ أعني التضمنية والالتزامية. ولما كانت تلك الدلالة خفية، سيما إذا كان اللزوم بحسب العادات والطبائع، وبحسب الألف المتحالفة هذه، بحسب قوم قوم وطائفة طائفة، فوجب التعبير عنها بلفظ أوضح؛ مثلاً إذا كان المرئي دقيقاً في الغاية، يحتاج الحاسة في أبصارها إلى شعاع قوي، بخلاف المرئي إذا كان جليلاً، وكذا الحال في الرؤية القلبية؛ أعني الفهم والإدراك، فيحتاج إلى ألفاظ واضحة الدلالة، ليفهم تلك اللوازم الخفية. هذا حال علم البيان الذي اعتبر فيها إظهار المراد.

وأما إذا اعتبر ستر المراد، كما في المعمى واللغز، يكون الأمر بالعكس. ولما كان إرادة الإخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان، لم يلتفت إليهما البلغاء، ولم يعد وهماً أيضاً من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العرضي، لكن بشرط كونه على وجه لا تنبو عنها الأذهان المستقيمة، ولا تمجها الأذواق السليمة. كما أشرنا إليه سابقاً.

ثم هذا المدلول الخفي، إن كان ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتها على معان أخر، أو لم يكن ألفاظاً أصلاً، بل ذوات موجودة، يسمى باللغز، وإن كان ألفاظاً وحروفاً دالة على معانٍ مقصودة، يسمى معمى.

وبهذا يعلم أن الكلام الواحد يمكن أن يكون معمى ولغزاً باعتبارين؛ لأن المدلول إذا كان ألفاظاً وحروفاً، فإن قصد بها معان أخر يكون معمى، وإن قصد ذوات الحرف، على أنها من الأشياء والذوات يكون لغزاً. وأكثر مبادىء هذين العلمين، مأخوذ من تتبع كلام الملغزين وأرباب المعمى، وبعضها أمور

تخييلية تعتبره الأذواق وتستحليها، وجميع مسائلها راجعة إلى المناسبات الذوقية والوجدانية، بين الدوال ومدلولاتها الخفية، على وجه يقبلها الذهن السليم والطبع المستقيم.

وأما موضوع هذين العلمين وتعريفهما وغرضهما وغايتهما: فقد علم من هذا التقرير.

وأما منفعتهما: فتقويم الأذهان ورياضتها واعتيادها فهم الدقائق. وكنت اشتغلت بعلم المعمى في عنفوان الشباب، ونحن نقرأ وقتئذ (حواشي شرح المطالع) للشريف الجرجاني، فوجدت في ذهني زيادة فاحشة، وفي مطالعتي تفاوتا بيناً، حتى شاهده مني الأصحاب. والله الموفق للصواب.

وأنا أورد الأمثلة [illegible] في «القلم»:

وما غلام راكع ساجد ... أخو نحول دمعه جاري
ملازم للخمس في وقتها ... معتكف في خدمة الباري

وقال ابن الزملاق في «اليراع»، وضمن فيه مصراعاً من الحماسة:

وناطقة خرساء باد شحوبها ... تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ إلى الاسماع رجع حديثها ... إذا سد منها منخرجاش منخر

فأجابه بعضهم، وضمن مصراعاً آخر من تلك القصيدة:

نهاني النهي والشيب عن وصل مثلها ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وقال الآخر في «القلم»:

وبيت بعلياء العناء بنيته ... باسمر مشقوق الخياشم يرعف

وفي «الميزان»:

وقاضي قضاة يفصل الحكم ساكتاً ... وبالحق يقضي لا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وان يمل ... على أحد الخصمين فهو مصدق

وآخر في « وصف الميزان » :

وما حاكم أعمى وفصل قضاؤه ... ولو كان ذا عين لما قام بالفصل

وفي وصف الشمعة لابن الخلال :

وصبيحة بيضاء تطلع في الدجى ... صبحا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها ... واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها ... وسوادها وبياضها وضيائها

وقال ابن دريد في الزند :

ومنتج أم أبيه أمه ... لم يتخون جسمه من الضوى
أفرشته بنت أخيه فانثنت ... عن ولد يورى به ويشتوى

علم المعمى

وقد عرفت تفصيله في علم اللغز، ولا وجه لاعادته. لكنا نذكر هنا بعضاً من الأمثلة « المعمى على اسم محمد »، يروي أنه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لكن هذه الرواية غير صحيحة، لكن الغرض ها هنا المثال، فلا حاجة إلى صحة روايته.

ألا خذ وعد موسى مرتين ... وضع أصل الطبائع تحت ذين
وسكن خان شطرنج فخذها ... وأدرج بين ذين المدرجين
فهذا اسم لمن يهواه قلبي ... وقلب جميع من في الخافقين

ومثال آخر في اسم « أحمد » :

أحاجيك في اسم الحبيب الذي ... هويت وأنت أمام البلد
حروف الهجاء له أربع ... إذا زال حرف فيبقى واحد

وقال زهير في حق مدينة « يافا » :

وحقك خبرني عن اسم مدينة ... يكون رباعياً إذا ما كتبته
على أنه حرفان حين تقوله ... ولكنه حرف إذا ما قلبته

ومثال آخر في اسم «سعيد»:

اسم من كان أفضل القوم ... أول السوم آخر الصوم

ومما جاء في المسائل الفقهية:

ولي خالة وأنا خالها ... ولي عمة وأنا عمها
فأما التي أنا عم لها ... فإن أبي أمه أمها
أبوها أخي وأخوها أبي ... ولي خالة هكذا حكمها

صورتها: رجل له امرأتان، أولد واحدة بنتاً وأخرى ابناً، ثم زوج بنته من أبي امرأته التي ولدت إبناً، فجاءت ببنت، وهي خالة ابن وهو خالها. ثم أن صورة العمة: رجل له ابن ولأ بنه أخ من أمه، فزوج أخاه أم أبيه، فجاء ببنت وهي عمته وهو عمها.

وأعلم: أن أكثر من يعتني باللغز العرب، لكن لم يدونوه في الكتب؛ وأكثر من يعتني بالمعمى أهل فارس، ولهذا وقع جل التصانيف في المعمى على لسان الفرس. وقد رتبوا له قواعد عجيبة وتقسيمات غريبة وتنويعات لطيفة. وأما ما يوجد في لسان العرب فشيء نزر جداً. ولقد وجدت في لسان العرب خمسة معميات فقط، مع شدة تنقيري وكثرة تتبعي عنه، على أنه لم يقع في مرتبة لطافة أهل فارس، الذين لو كان العلم عند الثريا لناله رجال منهم. وإن أردت صدق هذا المقال فأرجع إلى كتاب مولانا عبد الرحمن الجامي، قدس سره، خصوصاً كتاب مولانا حسين المعمائي، فإنك إن طالعته وجدته السحر الحلال، وترى فيه العجب العجاب.

علم التصحيف

وهذا من أنواع البديع حقيقة. لكن بعض الناس توغلوا فيه وأفردوه في التصنيف وجعلوه من فروعه.

وموضوعه: الكلمات المصحفة التي وردت عن البلغاء. ويمكن جعله فرعاً للمحاضرات لوروده عن البلغاء.

وفائدته: وغرضه، ومنفعته غير خفي على أهل البصائر.

وصنف فيه: أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري، أحد الأئمة في الآداب، والحفظ، وهو صاحب نوادر وأخبار، وله رواية متسعة. وله التصانيف المفيدة منها: (كتاب التصحيف) الذي جمع فيه فأوعب، وغير ذلك. وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به، ولا يجد إليه سبيلاً. وكان (ولادة) أبي أحمد يوم الخميس، لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين. و (توفي) يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. وأخذ عن أبي بكر بن دريد.

وله من التصانيف:

١ ــ كتاب المختلف والمؤتلف.
٢ ــ وكتاب علم المنطق.
٣ ــ وكتاب الحكم والأمثال.
٤ ــ وكتاب الزواجر.

وغير ذلك.

قال عبد الرحمن البسطامي: أول من تكلم في التصحيف الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ومن كلامه في ذلك: خراب البصرة بالريح، بالراء والحاء المهملتين، وبينهما ياء آخر الحروف.

قال الحافظ الذهبي: ما علم تصحيف هذه الكلم إلا بعد المائتين من الهجرة، يعني خراب البصرة بالزنج، بالزاء المعجمة والنون والجيم.

ومن بديع التصحيف: ما نقشه نجم السائس على خاتم لابن أستاذه، واسمه يحيى وكان يهواه، وهو هذا: نجم عسق يجني. يريد: نجم عشق يحيى.

ومن بديع كلام الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كل عنب الكرم يعطيه؛ يعني: كل عيب الكرم يغطيه. وللإمام في هذا العلم صنائع بديعة.

ومن أمثلة التصحيف قولهم في المستنصرية جنة؛ والمستنصرية اسم موضع وأراد به المسيء يضربه حية. وكقولهم: متى يعود إشارة إلى رجل اسمه مسعود، وقيل لفاضل. استنصح ثقة ايش تصحيفه، فقال: أتيت بتصحيفه. ويحكى: أن ملكاً بنى قصراً، وتولى عمله بنّاء اسمه الذكر به، بضم الذال المعجمة، وسكون الكاف، ثم الراء المهملة المضمومة، ثم الباء الموحدة المشددة المفتوحة، ثم الهاء.. ولعل هذا من الأسماء الرومية ــ فقال الملك لبعض خواصه ــ وكان من الفضلاء ــ: بنيت هذا بألف دينار، فقال ذلك الفاضل: الذكر به شرف، فأمر الملك بحبس البنّاء في الحال، فسألوه عن سببه، فقال: أما سمعتم قول هذا، وأراد الفاضل المذكور، قالوا: ما تكلم هو إلا خيراً، قال: أراد هو بهذا الكلام: الذكر به سرق.

علم المقلوب

وهذا أيضاً من فروع علم البديع أو المحاضرات، كما عرفت في التصحيف. وهو أن يكون الكلام، بحيث إذا قلبته، وابتدأت من حرفه الأخير إلى الحرف الأول، كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام. وهذا مغاير لتجنيس القلب المذكور في علم البديع، فإن المقلوب هاهنا، يجب أن يكون عين اللفظ الذي ذكر بخلافه ثمة، ويجب ثمة ذكر اللفظين تجميعاً بخلافه هاهنا. والقلب قد يكون في النظم، وقد يكون في النثر: أما في النظم: فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين قلباً للآخر كقوله:

«أرانا الأله هلالاً انارا» وقد لا يكون كذلك، بل يكون مجموع البيت قلباً لمجموعه كقول القاضي الأرجاني:

شعر

مودته تُدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم

وكقول الحريري:

آس أرملا إذا عرا   وارع إذا المرء أسا

إلا أن في قول الحريري نوع تكلف، وهو زيادة همزة «مرء» وحذفها في القلب. وأما في النثر: فأما في مفرد نحو: «سلس». أو مركب: كما في قوله تعالى: «وربك فكبر»، وقوله تعالى: «كل في فلك».

والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف، لأن المعتبر هو الحروف المكتوبة. ومنه: «سر فلا كبابك الفرس»، وهو قول عماد الكاتب؛ وقول القاضي الفاضل في جوابه: «دام علاء العماد»، وقد مر تفصيله.

ومنه: «كمالك تحت كلامك».

ومنه: «عقرب تحت برقع».

ومنه: «كبر رجاء أجر ربك».

ومنه: «لا بقاء للإقبال».

وله نظائر كثيرة وأمثال غير قليلة.

علم الجناس

وهو وإن كان من أنواع البديع، لكن لما كان البحث هناك على وجه كلي في مطلق الكلام، وهاهنا على وجه جزئي في كلام منقول عن الفضلاء والبلغاء، أفردوه في التدوين، وجعلوه فرعاً على البديع أو على المحاضرات. وهو علم باحث عن اللفظين اللذين بينهما تشابه في اللفظ فقط، أو فيه وفي الخط، مع تغايرهما في المعنى، وإلا فلا تجنيس أصلاً. ووجوه التشابه وأقسامه مذكورة في موضعها، وليس هذا المقام موضع الاستقصاء فيه، والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف. قيل: التجنيس على نوعين: جناس شكلي، وجناس شكلي.

قال أبو الفتح البستي صاحب (التجنيس الأنيس البديع التأسيس): من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه، عادات السادات سادات العادات. وهو أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب الشاعر المشهور، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسيس؛ فمن ألفاظه البديعة: من سعادة جدك وقوفك عند حدك، الرشوة رشاء الحاجات، أجهل

الناس من كان للأخوان مذلاً وعلى السلطان مدلاً، الفهم شعاع العقل، المنية تضحك من الأمنية، حد العفاف الرضاء بالكفاف، ما يخرق الرقيع ترقيع.

وشعره كثير في التجنيس وغيره. (توفي) سنة أربعمائة أو إحدى وأربعمائة ببخارى.

ومن بديع ما قيل:

إذا زل عالم زل عالم.

ومن ذلك قول رشيد الدين الوطواط:

رَبِّ رُبَّ غَنِيٍّ غَبِيٍّ، سَرَّته شُرته، فجاءه فُجاءةً بعد عشرته عسرته، تفسير هذا الكلام:

«رَبِّ»: نداء للرب حذف حرف النداء.

و «رُبَّ»: من حروف الجر.

و «الغني»: من الغنى ضد الفقر.

و «الغبي»: من الغباوة ضد الذكاء.

«سرته»: فعل ماض من السرور.

و «شرته»: مصدر بمعنى الشر ضد الخير وهو فاعل سرته.

«فجاءه»: فعل ماض من المجييء.

و «الفجاءة»: بضم الفاء مصدر بمعنى البغتة.

و «بَعد» بالفتح ظرف ضد قبل.

و «بُعد» بالضم نقيض القرب.

و «عشرته» مصدر بمعنى المعاشرة.

و «عسرته» مصدر بمعنى العسر ضد اليسر وهي فاعل جاءه.

والمعنى: يا رب كم من غنى متصف بالغباوة، سرته اضراره بالناس، حتى جاءه بغتة بعد طول معاشرته ونعته العسر والفقر.

ومن الجناس: إن لم يكن لنا حظ في دَرْك دُرِّك، فخلصنا من شَرْك شَرِّك
«الدَّرْك»: بفتح الدال وسكون الراء مصدر بمعنى الإدراك.

و «دُرِّك»: بفتح الدال وكسر الراء المشددة بمعنى الخير، كما يقولون: لله دره أي خيره.

و «الشَرْك»: بفتح الشين والراء حبالة الصائد.

و «شرك»: من الشر ضد الخير.

والمعنى: إن لم يكن لنا نصيب في الوصول إلى خيرك، فخلصنا من حبالة شرك.

ومن الجناس: ان أحيلتنا من مَبَارك مَبَارِّك، فارحنا من مَعَارك مَعَارِّك.

و «المبارك»: جمع مبرك الفاقة.

و «المبار»: بتشديد الراء، جمع البر.

و «المعارك»: جمع المعركة.

و «المعار»: بمعنى المعرة، وهي العيب.

والمعنى: ان أخليتنا من مواضع برك، فخلصنا من مواضع العار.

ومن غرائب التجنيس: قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أرسله إلى معاوية رضي الله عنه: «غرك عزك، فصار قصارى ذَلكِ ذُلُّك، فاخش فاحش فعلك، فعلك تهدى بهذا». فأجابه معاوية رضي الله عنه: «على قدرى غلى قدري».

قال الخلكاني: «غرك عزك»... إلى آخره، لأبي شجاع عضد الدولة، كتبها جواباً لأبي منصور الفتكين. ولعله لا منافاة بين الروايتين، إذ من الجائز أن يكتب عضد الدولة، كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، حينما رآه موافقاً لحاله. على أن حسن الكلام، شاهد بأن ذلك لا يكون إلا لأمير المؤمنين، إذ لا يتيسر مثله لأفاضل البلغاء والكتاب قطعاً.

والمعنى:

«غَرَّك: أي جعلك مغروراً.

«عِزِّك»: أي عزتك وشرفك، فصار قصارى ذلك العزو الشرف ونهايتها،

ذلك: أي ذلتك وسوء حالك، فاخش أنت أيها المغرور فاحش فعلك: أي قبيح أفعالك، فَعَلَّك: أي لعلك، تهدى: أي تجد الهداية بهذا النصح والتنبيه.

واعلم: أن «عل» لغة في لعل كما قال الشاعر:

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

أي لعلك تركع: أي تسقط يوماً وتحتاج، والفقير قد يرفعه الدهر فيكون محتاجاً إليه.

علم مسامرة الملوك

وهذا من فروع المحاضرات. وهو علم باحث عن أحوال يرغب فيها الملوك من القصص، والأخبار، والمواعظ، والعبر، والأمثال، وغرائب الأقاليم، وعجائب البلدان، وغير ذلك من الأحوال التي يرغب فيها الملوك.

ومن الكتب المصنفة فيه:

١ ــ سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر، وقد عرفته.
٢ ــ وكتاب مفاكهة الخلفاء.
٣ ــ وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك.

وأكثر كتب المحاضرات وافية بهذا المطلب سيما:

١ ــ كتاب حياة الحيوان.
٢ ــ ومحاضرات الراغب.

وقد عرفتهما في المحاضرات.

وموضوعه، وغايته، وغرضه، ومنفعته ظاهرة للعاقل الذكي.

علم حكايات الصالحين

وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة. وقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفة وأفردوها بالتدوين. وموضوعه، وغايته، وغرضه ظاهرة جداً. ومنفعته أجل المنافع وأعظمها كما لا يخفى.

ولقد صنف في ذلك ابن الجوزي كتاب: (صفوة الصفوة).

واليافعي كتاب: (روض الرياحين في حكايات الأبرار والصالحين) وغير ذلك من الكتب.

علم أخبار الأنبياء

وهذا من فروع التواريخ. وقد اعتنى بها العلماء، وهو حقيق بالاعتناء، وأفردوها في التدوين. منها: (قصص الأنبياء) لابن الجوزي، وغيره.

علم المغازي والسير

وهذا أيضاً من فروع علم التاريخ. وقد صنف فيها العلماء كتباً كثيرة منها:

(سيرة ابن هشام).
و (سيرة محمد بن إسحاق).
و (سيرة مغلطاي).

وغير ذلك.
وموضوع هذين العلمين ومنفعتهما، والغاية والغرض فيهما، لا يخفى على أحد.

علم تاريخ الخلفاء

وهذا أيضاً من فروع التاريخ. وقد أفرد بعض العلماء من التواريخ:

تاريخ الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم وهم أحقاء بالاعتناء. وبعضهم ضم معهم تاريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين، لاشتمال أحوالهم على مزيد الاعتبار. وفي هذا الفن تصانيف كبار لا تخفى على ذوي الإحاطة، منها: (تحفة الظرفاء في تواريخ الخلفاء).

علم طبقات القراء

وهو علم يذكر فيه القراء السبعة، بل العشرة، بل الثلاثة عشر، بل الخمسة عشر، ورواة هؤلاء، وغير ذلك من الشيوخ والمصنفين في هذا العلم، ويذكر فيه أيضاً قراء الصحابة، والتابعين، وتبع تابعيهم إلى هذا الآن.

و (طبقات الذهبي) تصنيف مفيد في هذا العلم. ولا أجمع ولا أنفع من: (طبقات الشيخ الجزري).

علم طبقات المفسرين

وهو من فروع التواريخ أيضاً. وصنف فيها المجلدات الكبار.

علم طبقات المحدثين

من فروع التواريخ، وفيها المصنفات العظام.

علم سير الصحابة والتابعين

من فروع المحاضرات وفيها: (كتاب سير الصحابة والتابعين)، وهو كتاب عظيم لم يعهد بمثله.

علم طبقات الشافعية

وصنف فيها ابن السبكي: (الكبرى) و (الصغرى)، وأطنب فيها، وجمع وأوعب كل من انتسب إلى مذهب الشافعي. وقد اشتمل على فوائد لا تكاد توجد في كتاب.

علم طبقات الحنفية

وصنف فيها العلماء مثل: (الجواهر المضية في طبقات الحنفية).

ومثل مختصر قاسم بن قطلوبغا سماه: (تاج التراجم). وهذا كاف في الباب، مع اشتمالها على المهمات.

علم طبقات المالكية

وموضوعه ورسمه معلوم من العلوم السابقة.

علم طبقات الحنابلة

ويعرف أحواله أيضاً مما مر. ولكن لم نعرف أنه صنف طبقات المالكية والحنابلة، ولعله لم يهمل ذلك فضلاء ذلك المذهب.

علم طبقات النحاة

وصنف فيها كثيرون، مثل: ياقوت الحموي، ومجد الدين الشيرازي، وصلاح الدين الصفدي، وجلال الدين السيوطي، وغير ذلك من الكتب.

علم طبقات الحكماء

وقد اعتنى بذلك كثيرون، منها: الصاعد الذي هو من مشاهير الحكماء، وصنف فيها كتاب: (صوان الحكمة). ورأيته في عنفوان الشباب، وهو كتاب لطيف لكني نسيت اسم مصنفه.

علم طبقات الأطباء

وقد صنف في ذلك العلماء، ورأيت في هذا العلم كتاباً موسوماً بـ (عيون الأنباء في طبقات الأطباء).

اعلم: أن طبقات هؤلاء المذكورين من فروع علم التاريخ. وموضوع كل منها، وغايتها، وغرضها، ومنافعها ظاهرة على من تتبع تلك العلوم. والله الموفق.

الدوحة الثالثة

في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية

وفيها:

مقدمة، وشعبتان

المقدمة

اعلم: أن العلوم الباحثة عن أحوال الأذهان، (هي) العلوم الآلية المعنوية؛ وأجلها «علم المنطق»، حتى أن بعضاً من الحكماء أجراه مجرى الرئيس للعلوم العقلية، حتى أن بعضاً من العلماء جعلوه من فروض العين، لكونه موقوفاً عليه معرفة الواجب (لله) تعالى، وهي واجبة. فكذا ما يتوقف عليه الواجب المطلق، وكان مقدوراً للمكلف، حتى حكم بعض من الحكماء الاشراقية، أن رياضة المتصوفة وسلوكهم تدور أيضاً على قواعد المنطق.

وبالجملة: المنطق علم باهر البرهان، وكالشمس لا تخفى بكل مكان. ولا يجحد فضله إلا من يعشو عن إدراك الحقائق، و يعمى عن فهم الدقائق. ولله در من قال:

عاب المنطق قوم لا عقول لهم ... وليس له إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقيل في مدح النحو والمنطق:

ان رمت ادراك العلوم بسرعة ... فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا لميزان العقول مرجح ... والنحو اصلاح اللسان بمنطق

ولا عبرة بما قيل في ذم المنطق:

دع منطقا فيه الفلاسفة الأول ... ضلت عقولهم ببحر مغرق
واجنح إلى نحو البلاغة واعتبر ... أن البلاء موكل بالمنطق

وقد صح بشهادة أهل التواريخ والقدماء، أن أول من دون علم المنطق «أرسطو»، وقد بذلك له ملك زمانه في مقابلة ذلك خمسمائة ألف دينار، وأدر عليه في كل سنة مائة وعشرين ألف دينار. قيل: انه تنبه لوضعه وترتيبه من

نظم (كتاب اقليدس في الهندسة). قال يحيى بن عدي الفيلسوف: رأيت (شرح الاسكندر الحكيم للمع الطبيعة) و(لكتاب البرهان في المنطق) في تركة واحد من الحكماء، وأن الشرحين عرضاً عليَّ بمائة وعشرين ديناراً، فمضيت لتحصيل الدنانير، وعدت ما صبت القوم قد باعوا الشرحين ــ في جملة كتب أخر ــ على رجل خراساني على ثلاثة آلاف دنانير. وقال غير يحيى إن هذه الكتب التي أشار إليها كانت تحمل في الكم. قال مؤرخ (أخبار الحكماء): أنظر إلى همتهم والله لو حضرت هذه الكتب في زماننا وعرضت على مدعى علمها ما أدوا فيها عشر معشار ما ذكره: قلت: وإلى الله المشتكى من زمان كسدت فيه بضائع العلوم، وفسدت فيه صنائع الرسوم، وأقول ــ والله الرقيب: لو عرضت تلك الكتب على محصلي زماننا بلا شيء، بل بطريق هبة، لا امتنان فيها ولا غرض، لرغبوا عنها ولم يلتفتوا إليها، فضلاً عن الابتياع. نعم يرغبون في كتب الشعر والهزل و يغالونها في الأثمان بل يكتبونها ويحصلونها، ولا يفارقونها لا في الليل ولا في النهار.

واعلم: أن هذا الكلام من قبيل نفثة المصدور، فليعذرني من رآه من الأصحاب، ولا يعاملني باللوم والعتاب. وأستغفر الله لنا ولكم عن الخطأ والخطل، في القول والعقد والعمل، إنه عفو غفور.

ثم اعلم: أن من أمثالهم: الشيء بالشيء يذكر. لما وضع بيديا الفيلسوف الهندي كتاب (كليلة ودمنة)، لدبشليم ملك الهند ــ وهو الذي ملك مائة وعشرين سنة ــ وضع التاج على رأسه، وجعله وزيره، وجعل كتابه على ألسنة البهايم والطيور تنزها للحكمة وفنونها عن العوام، وضنة بها على الجهلاء شركاء الطعام.

حكى: أن كسرى أنو شروان لما سمع بكتاب كليلة ودمنة، أرسل برزويه الحكيم إلى بلاد الهند، لاستخراج الكتاب، وأعطاه خمسين جراباً، في كل جراب عشرة آلاف دينار، فاضلاً عن أدوات الأسفار. ثم ان «برزويه» الحكيم، استخرج من بلاد الهند كتاب (كليلة ودمنة)، ونقله من الهندية إلى الفارسية، واستخرج معه الشطرنج التام الذي هو عشرة في عشرة، وأما

الشطرنج الذي هو ثمانية في ثمانية فقد وضعه «صصه (بن داهر) الهندي» للملك شهرام، وما اشتهر بين العوام من أن واضعه اللجلاج، فليس كذلك، لأنه كان ممن يحسن اللعب به. وممن يحسن اللعب به أبو بكر الصولي في المشهور عند أهل التاريخ. ووضع «أردشير بن بابك» الهندي الحكيم، أول ملوك الفرس المؤرخة به، النرد في مقابلة الشطرنج؛ ولذلك قيل له: النردشير، نسبوه إلى واضعه، جعله مثالاً للدنيا وأهلها، فجعل الرقعة إثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر، وجعل الفصوص مثل القضاء والقدر وتقلبه في الدنيا. فافتخرت الفرس بوضع النرد. وقيل: انما جعلوا نصف القطع الثلاثين سوداً ونصفها بيضاً كالأيام والليالي؛ وأيضاً جعلوا الفصوص مسدسة، إشارة إلى أن الجهات ست لا سابع لها؛ وأيضاً أن ما فوق الفصوص من الاعداد، مع ما تحتها من الأعداد، يكون سبعة أبداً كيف ما وقعت الفصوص، وهذا إشارة إلى عدد الأفلاك والأرض والكواكب السيارة.

ومن العجائب أن واضع الشطرنج اقترح من الملك في أول بيت من بيوته درهماً ثم يضعف إلى آخر البيوت، قال الملك: لقد اعتقدت نبل رأيك عند وضعك الشطرنج، والآن لقد سجلت على فساد عقلك؛ قال الوزير: مهلاً أيها الملك، فإن خزائنك وخزائن ملوك الأرض تنفذ عند ذلك. فأنكره الملك أشد الإنكار ففهموه طريق حسابه، وقال: هذا أعجب من وضعك الشطرنج. وقيل: لو وضع في أول بيته حبة حنطة، ثم ضوعف على النهج المذكور، لا يفي بذلك ملء المدن الموجودة في الأرض حنطة. وقد اعتنى بعض من الحساب بذلك، فمن تأمل ذلك يصدقه. وهذا كلام وقع في البين.

ثم رجعنا إلى المقصود فنقول: ثم نقل عبدالله بن هلال الأهوازي، كتاب (كليلة ودمنة) من الفارسية إلى العربية، ليحيى بن خالد البرمكي، في خلافة المهدي. وقد نظم سهل بن نوبخت الحكيم كتاب (كليلة ودمنة) ليحيى بن خالد البرمكي، وزير المهدي والرشيد، وأجازه يحيى على ذلك ألف دينار. وكان الملك الناصر صاحب الأندلس بالمغرب متطلباً للعلوم الألهية والأسرار الحكمية، فسمع به ملك الهند «ملو»، فسير له كتاب (كليلة ودمنة) مصوراً

في الحكم والأمثال، وكتاب (سفر آدم عليه السلام) في علم الحروف، وكتاب (الحروف المنزلة على آدم عليه السلام)، في إحدى وعشرين ورقة من زيتون الجنة وآسها، بأسمائها وصفاتها واعدادها، وما يتولد عنها من علم الأسماء والصفات، والحكم والآيات البينات، وسير له مع هذه هدايا وتحفاً غريبة، من جملتها فرش من جلد حية مدنر، كأنه لون ريش الطاووس، وفرش آخر من جلد حيوان، إذا جلس عليه من به علة البواسير أبرأه. وكان ملك القسطنطينية الحكيم أرمانوس، طالباً لكتاب (علم الحروف)، فكاتب الملك الناصر في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهاداه هدايا جليلة وأسراراً غريبة، من جملتها كتاب (ديسقور يدوس) الحكيم، مصور الحشايش بالتصوير الرومي البديع، وكان مكتوباً بالقلم الأغريقي الذي هو اليوناني القديم، وبعث معه كتاب (هروشيش) صاحب القصص، وهو تاريخ ملوك الروم، وقصص المبعوث إليهم من الأنبياء، وكان باللسان اللطيني وهو الفرنجي.

وفي سنة أربعين وثلاثمائة، بعث أرمانوس إلى الملك الناصر، براهب يسمى نقولا، لاستخراج ما جهل من أسماء عقاقير (كتاب ديسقوريدوس) إلى اللسان العربي، وهو أول من عمل بقرطبة ترياق الفاروق على التجارب التي فيه. وفي أيام الخليفة جعفر المتوكل، ترجم اصطفن بن بسيل الترجمان (كتاب ديسقوريدوس) بدار السلام بغداد، من اليوناني إلى العربي. وتوفي الملك الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الأموي في سنة خمسين وثلاثمائة. وإنما خرجنا عن المقصود لفائدة الترغيب، ولتعلم أن العلوم التي سهلها لك الأوائل كيف تعاونوا في تحصيلها، وكيف جمعوها بضروب من الحيل وأنواع من المشاق، حتى تعرف بذلك قدر العلوم والمعارف.

ومن جملة اهتمامهم في هذا الباب، جمعهم خزائن الكتب، ليمكن النيل إليها كلما أرادوا، و يأمنوا من ضياعها بالنهب والسرقة وأمثالها. قال القلقشندي في (صبح الأعشى): قد كان للخلفاء في القديم مزيد إهتمام بالكتب، حتى حصلوا منها على العدد الجم، وحصلوا على الخزائن الجليلة. والخزائن في الإسلام ثلاث:

(إحداها) خزانة العباسيين ببغداد:

وكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار بغداد، فذهبت الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وجهل آثارها.

(والثانية) خزانة الفاطميين بمصر:

وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم. ولم تزل على ذلك، إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، واستيلاء السلطان صلاح الدين على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسة الفاضلية بدرب ملوخياً بالقاهرة، فبقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل.

(والثالثة) خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس:

وكانت من أجل خزائن الكتب أيضاً، ولم تزل على ذلك إلى انقراض دولتهم، باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كل مذهب.

أما الآن: فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب، اكتفاء بخزائن كتب المدارس التي ابتنوها، من حيث أنها بذلك أمس. إلا أن لسلطاننا الأعظم ــ الذي تشرف زماننا هذا بوجوده وظله ــ خزانة كتب، يحكى أنه ليس كتاب شرعي وغير شرعي، وعربي وفارسي، إلا و يوجد فيها، إلا أنها مصونة عن أيدي الطالبين. أدام الله دولة هذا السلطان، وأبقى عمره إلى آخر الزمان.

يحكى: أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية، وجد فيها خزانة كتب، فاستشار فيها عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر، رضي الله عنه: أما الكتب التي ذكرتها، إن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففيه غنى عنها، وإن كان غير ذلك فلا حاجة فيها، فتقدم بإعدامها». فأخذ عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها، فنفذ في مدة ستة أشهر. وذكر في (فتوحات الشام): أن الإسكندرية حين فتحت، كان فيها ألف حمام،

وإثنا عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر. فانظر أيها الطالب للعلوم والمعارف إلى اهتمام الأوائل بالعلوم وكتبها حتى تتفطن منه إلى معنى ما قيل:

شعر

لو كانت العلوم تحصل بالمنى   لم يبق أصلا في البرية جاهل

وبعد هذا: نرجع إلى ما كنا فيه، وهو أن أرسطو بعد ما دون المنطق، صارت كتبه مخزونة في أتنه من ولاية مورة من بلاد الروم، عند ملك من ملوك اليونان.

ولما رغب الخليفة المأمون في علوم الأوائل، أرسل المأمون إلى الملك المذكور وطلب الكتب، ولم يرسل، فغضب المأمون وجمع العساكر، وبلغ الخبر إلى الملك، فجمع البطاريق والرهابين وشاورهم في الأمر، فقالوا: إن أردت الكسر في دين المسلمين، وتزلزل عقائدهم، فلا تمنعهم عن الكتب، فاستحسن الملك وأرسلها إلى المأمون، فجمع المأمون مترجمي مملكته: كحنين بن إسحاق، وثابت ابن قرة، وغيرهما، وترجموها بتراجم متخالفة، لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر، فبقيت التراجم غير محررة، إلى أن التمس منصور بن نوح الساماني، من أبي نصر الفارابي، أن يحررها و يلخصها، ففعل كما أراد ولهذا لقب «بالمعلم الثاني». وكان كتبه في خزانة الكتب المبينة بأصبهان المسماة بصنوان الحكمة إلى زمان السلطان محمود، لكن كانت غير مبيضة، لأن الفارابي كان غير ملتفت إلى جمع التصانيف ونشرها بل غلب عليه السياحة، ثم أن الشيخ أبا علي، تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب حتى استوزره، واستولى على تلك الخزانة، وأخذ ما في تلك الكتب ولخص منها كتاب (الشفاء). وغير ذلك من تصانيفه. وقد اتفق أن احترقت تلك الكتب، فاتهم من يتعصب على أبي علي بأنه أحرقها، لينقطع انتساب تلك العلوم عن أربابها، ويختص بنفسه، لكن هذا كلام الحساد الذين ليس لهم هاد.

ثم **اعلم:** أن أفلاطون الحكيم، كان يعلم بعضاً من تلامذته بطريق التصفية، وأعمال الفكر الدائم في جناب القدس، وسموا بالأشراقيين؛ وبعضاً

منهم بطريق البحث والنظر، فسموا المشائين، لترددهم إلى مجلس، أو لأخذهم الحكمة وقت مشيه إلى تعليم أولاد السلطان، أو لتعليمهم وقت مشيه في بشتان كان له، وأما في غير هذا الوقت كان منقطعاً عن الناس. ورئيس الطائفة المشائين هو أرسطو، وهو الذي دون الحكمة البحثية، لأن الحكماء قبل هذا كانوا لا يدونون الحكمة، صوناً لها عن غير أهلها، والذي وقع فإنما وقع شبه الألغاز والتعمية. وكانوا يكتمونها كالكيمياء وغيرها من العلوم الخفية، ولا يعلمونها غير أبناء الحكماء والسلاطين، و يتوارثونها كابرا عن كابر. ولما عرض أرسطو تدو ينه على أفلاطون غضب عليه وقال: أتريد أن تفشي سر الحكمة الذي كتمه الحكماء. فقال: لكني أودعت فيها مهاوي لا يطلع عليها إلا أهلها، فأجازه على ذلك، فجمع جميع أنواع الحكمة، ولهذا لقب «بالمعلم الأول». ثم استخرج المنطق بقوة قريحته وجودة طبعه، ليكون آلة لتحصيل العلوم الحكمية، وقدمه على سائر أقسام الحكمة بكونه آلة لها، والله أعلم بحقيقة الحال.

الشعبة الأولى
في علوم آلية تعصم عن الخطأ في الكسب

علم المنطق
و يسمى علم الميزان أيضاً

هو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها؛ وموضوعه: المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول والنفع فيه؛ والغرض منه ومنفعته ظاهرة مما ذكرنا.

ومن الكتب المبسوطة في المنطق:

البحر الخضم (منطق الشفاء) لأبي علي بن سيناء، وهو أبو علي الحسين ابن عبدالله بن سينا الحكيم المشهور. كان أبوه من بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، وكان من العمال الكفاة. وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى، يقال لها خَرْمَيْثَن، من أمهات قراها، وولد هو وأخوه بها. واسم أمه ستاره، من قرية افْشَنَة بالقرب من خرْمَيْثَن، ثم انتقلوا إلى بخارى. وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم، وحصل الفنون. ولما بلغ عشر سنين من عمره، أتقن علم القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة. ثم قرأ (كتاب ايساغوجي) على أبي عبدالله النابلي، وأحكم عليه ظواهر المنطق لأنه لم يكن يعرف دقائقها، ثم حل هو نفسه دقائق غفل عنها الأوائل، وأحكم عليه اقليدس والمجسطي، وفاقه إضعافاً كثيرة. وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى اسماعيل الزاهد، يقرأ و يبحث و يناظر. ثم اشتغل بتحصيل الطبيعي والألهي وغير ذلك، وفتح الله عليه أبواب العلوم. ثم فاق في علم الطب الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح عديم

القرين فقيد المثل. وقرأ عليه فضلاء هذا الفن أنواعه، والمعالجات المقتبسة من التجربة وسنه إذ ذاك نحو ستة عشر. وفي مدة اشتغاله، لم ينم ليلة واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة. وكان إذا اشكلت عليه مسألة، توضأ وقصد المسجد الجامع، وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه، و يفتح مغلقها له. ثم اتصل بخدمة نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان بسبب الطب، ودخل إلى خزانة كتبه، واطلع على كتب لم يقرع آذان الأزمان بمثلها، وحصل نخب فوائدها ولم يستكمل ثمانِ عشرة سنة.

ويحكى عنه: أنه لم يطلع على مسألة إلى آخر عمره، إلا وكان يعرفها في ثمانِ عشرة سنة من سنه، حتى حكى عنه أنه قال: كل ما علمته في ذلك الوقت، فهو كما علمته الآن، لم أزدد فيه إلى اليوم. وهذا أمر عظيم لا يكاد يقبله العقل، لولا عرف حدة ذكائه. ثم تقلبت به الأحوال، بأمور يطول شرحها، حتى استوزر، ثم عزل وحبس، وبعد هذه الأحوال كلها مرض، ثم صلح، ثم مرض إلى أن ضعف جداً، ثم اغتسل وتاب، وتصدق بما معه على الفقراء، ورد المظالم على من عرفه، وأعتق مماليكه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة. (مات) يوم الجمعة من رمضان، سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بهمدان. وكانت (ولادته) سنة سبعين وثلاثمائة في شهر صفر.

وقيل: توفي باصبهان. وفضائله كثيرة شهيرة. وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه. وعدة تصانيفه ثمانية وستون على الأشهر، وقيل: يقارب مائة مصنف ما بين مطول ورسالة. وله رسائل بديعة منها:

١ ــ رسالة حي بن يقظان.

٢ ــ ورسالة سلامان وابسال.

٣ ــ ورسالة الطير.

٤ ــ وقصيدة الورقاء؛ يرمز بها عن النفس الناطقة.

ومن كتبه المبسوطة:

١ ــ الشفاء، كتبه بلا مطالعة كتاب، وكان يكتب كل يوم خمسين ورقة

من حفظه، وهذا كما مر أمر يستحيله العقل، لكن لو نسب إلى غير أبي علي.

٢ ـــ وكتاب النجاة.

٣ ـــ والقانون.

٤ ـــ والإشارات.

وغير ذلك. ومناقبه لا تعد. ولنكتف هاهنا بهذا الحد.

ومن الكتب المبسوطة في المنطق والحكمة:

١ ـــ كتاب بيان الحق.

٢ ـــ ومطالع الأنوار.

٣ ـــ والمناهج.

كلها للأرموي. وهو محمود بن أبي بكر أحمد الأرموي، الشيخ سراج الدين أبو الثناء، صاحب:

١ ـــ التحصيل مختصر المحصول: في أصول الفقه.

٢ ـــ ومختصر الأربعين في أصول الدين.

٣ ـــ والبيان.

٤ ـــ والمطالع: في المنطق والحكمة، وغير ذلك.

٥ ـــ وقيل أنه شرح الوجيز للرافعي في الفقه.

وكان شافعياً. قرأ بالموصل على كمال الدين بن يونس. (مولده) سنة أربع وتسعين وخمسمائة. و (توفي) سنة اثنتين وثمانين وستمائة بمدينة قونية.

ومن كتب المنطق:

(كشف الأسرار) للخونجي. وهو محمد بن بامادر بن عبد الملك القاضي، أفضل الدين الخونجي. (ولد) في جمادي الأولى سنة تسعين وخمسمائة. وله اليد الطولى في المعقولات. وهو صاحب (الموجز) في المنطق، وغيره. ولي قضاء القضاة بالقاهرة. وكان كثير الأفكار، بحيث يستغرق وقتاً صالحاً في ذلك. ودرس بالمدرسة الصلاحية بالقاهرة، وغيرها. و (توفي) في الخامس من شهر

رمضان، سنة تسع وأربعين وستمائة، ودفن بسفح المقطم.

ومن الكتب المختصرة اللطيفة النافعة في هذا العلم:

(المطالع) للأرموي، وقد عرفته.

وله شروح منها:

(شرح شمس الدين الأصفهاني) رحمه الله، وستعرفه في علم الكلام.

ومنها:

(شرح قطب الدين الرازي التحتاني). وهو محمد بن محمد الرازي، الشيخ العلامة قطب الدين، المعروف بالتحتاني، وهذه النسبة لتميزه عن قطب آخر فوقاني. وكانا يسكنان في مدرسة واحدة، أحدهما في الطبقة الفوقانية، والآخر في الطبقة التحتانية. وهو امام مبرز في المعقولات، اشتهر اسمه وبعد صيته، ورد إلى دمشق في سنة ثلاث وستين وسبعمائة. قال ابن السبكي: بحثنا معه في دمشق، فوجدناه إماماً في المنطق والحكمة، عارفاً بالتفسير والمعاني والبيان، مشاركاً في النحو، يتوقد ذكاء. وله على الكشاف (حواش) مشهورة، وله (شرح على مطالع الأرموي) في المنطق ـــ وهذا شرح عظيم الشأن ـــ وله (شرح على الرسالة الشمسية) للكاتبي في المنطق.

(توفي) في سادس ذي القعدة. سنة ست وستين وسبعمائة بظاهر دمشق، عن نحو أربع وسبعين سنة. يروي أنه كان له عبد رباه من صغره وعلمه، حتى كان مدرساً وفاضلاً في كل العلوم، وكان يدعى بمبارك شاه المنطقي. وهو الذي أخذ عنه الشريف الجرجاني (شرح المطالع) لمولاه قطب الدين الرازي. وكان طلب قراءاته أولاً من الشارح ولم يلتزم ذلك، وتعلل: بأنني شيخ وأنت شاب، ثم أرسله الشارح من شيراز إلى غلامه مبارك شاه، وهو بمصر وقتئذ، فقبل الشريف ذلك، وسار إليه مع كتاب من الشارح إليه، وأوصى في الكتاب أن يعلمه كما سمع منه. فلما أوصل الشريف الكتاب قبله، لكن بشرط أن يسمع فقط، ولا يقرأ ولا يتكلم أصلاً. ثم ليلة من الليالي كان يطوف المدرس في المدرسة، إذ سمع مباحثة في بعض الحجرات، فإذا هو الشريف المذكور، وسمع

منه تحقيقات عجيبة، وتدقيقات غريبة، حتى لحقه البهجة والسرور، بحيث رقص في فناء المدرسة، على أن مثل هذا الفاضل يقرأ عنده، فلما أصبح أذن له في القراءة والتكلم. يروي أن الشريف كتب (حواشي شرح المطالع) عند قراءته عليه.

ومن الكتب اللطيفة في المنطق:

(التلويحات) و (المطارحات) للسهروردي.

وهو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين السهروردي، الحكيم المقتول؛ وقيل: اسمه عمر. كان من علماء عصره، قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي، أستاذ فخر الدين الرازي، بمدينة المراغة من أعمال أذْرَبِيجان، إلى أن برع فيها. وكان السهروردي أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية والفلسفية، بارعاً في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء، فصيح العبارة. ويقال: إنه كان يعرف علم السيمياء، ويحكي عنه فيه أشياء غريبة، منها ما حكى بعض فقهاء العجم، أنه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق؛ قال: فلما وصلنا إلى القابون ــ القرية التي على باب دمشق في طريق من يتوجه إلى حلب ــ لقينا قطيع غنم مع تركمان، فاشتهينا غنماً نأكله، وأعطانا عشرة دراهم كانت معه، فاشترينا بها غنماً من رجل تركماني، فلم نمش إلا قليلاً ولحقنا رفيق له وقال: ردوا الرأس وخذوا أصغر من هذا الغنم، ورفيقي لم يعرف قيمته، وتقاولنا نحن وإياه، فلما عرف الشيخ ذلك، قال: امشوا وأنا أرضيه، فتقدمنا نحن، وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه، فلما أبعدنا قليلاً، تبعنا وتركه فغاظ التركماني، وجذب اليد اليسرى للشيخ، وإذا بيد الشيخ قد انخلعت، ورمي التركماني يده، وخاف منه وفر، وأخذ الشيخ تلك اليد بيده اليمنى، ولحقنا إلى أن غاب عن التركماني، فرأينا في يد الشيخ منديلاً له لا غير. ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة.

وله تصانيف منها:

١ ــ التنقيحات: في أصول الفقه.

٢ ــ والتلويحات.
٣ ــ والمطارحات: في المنطق والحكمة.
٤ ــ والهياكل.
٥ ــ وحكمة الإشراق: في الحكمة.

٦ ــ وله الرسالة المعروفة بالعزبة الغربية، على مثال (رسالة الطير)، ورسالة (حي بن يقظان) لأبي على بن سينا. وفيها بلاغة تامة للسهر وردي، أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها. وله في النظم والنثر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة فيها. وكان شافعي المذهب. وكان يلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل، ويعتمد مذهب الحكماء المتقدمين. وأفتى علماء حلب باباحة دمه، وكان أشدهم عليه زين الدين، ومجد الدين ابني جَهبَل.

وقال الشيخ سيف الدين الآمدي ــوسيجيء ذكرهــ: اجتمعت بالسهروردي في حلب، فقال لي: لا بد أن أملك الأرض، فقلت له: من أين لك هذا، قال: رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر، فقلت: لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا، فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه، ورأيته كثير العلم، قليل العقل.

وبالجملة: حبسه السلطان وخنقه، في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب، وعمره ثمان وثلاثون سنة.

وكان الناس مختلفين في حقه، منهم من ينسبه إلى الزندقة والالحاد، ومنهم من يشهد له بحسن الاعتقاد. قال القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد، قاضي حلب: ان السهروردي كان كثير التعظيم لشعائر الدين القويم، وأطال الكلام في ذلك. وذكر نفسه في أواخر التلويحات في وصايا ذكرها هناك: واتق شر من أحسنت إليه من اللئام، ولقد أصابني منهم شدائد. قال شارحها: أراد به بعضاً من تلامذته، الذين يصاحبونه في السفر والحضر، وينقلون عنه أشياء مخالفة للشرع. ولعل قتله كان بسبب هؤلاء. نسأل الله العفو والعافية في الدين

والدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من أهل الحق والرشاد، وأن يعصمنا من شر أهل الزيغ والفساد. إنه ولي الحق والإرشاد.

ومن لطائف كتب المنطق:

(الملخص) و(شرح الإشارات)، وغير ذلك للإمام الرازي. وستعرف ترجمته إن شاء الله تعالى.

ومن الكتب النافعة في المنطق:

(المعتبر) لأبي البركات البغدادي. وهو هبة الله بن ملكا، أبو البركات البغدادي، اليهودي أولاً في أكثر عمره، والمهتدى إلى الإسلام في آخر أمره، الملقب أوحد الزمان. طبيب فاضل، عالم بعلوم الأوائل. كان حسن العبارة، لطيف الإشارة. صنف كتاب (المعتبر)، أتى فيه بأقسام الحكمة غير الرياضي. وهو أحسن كتاب صنف في هذا الشأن في هذا الزمان. وكان ذا ثروة وتجمل تام.

وهجاه ابن أفلح وقال:

لنا طبيب يهودي حماقته إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولما سمع ذلك علم أنه لا يبجل بالنعمة بلا إسلام، فقوى عزمه على الإسلام، فأسلم وجلس للتعليم والمعالجة، وعاش عيشة هنيئة، إلى أن خانه الدهر وهو خؤون، وعصاه الزمان وهو ذو فنون، حتى استولت عليه والعياذ بالله آفات، لو وضع واحد منها على رضوى، لتخلخلت أصوله الرواسخ، وتدكدكت رؤوسه الشوامخ؛ وذلك أنه عمى وطرش و برص وتجذم، فنعوذ بالله من نقمة لا تطيقها الأ بدان، ومن زوال العافية وتقلب الإحسان. ولما أحس بالموت أوصى من يتولاه أن يكتب على قبره ما مثاله: هذا قبر أوحد الزمان أبي البركات ذي العبر صاحب (المعتبر). فسبحان من لا يغلبه غالب، ولا ينجو من قضائه متحيل ولا هارب. نسأل الله تعالى في حياتنا العافية، وفي مماتنا حسن العاقبة.

رب قد أحسنت فيما مضى، فلك أن تحسن إلينا فيما بقي. ولم يتحقق تاريخ وفاته إلا أنه كان في أواسط المائة السادسة، والله أعلم.

ومن كتب المنطق:

(جامع الدقائق) للكاتبي.
و(شرح الكشف) له أيضاً.
و(الكشف).
و(تنزيل الأفكار).
و(حواشي ملخص الرازي)؛ كلها للكاتبي.

وإن أردت بلوغ الغاية في المنطق فعليك بـ(تعديل الميزان)؛ وهو أحد أقسام (تعديل العلوم) للإمام الهمام، والحبر القمقام، فخر العلماء الأعلام، ونتيجة أسلافه الكرام، وسلالة أجداده العظام، الإمام صدر الشريعة، أكرمه الله في الدرجات الرفيعة. وهو رحمه الله كشف في هذا الكتاب عن غوامض طالما تحير فيها عقول الأقدمين، وأبرز قواعد لم يهتد إليها أحد من الأوحدين، ومع هذا فهو للعلوم الشرعية أبو عذرها وابن نجدتها، وستعرف ترجمته إن شاء الله تعالى الكريم.

وكتب المنطق أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى، لكن من لم ينتفع بما ذكر لا ينتفع بخزائن من الكتب. والله الموفق للرشاد والمعطي للسداد.

الشعبة الثانية

في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس

علم آداب الدرس

وهو العلم المتعلق بآداب تتعلق بالتلميذ مع الأساتذة وعكسه.

ومنفعته، وغايته، وغرضه ظاهرة جداً. وقد ذكرنا في مقدمات هذه الرسالة ما فيه غنية عن الأكثار فيه. وقد استوفى هذا الباب في كتاب (تعليم المتعلم).

علم النظر

وهو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين.

وموضوعه: الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعي على الغير.

ومبادئه: أمور بينة بنفسها.

والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة، لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب.

ومن الكتب المختصرة فيه غاية الاختصار:

(رسالة لمولانا عضد الدين) وستعرفه. وقد بين قواعدها كلها في مقدار عشرة أسطر. وشرحها بعض الفضلاء المعاصرين لنا شرحاً حسناً، وهو مولانا محمد بن محمد البردعي، وكان ذكياً في الغاية (مات) في سنة سبع وعشرين وتسعمائة.

ومن الكتب المختصرة النافعة فيه:

(رسالة مولانا شمس الدين) السمرقندي، صاحب (قسطاس الميزان).

وهذه الرسالة أشهر كتب هذا الفن. وعليها شروح منها:

١ ــ شرح علاء الدين البهشتي.

٢ ــ وشرح قطب الدين الكيلاني.
٣ ــ وشرح مسعود الرومي.
وغير وذلك.

ومن الكتب المختصرة فيه:

(كتاب مولانا سنان الدين الكنجي).

وكنجة: قرية من قرى برذعة، ولم يتفق له شرح إلى الآن.

علم الجدل

وهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على ابرام أي وضع أريد، وعلى هدم أي وضع كان. وهذا من فروع علم النظر. ومبني العلم الخلاف، وهذا مأخوذ من الجدل، الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خص بالعلوم الدينية.

ومبادئه: بعضها مبنية في علم النظر، وبعضها خطابية، وبعضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة.

وموضوعه: تلك الطرق.

والغرض منه: تحصيل ملكة الهدم والإبرام.

وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الالزام على المخالفين ودفع شكوكهم. وللناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدي.

ومن الكتب المختصرة فيه:

(المغني) للأبهري.
و (الفصول) للنسفي.
و (الخلاصة) للمراغي.
و (مقدمة النسفي) وعليها شروح أحسنها (شرح السمرقندي).

ومن المتوسطة:

(النفائس) للعميدي.

و (الرسائل) للأرموي.

و (تهذيب النكت) للأبهري.

وفي هذا العلم مصنفات كثيرة لكنه لم يشتهر في بلادنا غير ما ذكرناه.

واعلم: أن أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي، أمام عصره بلا مدافعة. كان فقيهاً، محدثاً، أصولياً لغوياً، شاعراً، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته. رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور. وسار ذكره في البلاد. وأخذ الفقه عن ابن سريج. وله مصنفات كثيرة في الجدل وأصول الفقه. وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده. روى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه. وروى عنه الحاكم، وأبو عبدالله بن منده، وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة.

(توفي) سنة ست وثلاثين وثلاثمائة؛ وقيل: توفي بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

وكانت (ولادته) سنة إحدى وتسعين ومائتين؛ وقيل: سنة ست وستين وثلاثمائة. وشاش مدينة ما وراء نهر سيحون في أرض الترك. قال بعض العلماء: إياك أن تشتغل بهذا الجدل، الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد عن الفقه، ويضيع العمر، ويورث الوحشة والعداوة، وهو من اشراط الساعة، وارتفاع العلم والفقه. كذا ورد في الحديث حسبما ذكر في (تعليم المتعلم) ولله در القائل:

شعر

أرى فقهاء هذا العصر طرا   أضاعوا العلم واشتغلوا بلم لم

إذا ناظرتهم لم تلق منهم   سوى حرفين لم لم لا تسلم

قلت: والأنصاف أن الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى: ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1]، لابأس به، وربما ينتفع به في تشحيذ الأذهان وتصقيل الخواطر. والذي منع عنه العلماء هو الجدل الذي يضيع الأوقات، ولا يحصل منه طائل، وكثيراً ما لا يخلو عن التحاسد والتنافس المذمومين في الشرع. فعليك الاحتياط لئلا تقع في المهالك من حيث لا تشعر.

علم الخلاف

وهو علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة، من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء، أفضلهم وأمثلهم: أبو حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي، رضي الله عنه؛ ومن أصحابه: أبو يوسف، ومحمد، وزفر، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، رضي الله تعالى عنهم؛ ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض لأي وضع أريد في تلك الوجوه.

ومبادئه: مستنبطة من علم الجدل، فالجدل بمنزلة المادة، والخلاف بمنزلة الصورة، وله استمداد من العلوم العربية والشرعية.

وغرضه: تحصيل ملكة الإبرام والنقض.

وفائدته: دفع الشكوك عن المذهب وإيقاعها في المذهب المخالف.

وقد أورد علم الخلاف والجدل، الإمام فخر الدين الرازي في كتاب (المعالم). وقد جمع بعض العلماء في علم الخلاف المسائل العشرين، وبعضهم الأربعين، وغير ذلك من الرسائل والتعليقات، لكن قد ضاعت كتبه، وانطمست آثاره، وبطلت معالمه في زماننا هذا، حتى أن طلبة زماننا، لا يتفطنون الفرق بين الخلاف والجدل والمناظرة، فضلاً عن معرفة شيء من كتبها، فضلاً عن اطلاع بعض مسائلها. وإلى الله المشتكى من زمان صار الكلام فيه كلاماً بلا أثر، والخلاف خلافاً بلا ثمر، والأصول فضولاً، والمعقول مغفولاً.

(١) سورة النحل آية ١٢٥

واعلم: أن أول من أخرج علم الخلاف في الدنيا أبو زيد الدبوسي، بتخفيف الباء الموحدة، الحنفي، وهو عبيدالله بن عمر بن عيسى.

له:

١ ـــ كتاب الأسرار.

٢ ـــ وكتاب تقويم الأدلة.

كلاهما من أصول الفقه. قال الذهبي: كان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج.

٣ ـــ وله كتاب الأمد الأقصى أيضاً.

ودبوسة قرية بين بخارى وسمرقند.

(توفي) ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة، وقيل: يوم الخميس منتصف جمادي الآخرة، سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستين.

ناظر مرة رجلاً، فجعل الرجل يتبسم ويضحك، فأنشد أبو زيد لنفسه:

مالي إذا ألزمته حجة ... قابلني بالضحك والقهقهة
إن كان ضحك المرء من فقهه ... فالضب في الصحراء ما أفقهه

قلت:

ويروي بالضحك والتبسمة ... فالضب في الصحراء ما أفهمه

واعلم: أنه يمكن جعل علم الجدل والخلاف من فروع علم أصول الفقه، وستعرفه إن شاء الله تعالى الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، والهادي إلى سواء السبيل.

الدوحة الرابعة

في العلم المتعلق بالأعيان

وهذا قسمان:

مايبحث فيه بمجرد الرأي ومقتضى العقل فقط: وهو العلوم الحكمية الباحثة عن أحوال الموجودات الخارجية، بحسب الطاقة البشرية.

وما يبحث فيه على قواعد الشرع، وعلى تسليم المدعي وأخذه من الشرع:

وهو علم أصول الدين. وعلى هذا التقسيم حال الحكمة العملية. ولما تقدم علم الحكمة على علم الكلام بحسب التدوين، وكان علم الكلام مناسباً للطرف الثاني من الرسالة، قدمنا العلوم الحكمية على ذلك.

ففيها: مقدمة، وعدة شعب.

المقدمة

اعلم: أن العلوم الحكمية النظرية، أما أن يبحث فيه عن موجود منزه عن المادة، في الخارج وعند البحث؛ أو يبحث عن موجود مقارن للمادة، خارجاً دون البحث؛ أو يبحث عن موجود مقارن لها، خارجاً وبحثاً أيضاً.

و **(القسم الأول)** يسمى «بالعلم الالهي» لبحثه عن الالهيات، و «بالعلم الأعلى» لعلو موضوعه بسبب تجرده عن المادة؛ ويسمى «بعلم ما بعد الطبيعة» أيضاً لقراءتهم اياها بعد العلم الطبيعي.

و **(القسم الثاني)** يسمى «بالرياضي» لرياضة النفوس بها أولاً، إذ الأوائل كانوا يبتدئون في التعليم بها لكون دلائلها يقينية، ولتعتاد النفوس باليقينيات بادىء بدء، حتى كانوا يقدمونها على المنطق أيضاً؛ ويسمى «بالعلم الوسط» أيضاً لعدم تجرده عن المادة بالكلية، ولعدم مقارنته إياها بالكلية.

و **(القسم الثالث)** يسمى «بالعلم الطبيعي» لبحثه عن طبائع الأجسام، و «بالعلم الأدنى» لمقارنته بالمادة بالكلية.

فهذه هي الأصول الثلاثة للعلوم الحكمية. ولنذكر كلا منها في شعبة ولكلٍ منها فروعاً لا تحصى. ولنذكر فروع كل منها عقيبة في شعبة أخرى، فتصير الشعب ستاً، ولنقدم العلم الالهي على الباقين لشرفه. ثم لنذكر الأوسط ثم الأدنى.

الشعبة الأولى

في العلم الإلهي

العلم الالهي

وهو علم يبحث فيه عن الموجودات من حيث هي موجودات.

وموضوعه: الموجود من حيث هو؛

وغايته: تحصيل الاعتقادات الحقة، والتصورات المطابقة لتحصيل السعادة الأبدية، والسيادة السرمدية. وهذا العلم هو المقصد الأقصى، والمطلب الأعلى، لكن لمن وقف على حقائقه، واستقام في الاطلاع على دقائقه، لأن من حظي بها فقد فاز فوزاً عظيماً، ونال ملكاً كريماً، ومن زلّت فيه قدمه أو طغى به قلمه، فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، إذ الباطل يشاكل الحق في مأخذه، والوهم يعارض العقل في دلائله، جل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد، و يطلع على سرائر قدسه إلا واحد بعد واحد. وقلما يوجد انسان يصفو عقله من كدر الأوهام، ويخلص فهمه عن مهاوي الايهام. وقد سلف في مقدمة الكتاب ما يتعلق بهذا الباب.

وقد عرفت فيما سبق من المقدمات أن طريق الكسب: أما طريق النظر، أو طريق التصفية، وقد نبهناك على أنا نذكر طريق التصفية في الطرف الثاني من الرسالة. ولنذكر هاهنا طريق النظر فقط، إلا أن من النظر رتبة تتاخم طريق التصفية، و يقرب حدها من حدها، وهو «طريق الذوق» و يسمونه «بالحكمة الذوقية».

وممن وصل الى هذه الرتبة في السلف: السهروردي، وكتاب (حكمة الاشراق) له، صادر عن هذا المقام، برمز أخفى من سر صدر كاتم.

وفي المتأخرين: العالم العامل، والفاضل الكامل، مولانا شمس الدين الفناري، في بلاد الروم؛ ومولانا جلال الدين الدواني، في بلاد العجم. وهما فائزان لكلتا الرياستين، وحائزان لتينك الدولتين. ورئيس هؤلاء الشيخ صدر الدين القونوي، قدس الله سره العزيز. والعلامة قطب الدين الشيرازي، رحمه الله.

واعلم: أن منبع العلوم الحكمية والنظرية، وأستاذ الكل فيها: ادريس النبي، عليه السلام، آتاه الله النبوة والحكمة، وعلم النجوم. وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأفهمه عدد السنين والحساب، وعلمه الله تعالى الألسنة، حتى تكلم الناس في زمنه اثنين وسبعين لساناً. (ولد) بمصر وسموه «بهرمس الهرامسة» وباليونانية «أرميس»: يعني عطارد، وعرب «بهرمس»؛ واسمه الأصل: هنوخ، وعرب أخنوخ. وسماه الله تعالى في كتابه العربي المبين «ادريس» لكثرة دراسته كتاب الله تعالى، وقيل: ان معلمه غوثاذيمون أو اغثاذيمون المصري، وتفسيره: السعيد الجد، قيل: وهو شيث عليه السلام. ثم ان ادريس عليه السلام عرف الناس صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنه يكون بريئاً من المذمات والآفات كلها، كاملاً في الفضائل الممدوحات، لا يقصر عما يسأل عنه، مما في الأرض والسماء، ومما فيه داوء وشفاء، وأنه يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه، ويكون مذهبه ودينه ما يصلح به العالم. وكانت قبلة ادريس عليه السلام جهة الجنوب على خط نصف النهار.

وكان رجلاً تام الخلقة، حسن الوجه، أجلح، كث اللحية، مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم براق العين أكحلها، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، كثير الفكر، به عبسة، أكثر نظره الى الأرض، واذا اغتاظ احتد، يحرك سبابته إذا تكلم. وكانت مدة مقامه في الأرض اثنتين وثمانين سنة، ثم رفعه الله مكاناً علياً. وهو أول من خاط الثياب وحكم بالنجوم، وأنذر بالطوفان، وأول من بنى

الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب، وأول من ألف القصائد والأشعار، وهو باني أهرام مصر، وصور فيها جميع العلوم والصناعات وآلاتها، خشية أن يذهب رسمها بالطوفان.

واعلم أيضاً: أن من أساتذة الحكمة أفلاطون، أحد الأساطين الخمسة للحكمة من يونان، كبير القدر، مقبول القول، بليغ في مقاصده.

أخذ عن فيثاغورس، وشارك مع سقراط في الأخذ عنه. وكان أفلاطون شريف النسب بينهم، كان من بيت علم. وصنف في الحكمة كتباً كثيرة، لكن اختار فيها الرمز والاغلاق. وكان يعلم تلاميذه وهو ماش، ولهذا سموا المشائين. وفوض الدرس في آخر عمره الى أرشد أصحابه، وانقطع هو الى العبادة. وعاش ثمانين سنة. و (ولد) في مدينة اثينس، ولازم سقراط خمس سنين، وكان عمره اذ ذاك عشرين سنة. ثم عاد الى بلده أثينس، ولازم مدرسته، وارتزق من بقل البساتين، وتزوج امرأتين. وكانت نفسه في التعليم مباركة تخرج بها علماء اشتهروا بعده. وله تصانيف كثيرة في أقسام الحكمة.

ومن جملة اساتذة الحكمة: أرسطوطاليس، تلميذ أفلاطون، ولازم خدمته مدة عشرين سنة. وكان أفلاطون يؤثره على غيره و يسميه «العقل». وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم، وأول من استخرج المنطق. وله كتب شريفة في الفلسفة. وكان معلم الاسكندر بن فيلقس، و بآدابه وسياسته عمل هو، فظهر الخير وفاض العدل، و به انقمع الشرك في بلاد اليونانيين. وأرسطوطاليس معناه: محب الحكمة أو الفاضل الكامل. عاش سبعاً وستين سنة. ومصنفاته تنيف على ثمانين.

وكان أبيض، أجلح، حسن القامة، عظيم العظام، صغير العينين والفم، عريض الصدر، كث اللحية، أشهل العينين، أقنى الأنف، يسرع في مشيه إذا خلا، و يبطيء إذا كان مع أصحابه، ناظراً في الكتب دائماً، و يقف عند كل كلمة، و يطيل الاطراق عند السؤال، قليل الجواب، ينتقل في أوقات النهار،

في الفيافي ونحو الأنهار، محباً لاستماع الألحان، والاجتماع بأهل الرياضات وأصحاب الجدل، منصفاً من نفسه إذا خصم، و يعترف بموضع الاصابة والخطأ، معتدلاً في الملابس والمآكل والمشارب والمناكح، بيده آلة النجوم والساعات. و (مات) وله ثمان وستون سنة.

ثم أنه تخلى عن خدمة الملوك و بنى موضع التعليم، وأقبل على العناية بمصالح الناس، ورفد الفضلاء، وتزو يج الأ يامى، وارشاد الملتمسين للعلم والأذب. وكان جليل القدر في الناس. وكانت له من الملوك كرامات عظيمة ومنزلة رفيعة. وكان كثير التلاميذ من الملوك وأبنائهم وغيرهم. وكان أهل مدينة أسطا إذا أشكل عليهم أمر يجتمعون الى قبره حتى يفتح لهم، و يزعمون أن قبره يصحح فكرهم و يزكي عقولهم. واستيفاء أخباره لا يمكن إلا في مجلد.

ومن جملة أساتذة الحكمة: الفارابي:

وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والحكمة وغيرها من العلوم. وهو أكبر فلاسفة الإسلاميين، لم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه. وتخرج ابن سينا بكتبه، و بعلومه انتفع في تصانيفه. وكان رجلاً تركياً، تنقلت به الأسفار الى أن وصل بغداد. وهو يعرف كثيراً من اللغات غير العربي، ثم تعلمه وأتقنه. ثم اشتغل بالحكمة، فقرأ على أبي بشر متى بن يونس الحكيم، من (شرح كتاب أرسطو في المنطق) سبعين سفراً. وكان هو شيخاً كبيراً له صيت عظيم يجتمعون في حلقته كل يوم المئون من المنطقيين. ثم أخذ طرفاً من المنطق من أبي حنا بن خيلان الحكيم النصراني بمدينة حران ثم قفل الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتمهر في كتب أرسطو جميعها. يقال: وجد كتاب (النفس) لأرسطو، وعليه مكتوب بخط الفارابي: إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة. و يقال: قرأ (السماع الطبيعي) لأرسطو أربعين مرة، ومع ذلك يقول: إني محتاج الى معاودته. وكان يقول: لو أدركت أرسطو لكنت أكبر تلامذته. ثم سافر الى دمشق، ثم الى مصر، ثم عاد الى دمشق، فأحسن اليه سلطانها سيف الدولة بن حمدان، وأجرى

عليه كل يوم أربعة دراهم. وكان أكثر تصانيفه في الرقاع، ولم يصنف في الكراريس إلا قليلاً، فلذلك كانت أكثر تصانيفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً.

ويحكى: أنه دخل على مجلس سيف الدولة وهو بزي الأتراك، وكان ذلك زيه دائماً، فتخطى رقاب الناس، وكان المجلس مجتمع الفضلاء، حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه، حتى أخرجه عنه، فقال سيف الدولة لمماليكه بلسان خاص يسارهم: هذا الشيخ قد أساء الأدب، وأنى مسائله عن أشياء، إن لم يوف بها فاخرجوا به، فقال أبو نصر بذلك اللسان: أيها الأمير، اصبر فان الأمور بعواقبها، فقال سيف الدولة: أتحسن بهذا اللسان، قال: نعم: بل أكثر من سبعين لساناً. فعظم عنده، ثم أخذ يتكلم في كل فن حتى بذ جميع الحاضرين، فخلا به سيف الدولة، فقال له: هل تشرب؟ فقال: لا، فقال: تسمع؟، قال: نعم؛ فأحضر الآلات فا حرك أحد منها شيئاً إلا وعابه أبو نصر، ثم أخرج من وسطه خريطة، وأخرج منها عيداناً، فركبها، فلعب بها، فضحك كل من حضر؛ ثم فكها وركبها تركيباً آخر، وضرب بها، فبكى كلهم، ثم فكها وغير تركيبها، وحركها، فنام كلهم حتى البواب، فتركهم نياماً وخرج.

ويحكى: أن الآلة المسماة بالقانون من تركيبه. (توفي) سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق، وقد ناهز ثمانين سنة.

وعدد مصنفاته من الكتب والرسائل سبعون، كلها نافعة، سيا كتابان في العلم الالهي والمدني لا نظير لهما:

أحدهما المعروف (بالسياسة المدنية) والآخر (بالسيرة الفاضلة).

وصنف كتاباً شريفاً في (احصاء العلوم) والتعريف بأغراضها، لم يسبق اليه أحد، ولا ذهب أحد مذهبه، ولا يستغني عنه أحد من طلاب العلم. وكذا كتابه في (أغراض أفلاطون وأرسطو) اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علماً علماً، وبيّن كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئاً فشيئاً، ثم بدأ بفلسفة

أفلاطون يعرف بغرضه منها، ثم اتبع ذلك بفلسفة أرسطو، ووصف أغراضه في تواليفه المنطقية والطبيعية، فلا أعلم كتاباً أجدى على طلب الفلسفة منه. وفاراب احدى مدن الترك فيما وراء النهر.

ومن جملة أساطين الحكمة:

أبو علي بن سينا، وقد عرفته.

والامام فخر الدين الرازي، وستعرفه.

وممن نحا نحوهما:

نصير الدين الطوسي. وهو محمد بن محمد، سلطان الحكماء المدققين وقدوتهم في زمانه، جامع علوم المتقدمين والمتأخرين. (ولد) يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى، سنة سبع وتسعين وخمسمائة. و (توفي) آخر نهار الاثنين ثامن عشر ذي الحجة، وقت مغيب الشمس، سنة اثنتي وسبعين وست مائة. ودفن بالمشهد الكاظمي، على ساكنه أفضل السلام.

وكان آية في التدقيق والتحقيق، وحل المواضع المشكلة، سيما لطف التحرير الذي لم يلتفت اليه المتقدمون، بل التفتوا جانب المعنى فقط. وهو اخترع في التحرير أسلوباً يسهل أخذ المعنى منه، مع التحرز عن ألفاظ زائدة وكلمات مغلقة، وان لم تصدقني في ذلك، فعليك بتتبع تصانيف القدماء الى زمانه، بحيث تجد بينهما فرقاً أي فرق. ثم أن الفاضل الشريف قلده في أمر التحرير والتقرير، كما يظهر لك بالنظر في تصانيفهما، إلا أنه ــ تجاوز الله عنه ــ كان غالياً في التشيع، كما يفصح عنه المقصد السادس في التجريد، وكان يحكى عنه مع ذلك أمور لا تناسب رتبته في العلم، حيث كان في معنى الوزير للكافر المسمى «بهلاكو» ملك الترك الطغاة. وهو الذي أغار على بلاد المسلمين وخربها وانقطعت بسببه سلسلة الخلافة العباسية في بغداد، وجرى ما جرى مما اشتهر أمره و يطول شرحه.

وكان ما كان مما لست أذكره   فظن شراً ولا تسأل عن الخبر

إلا أن الشيخ أكمل الدين قال في آخر (شرحه للتجريد): سمعت شيخي العلامة وهو مولانا قطب الدين الشيرازي، رحمه الله، أنه قال: كان الناس مختلفين في أن هذا الكتاب، يعني (التجريد)، لخواجه نصير الدين أولا، فسألت عن ذلك ابنه خواجه أصيل الدين، فقال: كان والدي وضعه الى باب الإمامة، وتوفي، فكمله ابن المطهر الحلي، وكان من الشيعة، وهو زائغ زيغاً عظيماً، فعلى هذه الرواية يكون هو بريئاً عن نقيصة التشيع. إلا أن المشهور عند الجمهور خلافه. والله حسيبه وهو أعلم بحقيقة الحال وكيفية المآل.

ومن يلي هؤلاء في معرفة الحكمة:

الشيخ شهاب الدين السهروردي، بل فاق كثيراً منهم في الحكمة الذوقية، وقد عرفته.

ومن انخرط في سلكهم:

العلامة مولانا قطب الدين الشيرازي؛

والعلامة مولانا قطب الدين الرازي؛ وقد عرفتهما؛

ومولانا سعد الدين التفتازاني؛

والسيد الشريف الجرجاني؛

ثم مولانا جلال الدين الدواني؛

ومن فضلاء بلادنا:

مولانا مصلح الدين مصطفى الشهير «بخواجه زاده»؛

ومصلح الدين مصطفى الشهير «بالقسطلان»؛

لكن هؤلاء السبعة قد فاقوا على أكثر المتقدمين في الحديث والتفسير والأصولين والفروع. إلا أن الإمام فخر الدين الرازي، فانه تمهر فيها، مع مشاركته لهؤلاء في العلوم الحكمية بأقسامها، إلا أن اتقانهم أقوى من اتقانه.

واعلم: أن الكتب المصنفة في العلم الالهي، لما لم تخل عن الرياضي والطبيعي أيضاً، أحببنا أن نذكرها بعد الفراغ عن الكل، اللهم إلا نادراً

(كالمباحث المشرقية) للإمام فخر الدين الرازي وأمثاله. ولا تظنن أن العلوم الحكمية مخالفة للعلوم الشرعية البتة، وليس كذلك، بل الخلاف في مسائل يسيرة، وبعضها مخالف ظاهراً، لكن ان حقق، يصافح أحدهما الآخر ويعانقه.

الشعبة الثانية

في فروع العلم الإلهي

علم معرفة النفوس الانسانية

بدءاً وعوداً، وأنها قديمة أو حادثة أو محشورة أو غير محشورة. وموضوعه وغرضه لا يخفى على الفطن.

علم معرفة الملائكة

هو العلم الباحث عن المجردات التي لا تتصرف في البدن، وأحوالها وكيفية صدورها عن مبدئها. وموضوعه، وغايته وغرضه ظاهر لمن تمهر في العلم الإلهي.

علم معرفة المعاد

وهو علم باحث عن أحوال النفس بعد المفارقة عن البدن، حيث تتعلق بالبدن أخرى، أم لا، هل يمكن لها السعادة أو الشقاوة؟ وهل تتبدل احداهما بالأخرى وما سبب كل منها؟ وموضوعه، وغرضه، ونفعه لا يحتاج الى البيان.

علم امارات النبوة

من الارهاصات والمعجزات القولية والفعلية، وأمثال ذلك، وكيفية دلالة هذه على النبوة، والفرق بينها وبين السحر وتمييز الصادق من الكاذب.

وموضوعه، وغايته، وغرضه ظاهرة جداً، ومنفعته أعظم المنافع.

وفي هذا العلم مصنفات كثيرة، لكنه لا أنفع ولا أحسن من كتاب (أعلام النبوة) للشيخ الامام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي. وهو كان من كبار الفقهاء الشافعية. أخذ الفقه عن أبي حامد الاسفرايني ببغداد، وأبي القاسم الصيمري. وكان حافظاً للمذهب. وله فيه:

١ ــ كتاب الحاوي؛
٢ ــ وله تفسير القرآن الكريم؛
٣ ــ والنكت؛
٤ ــ والعيون؛
٥ ــ وأدب الدين والدنيا؛
٦ ــ والأحكام السلطانية؛
٧ ــ وقانون الوزارة؛
٨ ــ وسياسة الملك؛
٩ ــ والاقناع في المذهب؛

وغير ذلك. وفوض اليه القضاء ببلدان كثيرة. واستوطن بغداد. و (توفي) يوم الثلاثاء، سلخ ربيع الأول، سنة خمسين وأربعمائة، وعمره ست وثمانون سنة.

علم مقالات الفرق

وهو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الالهية. وهي على ما أخبر به نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، عن هذه الأمة، اثنتان وسبعون فرقة.

وموضوعه، وغايته، وغرضه، ومنفعته ظاهرة جداً. وقد تكفل بتفصيل مجملاتها القاضي مولانا عضد الدين، في آخر كتابه (المواقف) من علم الكلام.

ومن أورد فرق المذاهب في العالم كلها:

محمد الشهرستاني في كتاب (الملل والنحل). وهو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتكلم على مذهب الأشعري. كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً. تفقه على أحمد الحوافي المقدم ذكره، وعلى أبي نصر القشيري، وغيرهما. وبرع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري، وتفرد فيه.

وصنَّف:

١ ــ كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام.

٢ ــ وكتاب الملل والنحل.

٣ ــ والمناهج.

٤ ــ والبينات.

٥ ــ وكتاب المضارعة.

٦ ــ وتلخيص الأقسام لمذاهب الآنام.

وكان كثير المحفوظ، حسن المحاورة، يعظ الناس. ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وظهر له قبول كثير عند العوام. وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور، ومن غيره. وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني. وكانت (ولادته) سنة سبع وستين، أو تسع وسبعين وأربعمائة بشهرستان. و (توفي) بها في أواخر شعبان، سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة.

وشهرستان: مدينة في خراسان. وذكر في أول (نهاية الأقدام) المذكور بيتين، ولم يذكر أن هذين البيتين لمن:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

قلت: وجدت في بعض المجاميع أن البيتين اللذين ذكرهما الشهرستاني في (نهاية الاقدام) لأبي علي بن سينا، والله أعلم. وفقنا الله تعالى للقول الصدق

والمذهب الحق، وألا تزل أقدامنا عن الصراط السوي، والمنهج الواضح القوي، ويسر لنا الاهتداء بدين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبطريقة من اتبع سنته واختار شريعته، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

علم تقاسيم العلوم

وهو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات الى أخصها، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم. ولما كان أعم العلوم موضوعاً العلم الالهي جعل تقسيم العلوم من فروعه، ويمكن التدرج فيه من الأخص الى الأعم على عكس ما ذكر، لكن الأول أسهل وأيسر. وموضوع هذا العلم، والغاية، والغرض منه ومنفعته كلها لا يخفى على أحد. وصنف ابن سينا في هذا العلم (رسالة لطيفة) وهذه الرسالة التي نحن بصدد تنقيحها وتهذيبها عظيمة النفع في هذا الباب والله أعلم بالصواب.

الشعبة الثالثة

في العلم الطبيعي

وهو علم باحث فيه عن أحوال الأجسام الطبيعية بأنواعها. وموضوعه: الجسم من حيث كونه متغيراً. ومنفعته: معرفة أحوال الأجسام البسيطة: من الأفلاك والعناصر والمركبة؛ كالمواليد الثلاثة، وكائنات الجو، وغير ذلك من الحوادث العجيبة وغرائب المزاجات، من الأحجار والنباتات والحيوانات.

ومن الكتب النافعة فيه:

(كتاب أرسطوطاليس): أورد فيه ثمانية أجزاء هي الأصول، وجردها الشيخ أبو علي بن سينا في مختصر ترجمة بـ(المقتضيات). وسنذكر كتباً تشتمل على: المنطق، والطبيعي، والإلهي.

وللعلم الطبيعي سبعة فروع، وعند البعض عشرة، وهي:

علم الطب.

وعلم البيطرة والبيزرة.

وعلم الفراسة.

وعلم تعبير الرؤيا.

وعلم أحكام النجوم.

وعلم السحر.

وعلم الطلسمات.

وعلم السيمياء.

وعلم الكيمياء.

وعلم الفلاحة.

وذلك لأن نظره أما يتفرع على الجسم البسيط أو المركب أو ما يعمهما. والأجسام البسيطة: أما الفلكية، فأحكام النجوم، وأما العنصرية، فالطلسمات.

والأجسام المركبة: أما ما لا يلزمه مزاج، وهو علم السيمياء؛ أو يلزمه مزاج، فأما بغير ذى نفس فالكيمياء، أو بذى نفس: فأما غير مدركة كالفلاحة، أو مدركة، فأما مع كمال أن يعقل أولا. الثاني البيطرة والبيزرة وما يجري مجراها. والذي لذى النفس العاقلة هو الانسان، وذلك أما في حفظ صحته واسترجاعها، وهو الطب، أو أحواله الظاهرة، الدالة على الأحوال الباطنة فالفراسة؛ أو أحوال نفسه حال غيبته عن حسه وهو تعبير الرؤيا. والعام للبسيط والمركب السحر. فلنذكر هذه العلوم على هذا النهج في شعبة، ثم لنذكر فروع الفروع في شعبة أخرى.

الشعبة الرابعة

في فروع العلم الطبيعي

علم الطب

وهو علم يبحث فيه عن بدن الانسان، من جهة ما يصح ويمرض، لحفظ الصحة وازالة المرض. قال جالينوس: الطب حفظ الصحة وازالة العلة.

وموضوعه: بدن الانسان من حيث الصحة والمرض.

ومنفعته بينة لا تخفى. وكفى بهذا العلم شرفاً وفخراً، قول الامام الشافعي رضي الله عنه: العلم علمان: علم الطب للأبدان، وعلم الفقه للأديان.

ويروى عن الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: العلوم خمسة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والهندسة للبنيان، والنحو للسان، والنجوم للزمان.

واعلم: أن أول من دوّن علم الطب: بقراط الحكيم.

وهو حكيم مشهور، معني ببعض علوم الفلسفة، سيد الطبيعيين في عصره. كان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة. وله في الطب تصانيف شريفة. وكان فاضلاً متألهاً، ناسكاً، يعالج المرضى احتساباً، طوافاً في البلاد جوالاً عليها.

وكان في زمن أردشير من ملوك الفرس. وكان يسكن حمص من مدن الشام. وكان يتوجه الى دمشق ويقيم في غياضها، للرياضة والتعلم والتعليم؛

وفي بساتينها موضع يعرف بصفة بقراط. وكان طبيباً فيلسوفاً، فاضلاً كاملاً، معلماً لسائر الأشياء، قوى صناعة القياس والتجربة قوة عجيبة، لا يتهيأ لطاعن أن يتكلم فيها.

ولما خاف أن يفني الطب من العالم، علّم الغرباء الطب، وجعلهم بمنزلة أولاده.

وظهر بقراط سنة ست وتسعين لتاريخ «بخت نصر»، وهي سنة أربع عشرة لملك بهمن. وعاش خمساً وتسعين سنة أو تسعين سنة. وله كتب نافعة مفسرة بالعربية.

ثم ظهر من بعده: جالينوس الحكيم، الفيلسوف اليوناني، من مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين. أمام الأطباء في عصره، ورئيس الطبيعيين في وقته. مؤلف الكتب الجليلة في الطب، وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان، ومؤلفاته تنيف على ستين تأليفاً. وكان بعد المسيح، عليه السلام، بنحو مائتي سنة، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف. ولا أعلم بعد أرسطوطاليس أعلم بالطبيعي من هذين: بقراط وجالينوس. قيل: هو من بلاد ايشيا شرقي قسطنطينية في دولة بنزه قيصر، وهو السادس من قياصرة رومية. وجاب البلاد، وبرع في الطب والفلسفة والرياضة، وهو ابن سبع عشرة سنة. وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة، وفاق أهل زمانه وجدد علم بقراط، وفاق في علم التشريح. وكان أبوه أعلم بالمساحة في زمانه وكانت ديانة النصرانية قد ظهرت في زمانه، فقيل له أن رجلاً ببيت المقدس يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، فقصده ليلقى من بقي من أصحابه، ومات في الطريق في مدينة سلطانية، وقبره بها. وعاش ثمانياً وثمانين سنة. وكان يأخذ نفسه في كل يوم بقراءة جزء من الحكمة. ولم يأخذ من الملوك شيئاً، ولا واكلهم ولا داخلهم، ولولا هو ما بقي العلم ولدرس، ودثر من العالم جملة، ولكنه أقام أوده، وشرح غامضه، وبسط مستصعبه. وكان في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره. وظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط، اليه انتهت الرياسة

في عصره، وبينه وبين المسيح عليه السلام سبع وخمسون سنة، المسيح عليه السلام أقدم منه.

واعلم: أن منذ وفاة جالينوس الى هذا التاريخ وهذا ثمان وأربعون وتسعمائة سنة من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألف وأربعمائة وست وسبعون تقريباً.

ومن مشاهير العلماء في الطب:

محمد بن زكريا أبو بكر الرازي: طبيب المسلمين من غير مدافع، ومهر في المنطق والهندسة، وغيرها من علوم الفلسفة. وكان يضرب بالعود أولاً، ثم أقبل على تعلم الفلسفة فقال منها كثيراً. وألف كتباً كثيرة، أكثرها في الطب. وتوغل في الالهي، ولم يفهم غرضه الأقصى، فتقلد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب ضعيفة، ودبر مارستان الري ومارستان بغداد. ثم عمي في آخر عمره.

و (توفي) قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة. قيل له: لو قدحت عينك، قال: لا، قد أبصرت من الدنيا حتى مللت. وأحسن صناعة الكيمياء، وذكر أنها أقرب الى الممكن منها الى الممتنع، وألف فيها اثني عشر كتاباً. وكان كريماً متفضلاً، باراً بالناس، حسن الرأفة بالفقراء. ولم يكن يفارق النسخ؛ أما يسود أو يبيض. وتصانيفه تبلغ مائة وستة عشر من الكتب والرسائل، في الطب والفلسفة كلها نافع في بابه. والله أعلم.

ومن الكتب المختصرة النافعة غاية النفع المباركة للطلاب:

(كتاب الموجز) لابن النفيس. وهو علي بن أبي الحزم علاء الدين بن النفيس، الطبيب المصري، صاحب التصانيف الفائقة في الطب، منها:

١ ــ الموجز.

٢ ــ وشرح كليات القانون.

وغيرهما. وكان فقيهاً على مذهب الشافعي. صنّف:

٣ ــ شرحاً على التنبيه.

وصنّف في الطب غير ما ذكرناه كتاباً سماه:

٤ ــ الشامل.

قيل: لو تم لكان ثلاثمائة مجلدة، تم منه ثمانون مجلدة.

وكان فيما يذكر يملي تصانيفه من ذهنه. وصنّف في أصول الفقه، والمنطق.

وبالجملة: كان مشاركاً في فنون. وأما الطب، فلم يكن على وجه الأرض مثله في زمانه. قيل: ولا جاء بعد ابن سينا مثله. قالوا: وكان في العلاج أعظم من ابن سينا. وكان شيخه في الطب مهذب الدين الدخوار. (توفي) في حادي عشر من ذي القعدة، سنة سبع وثمانين وستمائة، عن نحو ثمانين سنة. وخلف أموالاً جزيلة، ووقف كتبه وأملاكه على المارستان المنصوري.

ومن الكتب النافعة غاية النفع:

(كتاب القانون) لابن سينا. وقد عرفته.

وعلى القانون (شرح) لابن نفيس المذكور، وللعلامة الشيرازي. وقد ذكرتهما.

وأما شروح الموجز فكثيرة منها:

(شرح جمال الدين الاقسرائي).

و (شرح السديدي).

و (النفيسي).

ومن الكتب المبسوطة:

(المختار) لابن هبل.

و (المائة) للمسيحي.

و (كامل الصناعة) للملكي.

و (التذكرة السويدية).

و (الشفا) لحاجي باشا.

وغير ذلك.

علم البيطرة

وهذا علم يبحث عن أحوال الحيوان المخصوص، وهو الخيل، من جهة ما يصح ويمرض، أو يحفظ صحته و يزال مرضه. وهذا في الخيل بمنزلة الطب في الانسان.

وموضوعه، وغايته، وغرضه ظاهرة للمتبصر.

وأما منفعته: فمن أعظم المنافع جداً، لأنه عمود الاسلام، و به يقوى أحد مباني الاسلام، أعني الجهاد في سبيل الله، بل الحج أيضاً. وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قدر على ثمن دابة فليشترها فانها يأتيه رزقها وتعينه على رزقه». وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم باناث الخيول فان ظهورها حرز و بطونها كنز» الى غير ذلك من أوصاف الخيل.

وأيضاً: الخيل ما زال ممدوحاً بكل الألسنة في كل زمان و (كتاب حنين ابن اسحاق) كاف في هذا الباب.

علم البيزرة

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح، من حيث حفظ صحته، وازالة مرضه، ومعرفة علاماته الدالة على قوته في الصيد وضعفه فيه. وموضوعه، وغايته، وغرضه، ومنفعته ظاهرة لا تخفى على أحد. وكتاب (القانون الواضح) كاف في هذا العلم.

علم النبات

وهو علم يبحث فيه عن خواص نوع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها.

وموضوعه: نوع النبات. وفائدته ومنفعته: التداوي بها. ولابن البيطار فيه (تصنيف فائق). ولا أجمع ولا أنفع من كتاب (ما لا يسع الطبيب جهله). و يوجد نبذ من خواصها في ضمن الكتب الطبية.

علم الحيوان

وهو علم باحث عن خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها. وموضوعه: جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك. والغرض منه: التداوي والانتفاع بالحيوانات، والاحتماء عن مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها؛ مثلا في غرب الأندلس حيوان، إذا أكل الانسان أعلاه، أعطى بالخاصية علم النجوم، وإذا أكل وسطه أعطى علم النبات، وإذا أكل عجزه ــ وهو ما يلي ذنبه ــ أعطى علم المياه المغيبة في الأرض، فيعرف إذا أتى أرضاً لا ماء فيها، على كم ذراع يكون الماء فيها. وقد صنف فيه كمال الدين الدميري تصنيفاً حسناً (مطولا) و (مختصرا). وقد عرفته. ورأيت مختصراً مسمى (بخواص الحيوان) وهو كاف في هذا الباب، إلا أني لم أعرف مصنفه.

علم الفلاحة

علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نشوه الى منتهى كماله، باصلاح الأرض؛ أما بالماء، أو بما يخلخلها ويحميها من المعفنات: كالسماد ونحوه، أو يحميها في أوقات البرد مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن، ولذلك تختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم. ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوهما. وهو ضروري للانسان في معاشه. ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء.

ومن لطائفه ايجاد بعض نتائجه في غير أوانه، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض الى غير ذلك.

ذكر أبو بكر بن وحشية في كتابه المسمى (بالفلاحة عن النبط): أن من دار حول شجرة الخطمى، وتطلع بالنظر الى وردها وأدام ذلك فانها تحدث فرحاً في النفس، وتزيل عنه الهم والحزن.

علم المعادن

وهي سبعمائة معدن. وهو علم يتعرف منه أحوال الفلزات: من طبائعها، وألوانها وكيفية تولدها في المعادن، وكيفية استخراجها واستخلاصها عن الأجزاء الأرضية، وتفاوت طبائعها وأوزانها. وغايته، ومنفعته لا تخفى على أحد حتى العوام. والتصانيف فيه كثيرة. ولا أنفع ولا أجمع من (تأليف الطوسي).

علم الجواهر

وهو علم باحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية: كالالماس واللعل والياقوت والفيروزج؛ والبحرية: كالدر والمرجان، وغير ذلك، ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تختص بكل نوع منها، ومعرفة خواص كل منها. وغايته، وغرضه لا يخفى على انسان. والتصانيف فيها كثيرة شهيرة.

علم الكون والفساد

وهو علم باحث عن كيفية الأمطار والثلوج والرعد والبرق وأمثالها، ووجودها في بعض البلاد دون بعض، وفي بعض الأزمان دون آخر، وسبب نفع بعضها وضرر الآخر، الى غير ذلك من الأحوال.

علم قوس قزح

وهو علم باحث عن كيفية حدوثه، وسبب حدوثه، وسبب استدارته، واختلاف ألوانه، وحصوله عقيب الأمطار وطرفي النهار، وحصوله في النهار كثيراً، وفي ضوء القمر في الليل أحيانا، وأحكام حدوثه في عالم الكون والفساد، الى غير ذلك من الأحوال.

علم الفراسة

وهو علم يتعرف فيه أخلاق الانسان من أحواله الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء.

وبالجملة: الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن. وموضوعه، وغايته، ومنفعته ظاهران.

ومن الكتب المؤلفة فيه:

(كتاب الامام الرازي) في هذا العلم خلاصة (كتاب أرسطوطاليس) مع زيادات مهمة. ولاقليمون (كتاب في الفراسة) يختص بالنسوان. و (كتاب السياسة) لمحمد الصوفي. مختصر ومفيد في هذا العلم.

وكفى بهذا العلم شرفاً قوله تعالى: ﴿ان في ذلك لآيات للمتوسمين﴾(١).

وقال تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾(٢). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» وقوله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون وأنه لو كان في أمتي لكان عمر».

قلت: المحدث: المصيب في ظنه وفراسته كأنه حديث الأمر.

واعلم: أن علم الفراسة قسمان:

(أحدهما) ما يحصل بالتجربة، إذ التجربة دلت على أن بعضاً من الأمور الظاهرة، يدل على الأخلاق الباطنة. وهذا الذي وجده الحكماء وما يكون من فروع الحكمة الطبيعية.

و (ثانيهما) الفراسة الشرعية، الحاصلة بنور اليقين، بواسطة تزكية النفس عن الأخلاق الردية، وتصفية القلب عن الصفات الذميمة، حتى ينظر بنور الله، حتى يكون الله سبحانه وتعالى بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به. «ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله». وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون»

---

(١) سورة الحجر، آية: ٧٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

اشارة الى الفراسة الطبيعية، وهي التي خلق الله سبحانه وتعالى النفوس مفطورة عليها.

وبالجملة: الفراسة الشرعية معاينة المعيبات بالأنوار الربانية، وذلك نور قلب المؤمن الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: «المؤمن ينظر بنور الله».

وعن ثوبان، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احذروا دعوة المسلم وفراسته، فانه ينظر بنور الله وتوفيق الله». وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن، فانه ينظر بنور الله» كما ذكرناه. وقيل في قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾[1] أي ميت الدين فأحياه الله بنور الفراسة.

إذا عرفت هذا، فاعلم: أن من كان مراقباً أحواله وأنفاسه، مجتنباً عن المعاصي صغائرها وكبائرها، متخلقاً بالأخلاق النبوية، متحلياً بالآداب المصطفوية، ولا يرى الخير والشر والنفع والضر إلا من الله تعالى، ولا يلتفت الى مخلوق لعرض حاجته، ولا يعتمد عليه طرفة عين، تكون فراسته كالشمس ساطعة أنوارها، لامعة أضواؤها، ينطق بالصدق ويقول الحق. «وعند جهينة الخبر اليقين». قلت: جهينة اسم رجل وهذا مثل يضرب في صحة الخبر، ومورده مشهور. وهذا العلم نافع للملوك والصعاليك، في اختيار الزوجة والصديق والمماليك، الى غير ذلك. ولا بد للانسان من ذلك العلم لأنه مدني بالطبع محتاج الى معرفة النافع من الضار.

علم تعبير الرؤيا

وهو علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية، لينتقل من الأولى الى الثانية، ليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في

(١) سورة الأنعام، آية ١٢٢.

الخارج، أو على الأحوال الجارية في الآفاق. ومنفعته: البشرى أو الانذار بما يرد.

واعلم: أن الرؤيا هي فعل للنفس الناطقة ولو لم تكن لها حقيقة، لم تكن لايجاد هذه القوى في الانسان فائدة. والحكيم تعالى منزه عن الباطل. وهي ضربان:

(ضرب) وهو الأكثر، أضغاث أحلام، وأحاديث النفس من الخواطر الردية، لكون النفس في تلك الحال كالماء المتموج الذي لا يقبل صورة.

و (ضرب) هو الأقل، صحيح. وذلك قسمان: قسم لا يحتاج الى تأويل، وقسم يحتاج اليه. ولهذا يحتاج المعبر الى مهارة الفرق بين الأضغاث والأحلام، وبين غيرها، ليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية، ويفرق بين طبقات الناس، إذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا، ومن تصح رؤياه، ثم من صح له ذلك، منهم من يرشح أن تلقى اليه في المنام الأشياء العظيمة الخطر، ومنهم من لا يرشح لذلك. ولهذا قال اليونانيون: يجب للمعبر أن يشتغل بعبارة رؤياه الحكماء والملوك دون الطغام، وذلك لأن رؤياه جزء من النبوة، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

ومن الكتب المختصرة فيه:

(فوائد الفرائد) لابن الدقاق.

ومن المبسوطة:

(شرح البدر المنير) للحنبلي.

ومن المبسوطة:

(تأليف أبي سهل) المسيحي.

و (تأليف مولانا محمد بن قطب الدين الازنيقي). وهو من مشاهير بلادنا علماً وفضلاً وزهداً وورعاً وكشفاً. وبالجملة: هو جامع بين رياستي النظر والكشف.

والذي تمهر في علم التعبير من السلف هو محمد بن سيرين. ومن عجائب تعبيراته: أنه رأى رجل أنه يختم على أفواه الرجال والنساء وفروج هؤلاء. فعبرها ابن سيرين: بأنك مؤذن أذنت في رمضان قبل طلوع الفجر. وكان كذلك.

ويحكى: أن رجلاً سأله، أنه رأى أنه يدخل الزيت في الزيتون، فقال ابن سيرين أن صدقت فالتي تحتك أمك، فاضطرب الرجل، وتفحص عنها فكانت أمه، لأنها سبيت بعد أبيه فاشتراها ابنها.

ويحكى: أن أبا حنيفة، رحمه الله تعالى، رأى كأنه ينبش قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، ويجمع عظامه الى صدره، فهالته الرؤيا، فقال ابن سيرين: هذه رؤيا أبي حنيفة. فقال: أنا أبو حنيفة، فقال ابن سيرين: اكشف عن ظهرك، فكشف، فرأى خالا بين كتفيه، فقال: أنت الذي قال عليه الصلاة والسلام: «يخرج في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة، بين كتفيه خال، يحيى الله تعالى ديني على يديه». ثم قال ابن سيرين: لا تخف إنه صلى الله عليه وسلم مدينة العلم وأنت تصل اليها. فكان كما قال. وله أمثال هذه حكايات كثيرة مسطورة في كتب السير والتواريخ فارجع اليها.

علم أحكام النجوم

وهو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب: من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع، على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد، من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان.

ومن المختصرات:

(مجمل الأصول) لكوسيار؛

و (الجامع الصغير) لمحيي الدين المغربي.

ومن المتوسطات:

(كتاب البارع)؛

و (المغني).

ومن المبسوطة:

(مجموع ابن شرع)؛

و (الأدوار) لأبي معشر؛

و (الارشاد) لأبي ريحان البيروني؛

و (المواليد) للخصيبي؛

و (التحاو يل) للسجزي؛

و (القرانات) للبازيار؛

و (المسائل) للقصراني؛

و (الاختيارات العلائية)؛

و (درج الفلك) لتنكلوشا؛

و (التفهيم) للبيروني.

واعلم: أن كثيراً من العلماء على تحريم النجوم مطلقاً، و بعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات. وقد ذكر عن الشافعي، رحمه الله، أنه قال: ان كان المنجم يعتقد أن لا مؤثر الا الله، لكن أجرى الله تعالى عادته بأنه يقع كذا عند كذا، والمؤثر هو الله، فهذا عندي لا بأس به، وحيث جاء بالذم، ينبغي أن يحمل على من يعتقد تأثير النجوم. ذكره ابن السبكي في (طبقاته الكبرى). وفي هذا الباب أطنب صاحب (مفتاح دار السعادة)، إلا أنه أفرط في الطعن.

علم السحر

اعلم: أن السحر ما خفي على أكثر العقول سببه، وصعب استنباطه. وحقيقته: كل ما سحر العقول، وانقادت اليه النفوس، بالتعجب والاستحسان والاصغاء من الأقوال والأفعال.

فهو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية، وأوضاع الكواكب، وارتباطها مع الأمور الأرضية، من المواليد الثلاثة على الوجه الخاص، ليظهر من هذا الامتزاج أفعال غريبة، وأسرار عجيبة، خفية الأسباب والعلل. ومنفعته: أن يعلم، ليحذر منه، ليعمل به، لأن عمله محرم في الشرع، اللهم لدفع ساحر يدعي النبوة. وأما علمه فأباحه الأكثرون، وجعله بعضهم فرض كفاية، لجواز ظهور ساحر يدعي النبوة و يظهر الخوارق بالسحر، فيفترض وجود من يدفعه في الأمة.

واختلفت الطرق فيه:

فطريق الهند: تصفية النفس، وعليه كتاب (مرآة المعاني في ادراك العالم الانساني).

وطريق النبط: عمل عزائم في أوقات مناسبة. وفيه كتاب (سحر النبط) لابن وحشية.

وطريق اليونان: تسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وفيه:
(كتاب الوقوفات للكواكب)؛

وفيه (كتاب طيماوس) لأرسطوطاليس و (رسائله) الى الاسكندر؛ و (غاية الحكيم) للمجريطي.

وطريق العبرانيين والقبط والعرب: ذكر أسماء مجهولة المعاني، كأنها أقسام وعزائم، كأنهم يزعمون أنهم يسخرون بها ملائكة قاهرة الجن. وفيه:

(كتاب الجمهرة) للخوارزمي؛
و (الايضاح) للاندلسي؛
و (كتاب العمى) لخلف بن يوسف الدسماساني؛
و (كتاب البساتين لاستخدام الانس لأرواح الجن والشياطين)؛
و (بغية الناشد)؛
و (مطلب القاصد).

علم الطلسمات

ومعنى الطلسم: عقد لا ينحل. وقيل: هو مقلوب اسمه، أعني: مسلط، لأنه من جواهر القهر والتسلط.

وهو علم باحث عن كيفية تمزيج القوى السماوية الفعالة، بالقوى الأرضية المنفعلة، في أزمنة مناسبة، لما أريد منها من الفعل والتأثير، مع بخورات مناسبة مقوية، جالبة لروحانية ذلك الطلسم، ليحدث عن هذه الأمور أفعال غريبة في عالم الكون والفساد. وعلمه أقرب مأخذاً من علم السحر، لأن مبادئه وأسبابه معلومة، و (كتاب طبقانا نقل ابن وحشية) عن النبط، و (كتاب غاية الحكيم) للمجريطي أودعه قواعد هذا العلم. لكن ضن بالتعليم كل الضن وللسكاكي كتاب جليل القدر. ومنفعة هذا العلم ظاهرة عظيمة الغناء. لكن طرقه شديدة العناء.

علم السيمياء

وقد يطلق على غير الحقيقي من السحر كما هو المشهور. وحاصله أحداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس. وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحس، ويكون صوراً في جوهر الهواء، ولهذا يسرع زوالها لسرعة تغير جوهر الهواء، وعدم حفظه ما يقبله زماناً طويلاً، لكنه سريع القبول وسريع الزوال لرطوبته. وأما كيفية إحداث هذه الصور وعللها فأمر خفي لا يطلع عليها إلا أهلها. وليس غرضنا ها هنا كشف الالتباس عن أمثال هذه. وإجمال الحال، أن يركب الساحر شيئاً من خواص أو أدهان أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة، توجب مخيلات خاصة، وادراك الحواس مأكولاً أو مشروباً أو نحو ذلك، ولا حقيقة له. ومن هذا القبيل ما وقع عن الشيخ شهاب الدين السهروردي كما ذكرناه فيما سبق. ومن جملته ما حكى الأوزاعي، رحمه الله، عن يهودي لحقه في السفر، وأنه أخذ ضفدعاً فسحرها بطريقة علم السيمياء، حتى صارت خنزيراً، فباعه من قوم من النصارى، فلما صاروا الى بيوتهم عاد ضفدعاً، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي، فلما قربوا منه، رأوا رأسه قد

سقط، ففزعوا وولّوا هاربين، وبقي الرأس يقول للأوزاعي: يا أبا عمرو: هل غابوا، الى أن بعدوا عنه فصار الرأس في الجسد. هذا ما حكاه ابن السبكي في رسالته (معيد النعم ومبيد النقم).

ومنفعة هذا العلم، وغرضه ظاهران جداً. ولفظ سيمياء عبراني معرب، أصله سيم يه: ومعناه اسم الله.

وأما (المقالات السبع عشرة) للحلاج، فإنما هي على سبيل الرمز. وللشيخ أبي علي بن سينا أمور غريبة تنقل عنه في هذا العلم. وكذا للشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول. وقد ذكرنا نبذاً منها فيما سبق.

علم الكيمياء

وهو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها، وافادتها خواصاً لم تكن لها، ولفظ الكيمياء عبراني معرب، أصله «كيم يه»، ومعنى ذلك: آية من الله. وقد اختلف الناس فيها اختلافاً شديداً، وكثير منهم قائلون بامتناعها، إلا أنهم لم يأتوا في إثبات امتناعها إلا ما يفيد الإستعباد، والأول غير الثاني. وأما القائلون بإمكانها فمنهم الإمام فخر الدين الرازي: استدل على امكانها في كتابيه (المباحث المشرقية) و (الملخص)؛ وحاصل دليله، أن الفلزات كلها مشتركة في النوعية، والأخلاق الظاهرة منها إنما هي أمور عرضية يجوز انتقالها، لأن الإستحالة في الطبيعة غير منكرة.

وممن ادعى امتناعها الشيخ ابن تيمية، والجوهري، وابن الصائغ، إلا أنهما لم يأتيا بشيء يفيد ظن الإمتناع، فضلاً عن اليقين، وكذلك ليعقوب الكندي (رسالة) في امتناعها، فيا ليته لو أتى بشيء يفيد الظن.

واعلم: أن هذا العلم كان معجزة لموسى عليه السلام، علمها لقارون فوقع ما وقع. ثم ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك، وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد. وممن اشتهر بالوصول إليها مؤيد الدين الطغرائي.

يقال: إنه وصل إلى الأكسير، وهو الدواء الذي يدبره الحكماء، ويلقونه

على الجسد حال انفعاله بالذوبان، فيحيله كإحالة السم الجسد الوارد عليه، لكن إلى الصلاح دون الفساد. ويعبرون عن مادة هذا الدواء بالحجر المكرم، وربما يقولون: حجر موسى، لأنه الذي علمه موسى عليه السلام لقارون. ويختلف حال هذا الدواء بقدر قوة التدبير وضعفه، حتى أن الطغرائي ألقى المثقال من الأكسير أولاً على ستين ألفاً من معدن آخر فصار ذهباً، ثم أنه ألقى آخر المثقال على ثلاثمائة ألف.

وحكى: أن مريانس الراهب، معلم خالد بن يزيد، ألقى المثقال على ألف ألف ومائتي ألف مثقال؛ وأن مارية القبطية كانت تقول: والله لولا خشية الله، لقلت أن المثقال يملأ ما بين الخافقين.

وكان يقول الطغرائي:

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى ... يكفي أني شئت در وياقوت

ومن قوله أيضاً:

فذان هما اليدان فاعن بعلمنا ... تنل بهما ما يصبغ الألف دانقة

أقول: ولقد حق فيه وفي أمثاله قول القائل:

ويا دارها بالخيف ان مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

وقول أبي إسحاق المغربي:

كجوهر الكيمياء ليس يرى ... من ناله والأنام في طلبه

وقول القائل:

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب ... أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة ... إلا من الفضة المعروفة النسب

روى: أن بعض من جرب وتعب. فأقلقه الوجد، وظن أن وجدها لعب، كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان، تلميذ جعفر الصادق، رضي الله عنه:

هـــذا الـــذي بـمـقـــالـــه غـــــر الأوائـــــل والأواخـــــر
مـــا أنـــت إلا كـــاسر كـــذب الـــذي ســـماك جـابـر

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا، إلا أنه بعيد، لأن له تصانيف كثيرة تدل على وجوده ومهارته في صنعها. قال أبو الفرج الأصبهاني، صاحب (الأغاني)، في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية: وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء، فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وحدثني من أثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، رحمه الله، أنه كان مغرى بالكيمياء، وأنفق فيها مالاً وعمراً. وقيل: ان امام الحرمين رحمه الله، مات وهو يفك وصلاً من أوصالها، فخرج إليه منه لسان نار فقتله. وكان شمس الدين شيخ الربوة، المعروف «بابن أبي طالب»، يقول: زعم بعضهم أن (المقامات) للحريري، وكتاب (كليلة ودمنة) رموز في الكيمياء؛ سمعته يقول ذلك غيرة مرة. وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها. نسأل الله العفو والعافية. والعجب من أحوالهم أنهم يطلبون الدنيا بالكيمياء، ولا يزيدهم ذلك إلا فقراً ومتربة.

يحكى: أن واحداً سأل من أحد مشايخ هذه الصنعة أن يعلمه هذه، وخدمه على ذلك سنين كثيرة، فقال: ان من شروط تعليم هذه الصنعة، تعليمها لأفقر من في البلد، فاطلب رجلاً لا يكون أفقر منه في البلد، حتى نعلمه وأنت تبصرها. فطلب مدة رجلاً مثل ما ذكره، فوجد رجلاً يغسل قميصاً له في غاية الرداءة والدرن، وهو يغسله بالرمل ولم يقدر على قطعة صابون، فقال في نفسه: لم أر فقيراً يغسل ثوبه إلا ويجد صابوناً، فأخبر الرجل بأني وجدت رجلاً وصفه كيت وكيت، وحاله كذا وكذا، ولم أر أفقر منه، فقال ذلك الرجل: والله ان الذي وصفته هو شيخنا جابر بن حيان، الذي تعلمت منه الصنعة، وبكى وقال: ان من خاصية هذه الصنعة، أن الواصلين إليها يكونون مفلسين في غاية الافلاس. كما نقل عن الشافعي، رحمه الله: أن من طلب المال بالأكسير فقد أفلس. ولقد صدق فيه إلا أنهم يقولون: ان حب الدنيا يرتفع عن قلب من عرفها، فلا يؤثر التعب في تحصيلها، الراحة في تركها، حتى قالوا: إن

معرفة هذه الصنعة نصف السلوك، لأن نصف السلوك لرفع محبة الدنيا عن القلوب، وذلك يحصل بمعرفتها أي حصول.

إذا عرفت هذا فأعلم: أن أصل هذه الصنعة، أن الفلزات، وهي الجواهر التي لا تحرقها النار بل تذيبها، فإذا فارقتها النار عادت إلى الحالة الأولى، وهي هذه المنطرقات السبع، وهي: الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، والقصدير والرصاص، والخارصيني، واحدة في ذواتها؛ والإختلاف الذي فيها، ليس في ماهياتها، وإنما هو في أعراضها، وتلك الأعراض أما مفارق سهل الإنتقال، و يشبه أن يكون حال الذهب والفضة، ونسبة أحدهما إلى الآخر منها، وأما لازم عسر الإنتقال، وعلى كل تقدير داخلة تحت الإمكان، إلا أنها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل وكيف لا يعسر، والصنعة لا تقوم مقام فعل الطبيعة، مع أن في الطبيعة أيضاً شرائط كثيرة بحيث يندر اتفاقها. ولهذا يندر الذهب والفضة في المعادن، فضلاً عن وجودها في الصنعة، وذلك أن الزيبق الذي هو أصل الذهب والفضة، ينبغي أن يكون في المعدن صافياً غاية الصفاء، و يكمل نضجه، ثم يختلط به الكبريت النقي، بأن يكون أجزاؤهما على النسبة الأصلية. و ينبغي أن تكون حرارة المعدن في غاية الإعتدال، لم يعرض لها عارض من البرد واليبس، ولا شيء من الملوحات والمرارات والحموضات، فحينئذ ينعقد من ذلك على طول الزمان ــ بإذن الفاطر الحكيم والقادر العليم ــ الذهب الأبريز. وعلى هذا القياس سائر الجواهر فتبارك الله الفعال لما يريد. فأنظر أنت وتأمل بالإنصاف، أن الإنسان، وإن بلغ في العلم والحكمة غاية لا يمكن للبشر أن يبلغ فوقها، هل يقدر أن يراعي تلك الشرائط، على وفق ما يوجد في المعدن، وهل هذا إلا ضرب في حديد بارد، سيما مراعاة النار على القدر الذي ينبغي له، قريب من درجة الإمتناع. قال بعضهم وعمل الزجاج والفراريج بالديار المصرية، مما يطع العقول في عمل الذهب.

واعلم: أن المعتنين بشأن هذا الأمر طوائف:

(منهم) من جمع بين الزئبق والكبريت الطاهر، ودبره بالنار أشد من حرارة المعدن، طلباً لقرب المدة، ليحصل في مدة قريبة، ما لا يحصل في المعدن في

العرف من السنين، وهذا هو الطريق الصحيح العسر الشاق الصعب في العمل.

و (**منهم**) من عرف نسب الفلزات حجماً ووزناً، وألف المعادن على هذا النسق، وهم يسمون الموازيني.

و (**منهم**) من يطلب النتيجة مع جهله بالقياس، و يقصدون كشف المرام مع تماديهم في الإلتباس، و يستعينون في هذه المطالب، بالتصرف في الفلزات بالحل والعقد والتكليس، وأمثالها من الأمور الصعاب. واستعانوا في ذلك تارة بالنباتات، وأخرى بالحيوانات، كالشعر والبيض والمرار ونحوها. ولم يثبتوا على طريقة واحدة، حيرة منهم في تحقيق الحق وإيضاح الصدق. جعلنا الله وإياكم من الواقفين على اكسير معرفته، والإطلاع على دقائق توحيده، وقطع عناحب الدنيا، والميل إلى حطامها ومزخرفاتها، بحرمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.

واعلم أن الحكماء، وإن أشاروا إلى كيفية صنعة الأكسير والحجر، لكنهم رمزوها أبعد من الأحاجي والألغاز، لما في صيانة ذلك من المصلحة العامة. ومن قصد الوصول إلى ذلك بكتبهم وتعبيراتهم وإشاراتهم، فقد صار منخرطاً في الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. بل الوقوف على ذلك ــان كانــ فبموهبة عظيمة من الملك المنان، أو بواسطة الكشف أو الإلهام، من الله ذي الجلال والإكرام، أو بأنعام من جناب الواصلين إلى هذا الأمر المكتوم، اشفاقاً وإحساناً، ولا تتمن الوصول إلى ذلك بالجد والإهتمام. إلا أنا نذكر ها هنا بعضاً من كتبه اكمالاً للمرام، لا اطماعاً في الوصول إلى ذلك المنوال، منها:

(كتاب جابر بن حيان).
و (التذكرة) لأ بن كمونة.
و (رتبة الحكيم) للحكيم الجريطي.
و (شرح الفصول) لعيون ابن المنذر.

وتصانيف مؤيد الدين الطغرائي كثيرة في هذا العلم ومعتبرة عند أربابها منها:

١ ــ كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة.

٢ ــ وكتاب جامع الأسرار.

٣ ــ وكتاب تراكيب الأنوار.

٤ ــ ورسالة وسمها: بذات الفوائد.

٥ ــ وكتاب حقائق الإستشهادات، يبين فيه إثبات صناعة الكيمياء، والرد على أبي علي بن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب (الشفا).

والكتب والرسائل في هذا الباب كثيرة، لكن لا خير في الإستقصاء فيها، وإنما التعرض بهذا القدر أن لا يخلو كتابنا عنها بالمرة. نسأل الله تعالى خيرَيْ الدنيا والآخرة.

الشعبة الخامسة

في فروع العلم الطبيعي

وفيها عدة عناقيد:

العنقود الأول منها

في فروع علم الطب

علم التشريح

وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وتركيبها: من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم، وغير ذلك من أحوال كل عضو منه. وموضوعه: أعضاء بدن الإنسان. والغرض، والفائدة، والمنفعة ظاهرة.

وكتب التشريح أكثر من أن تحصى، ولا أنفع من تصنيف ابن سينا، والإمام الرازي، ورسالة لأبن همام مختصر نافع في الباب. والله أعلم بالصواب.

علم الكحالة

وهو علم باحث عن كيفية حفظ صحة العين وإزالة أمراضها. وموضوعه: عين الإنسان. والغرض والنفع فيه لا يخفى. و (كتاب التذكرة) للمحلى أنفع كتب هذا الفن ونافع في الغاية.

علم الأطعمة والمزورات

وهو علم باحث عن كيفية تركيب الأطعمة اللذيذة والنافعة بحسب الأمزجة المخالفة، وموضوعه، وغرضه، وفائدته لا تخفى على المتأمل. ورأيت فيه تصنيفاً حسناً لا يحضرني اسمه الآن.

علم الصيدلة

وهو علم باحث عن التميز بين النباتات المشتبهة في الشكل، ومعرفة منابتها: بأنها صينية أو هندية أو رومية، ومعرفة زمانها: بأنها صيفية أو خريفية، ومعرفة جيدها من رديها، ومعرفة خواصها، إلى غير ذلك. وغرضه وفائدته ظاهر لمن تأمل.

والفرق بين الصيدلة وعلم النبات أن:

(الأول) باحث عن تميز أحوالها أصالة.

و (الثاني) باحث عن خواصها أصالة.

والأول بالعمل أشبه، والثاني بالعلم أشبه، وكل منهما مشترك في الآخر.

علم طبخ الأشربة والمعاجين

وهو علم يتعرف منه كيفية تركيب المركبات الدوائية وزناً ووقتاً، ومعرفة ما يسحق منه وما يذاب، وما يقدم منه في المزج وما يؤخر، وكيفية ضبطه في الظروف، ومعرفة مقدار نفعه وبطلان فائدته، إلى غير ذلك من الأحوال التي يعرفها من يزاولها.

علم قلع الآثار من الثياب

وتعريفه ظاهر من اسمه، لكنه علم شريف يقدر به الإنسان على إزالة الأدهان والصموغ والألوان، التي يعسر إزالتها عن الثياب، بأدنى شيء وأدنى حيلة، ويقدر على إزالة الأدهان عن أوراق الكتب، بل يقدر على إزالة الخط

عن الأوراق من غير كشط، ولا بقاء أثر فيها. وهذا من أعظم الحيل، ولا بد من كتمانها، إذ يؤول إلى إبطال الصكوك والسجلات وأمثالها.

فائدة:

دبغ التوت الشامي يزول بورقها، وكذا دبغ التوت الحلو يزول بورق التوت الحلو، ودبغ العنب الأبيض يزول بالعنب الأسود وبالعكس. والآثار المجهولة في الثياب، تزول بالنقع في خرء الحمام طول الليل، ثم تغسل بكرة بالصابون فإنها تنقلع.

علم تركيب أنواع المداد

من السواد والحمرة والصفرة، وألوان مثل الذهب واللازورد والياقوت والزمرد والسواد البراق، ويسمونها المداد الطاووسي، إلى غير ذلك من الألوان العجيبة اللطيفة.

علم الجراحة

وهو علم باحث عن أحوال الجراحات العارضة لبدن الإنسان، وكيفية برئها وعلاجها، ومعرفة أنواعها، وكيفية القطع ان احتيج إليها، ومعرفة كيفية المراهم والضمادات وأنواعها، ومعرفة أحوال الأدوات اللازمة لها. وهذا العلم جزء من علم الطب، وقد يفرد عنها بالتدوين. ومنفعته عظيمة جداً. وهذا العلم بالعمل أشبه منه بالعلم. وفي كتاب (منهاج البيان) ما فيه كفاية في هذا الباب.

علم الفصد

وهو علم باحث عن كيفية آلات الفصد، ومعرفة أنواع العروق، ومعرفة ما يخص كل مرض من فصد عرق مخصوص، إلى غير ذلك من الأحوال التي يعرفها مزاولوها. وغايته، وغرضه، ومنفعته لا تخفى.

علم الحجامة

وهو علم يتعرف به أحوال الحجامة، وكيفية شرطها ومصها بالمحجمة، وأنها في أي موضع من البدن نافعة، وفي أي موضع مضرة، إلى غير ذلك من الأحوال.

علم المقادير والأوزان

المستعملة في علم الطب

من الدرهم والأوقية والرطل وغير ذلك من الأوزان. ولقد صنف له كتب مطولة ومختصرة يعرفها مزاولوها.

علم الباه

وهو علم باحث عن كيفية المعالجة المتعلقة بقوة المباشرة: من الأغذية المصلحة لتلك القوة، والأدوية المقوية أو المزيدة للقوة، أو الملذذة للجماع، أو المعظمة للذكر، أو المضيقة للقبل، اللذين لهما مدخل عظيم في اللذة، وغير ذلك من الأعمال والأفعال المتعلقة بها. منها: ذكر أشكال الجماع وآدابه، اللذين لهما مدخل في اللذة وحصول أمر الأحبال، إلا أنهم يذكرون لأجل اكثار الصناعة أشكالاً يعسر فعلها بل يمتنع.

ومنها: أنهم يذيلون ذلك الأشكال بحكايات مشهية، تحصل بسماعها الشهوة، وتتحرك قوة المجامعة، وإنما وضعوها لمن ضعفت قوة مباشرتها، أو بطلت تلك فيها.

روى: أن ملكاً بطلت عنه قوة المباشرة بالكلية، وعجز الأطباء عن معالجتها بالأدوية، فاخترعوا حكايات عن لسان امرأة مسماة «بالألفية» لأنها جامعها ألف رجل، فحكت من كل منها أشكالاً مختلفة وأوضاعاً مشهية، فعادت باستماعها قوة الملك.

ويحكى أيضاً: أن ملكاً آخر بطلت عنه القوة، فزوج عبداً من مماليكه

جارية حسناء، وهيأ لهما مكاناً بحيث يراهما الملك ولا يريانه، فعادت قوة الملك بمشاهدة أفعالها، حتى خرج من أحليله شبه الجبن الرطب، فقدر بعد ذلك قدرة زائدة.

ومن الكتب الجامعة في هذا الباب:

(كتاب رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه).
و (كتاب رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب).
و (كتاب الفخ المنصوب إلى صيد المحبوب).
و (كتاب تحفة العروس وجلاء النفوس).
و (كتاب نصير الدين الطوسي) نافع في الباب.

العنقود الثاني
في فروع علم الفراسة

علم الشامات والخيلان

وهو علم باحث عن أحوال العلامات المذكورة، بحسب دلالتها على الأحوال الباطنة، والأخلاق الموجودة في الإنسان بحسب الفطرة. وقد صنف فيه بعض الحكماء رسائل، لكنها قليلة الوجود جداً.

علم الأسارير

وهو علم باحث عن الإستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه، بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، بحسب ما بينهما من الفرج المتسعة أو المتضائقة، من حيث دلالتها على أحوال الإنسان: من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر. وأكثر من تمهر في هذا العلم الأعراب والهنود.

قال الأعشى:

فـانـظـر إلى كفي وأسـرارهـا هـل أنـت ان أوعـدتني ضـائري

و يوجد في هذا العلم مصنفات. وكثيراً ما يوجد ذيلاً لكتب علم الفراسة.

علم الأكتاف

وهو علم باحث عن الخطوط والأشكال، التي ترى في أكتاف الضأن والمعز، إذا قوبلت بشعاع الشمس، من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر: من الحروب الواقعة بين الملوك، وأحوال الخصب والجدب. وهؤلاء الذين يعتنون بهذا العلم، قلما يستدلون على الأحوال الجزئية لإنسان معين. وأهل هذا العلم يأخذون لوح الكتف قبل طبخ لحمه، و يلقونه على الأرض أولاً، ثم يأخذونه و ينظرون فيه، و يستدلون بأحواله من الصفاء والكدر، والحمرة والخضرة، إلى الأحوال الجارية في العالم: من الغلاء والرخاء، والحروب الواقعة بين الأفراد ولمن الغلبة فيها، و ينسبون كلاً من أطرافه الأربعة إلى جهة من جهات العالم، ويحكمون بذلك على كل صقع منها بأحوال متعلقة بها على ما يظهر في اللوح. و ينسب علم الكتف إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ورأيت مقالة في هذا العلم مختصرة غاية الإختصار يجدها من يطلبها، لكن بين فيها الأنية دون اللمية.

علم قيافة الأثر
ويسمى
علم القيافة

وهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر، في الطرق القابلة للأثر، وهي التي تكون تربة حرة تتشكل بشكل القدم. ونفع هذا العلم بين، إذ القائف يجد بهذا العلم الهراب من الناس، والضوال من الحيوان، بتتبع آثارها وقوامها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة، حتى سمعت بعض من اعتنى

بهذا العلم، أنهم يفرقون بين أثر قدم الرجل وأثر قدم المرأة، و بين أثر قدم الشيخ والشاب. والله أعلم بالصواب.

علم قيافة البشر

وهو علم باحث عن كيفية الإستدلال بهيئات الأعضاء في الإنسان، على الإشتراك بينهما في النسب والولاء، وفي سائر الأخلاق والأحوال. ويختص هذا الإستدلال بقوم من العرب يقال لهم «بنو مدلج»، وآخرين يقال لهم «بنو لهب»، وذلك بمناسبة طبعية حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه. قال بعض الحكماء: خص الله تعالى بذلك العرب، ليكون سبباً لإرتداع نسائهم عما يورث شوب نسبهم، وخبث حسبهم، وفساد بدورهم وزرعهم، صيانة للنسبة النبوية، وليكون ذلك شرفاً لنبيه، صلى الله عليه وسلم.

وهذا العلم والذي قبله حاصلان بالحدس والتخمين لا بالإستدلال واليقين.

حكي: أن الإمام محمد بن الحسن، والإمام الشافعي، رضي الله عنهما، رأيا رجلاً، فقال محمد: إنه نجار، والشافعي أنه حداد، فسألا عن صنعته، فقال: كنت حداداً والآن نجار.

وإنما سميت بقيافة البشر، لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء، خصوصاً الأقدام. ومبنى هذا العلم، ما ثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه. وقد تكون تلك المناسبة في الأمور الظاهرة بحيث يدركها كل أحد، وقد تكون في أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال. وتدرك هذه المشابهة بمعونة القوة الباصرة والقوة الحافظة، ولهذا اختلفت أحوال الناس في هذا العلم، كمالاً وضعفاً، إلى حيث لا يشتبه عليه شيء أصلاً، بسبب كماله في القوتين. وهذا العلم موجود في قبائل العرب، و يندر في غيرهم، إذ لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعليمه، بل هو متوارث في اعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم ولهذا لم يقع في هذا العلم تصنيف قل أو جل.

و يروى أن بعضاً من أكابر الفقهاء، رأوا التعويل على أصحاب هذا العلم في تصحيح الانساب، كالشافعي رضي الله عنه، مستشهداً بما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سر بقول القائف في أسامة بن زيد ــ وكانا نائمين في قطيفة وقد بدت أقدامهما ــ أن هذه الأقدام بعضها من بعض، وأنما سر بذلك لما أن المشركين طعنوا في نسبه.

وقال الشافعي، رحمه الله: لو لم يكن حجة، لم يسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول القائف. وقال أبو حنيفة، رحمه الله: سروره لأجل الزام المشركين بما هو حجة عندهم لا أنه حجة قطعية في نفس الأمر.

علم الإهتداء بالبراري والأقفار

وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة، من غير دلالة عليه بالإمارات المحسوسة، بل يستدل بالقوة الشامة فقط. وقيل: قد يستعين صاحب هذا العلم بالأمور السماوية تارة والأرضية أخرى.

أما الأول: فبمسامتات الكواكب الثابتة ومنازل القمر، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾(١).

وأما الثاني: فبمعرفة الخيال، مثل شم التراب، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة فيهتدون بها. ونفع هذا العلم عظيم، وإلا لهلكت القوافل، وضلت الجيوش، وضاعت في البراري والأقفار. وقيل: قد يكون بعض ممن هو بليد في سائر العلوم ماهراً في هذا العلم، كما يمكن عكسه. وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الأبل والفرس.

حكى بعض من المضيفين: أني كنت في قافلة في مفازة خوارزم، وضللنا الطريق، وعجز الكل عن الإهتداء، فقدموا جملاً هرماً وألقوا حبله على غاربه، فأخذ ينتقل من جانب إلى جانب، ومن تل إلى تل، وتذبذب يميناً وشمالاً،

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

وصعوداً ونزولاً، واستمر على هذا الحال مقدار فرسخين، وخفنا على أنفسنا، حتى وصل إلى الجادة المستقيمة والنهج القويم، وتعجبنا منه كل العجب.

علم الريافة

(أي استنباط المياه)

وهو معرفة الماء من الأرض، بواسطة الإمارات الدالة على وجود الماء، ويعرف بها أنه قريب أم بعيد: أما بشم رائحة تراب منها، أو رؤية نبات بها، أو حيوان مخصوص بحركة مخصوصة، ولا بد لصاحبه من حس كامل وتخيل قوي. ونفع هذا العلم بيّن، إذ قلما يوجد في جميع الأراضي، الأنهار الجارية المنصبة من شواهق الجبال والأماكن المرتفعة إلى بطون الأودية. وأصل هذه الصناعة، معرفة خواص الأرضين وأحوال تربتها، بألوانها وخواصها السهلي والجبلي والرملي والصخري.

وهذا العلم ــ من حيث معرفة وجود الماء، من فروع علم الفراسة؛ ومن حيث حفرها وإخراجها إلى وجه الأرض، من فروع الهندسة، فلا تغفل.

علم استنباط المعادن

إذ الذهب والفضة وغيرهما لا بد لها من علامات تعرف بها عروقها في الجبال. ومبادئه وآلاته قريبة من العلم السابق.

علم نزول الغيث

وهو علم يتعرف به كيفية الإستدلال على المطر، بأحوال البروق والسحب والرياح. وأخص الناس بهذا العلم العرب، لاشتداد جانبهم إلى الغيوث، التي بها حصول معائشهم من السقي والرعي. وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب. ودليله: الدوران بين أحوال السحب والأمطار. وأحوال السحب: أما بحسب مواضعها، أو رقتها وكثافتها، أو ألوانها، وكيفية أحوال الرياح والبروق. ويعرفون أن أي هذه الأمور ماطر للجود، وأيها ماطر للرذاذ أو أن أي البروق خلب، وأيها ذات صيب. وجاء في غريب أبي عبد الله: أن النبي صلى

الله عليه وسلم سأل عن سحابة مرت، فقال: كيف ترون قواعدها و بواسقها؟ أجون أم غير ذلك؟ ثم سأل عن البرق: أخفوا أم وميضاً، أم يشق شقاً؟ فقالوا: بل يشق شقاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: جاءكم الحيا ومن الداهية الدهياء، والفتنة الشنعاء، ان بعض الأتراك، قد يدعون وقوع الأمطار أو اندفاعها، بسبب هذا العلم، عند من لم يجرب هذا العلم من أهل الأمصار، فيريهم أنه يدفع الأمطار أو ينزلها، أما لأجل الرقية أو لأجل الشفاعة عند الله تعالى، فيصير ذلك خديعة ومكيدة أكيدة، وفتنة قوية عند الحشوية والعوام. والتوفيق من الملك العلام. ومن هذا القبيل أن عند الأتراك في الجبال حجراً جالباً للمطر، وهم يعرفونها و يلقونها في الماء، و يعملون بعضاً من الأعمال شبيه أعمال السحر، و يتكلمون بكلمات متضمنة للكفر. هكذا سمعت من رأى هذا العمل من الأتراك، قال: فينزل المطر في الحال، حتى أن رأس الفرس تحت الثلج والمطر، ونصفه الآخر تحت الشمس، قال: ورأينا مراراً والبهاليل غافلون عن حالها، فيتعجبون منها، فربما يحملونها على ولايتهم أو كرامتهم، إذا ادعوا من فعلوها ذلك، ولا يميزون بين الخواص والكرامة. وتعسا لقوم بلغت عقولهم هذه المرتبة من السخافة والحمق.

علم العرافة

وهو الإستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية، بمناسبة بينهما، أو مشابهة خفية، أو ارتباط بينهما، أما لكونهما معلولي أمر واحد، أو لكون ما في الحال علة لما في الإستقبال، بشرط أن يكون الإرتباط بينهما خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد، أما بتجارب شاهدوها في أمثالها، أو بحالة مودعة في نفوسهم عند الفطرة، بحيث يغلب على طالعهم سهم الغيب، الذي عبَّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالمحدث، وهو المصيب في ظنه وفراسته، كما ذكرناه في علم الفراسة.

حكى: أن الاسكندر لما أراد المحاربة مع ملك الفرس، قال ذلك الملك: لا حاجة إلى مقاتلة العساكر، هلم نقاتلك، فأما ان تقتلني، وأما أن أقتلك. ففرح

الاسكندر بهذا الكلام، حيث قدم ذلك الملك نفسه في ذكر القتل، فكان كما قال.

ويحكى عنه أيضاً: أنه لما دخل بلاد الغرب، مر على امرأة في مدينة وهي تنسج ثوباً، فقالت له: أيها الملك، أعطيت ملكاً ذا طول وعرض. ثم مر عليها الملك الأول فقالت له: سيقطع الاسكندر ملكك، فغضب الملك، فقالت: لا تغضب، ان النفوس قد تشاهد أموراً قبل وقوعها بعلامات يحكم النفس بصدقها. ولما مر على الاسكندر، كنت أدبر طول الثوب عرضه، ولما مررت أنت فرغت عنه وأردت قطعه، وكان الأمر كما قالت:

ويحكى: أنه بعث جماعة من أصحاب ابن الرومي الشاعر إليه في بعض الأيام غلاماً مليحاً، حسن الوجه، حسن الأسم، طيب الرائحة، فلما طرق الباب، خرج إليه ابن الرومي، فسأله الحضور إلى عند أصحابه، فسمع كلامه وشم طيبه، ورأى وجهه المليح فقال: حسن في حسن مع طيب، وأجابه إلى سؤاله. فلما خرج معه رأى دكان خياط على رأس الدرب، وهو يفصل ثوباً، فرجع بيته وأغلق الباب.

ويحكى عنه أيضاً: أنه توجه يوماً إلى مقصد، فرأى دكاناً وقد صلب صاحبه درابتي الباب وهو يأكل تمراً، فقال ابن الرومي: ان الدرابتين شكل لا والتمر تمر، فالفال يقول: لا تمر، وقال: والله لا مررت أبداً. وله في هذا الباب حكايات عجاب.

ويحكى: أنه كان في زمن هارون الرشيد رجل أعمى من أهل العرافة، وكان يستدل على المسؤول عنه، بكلام صدر عن الحاضرين عقيب السؤال، فسرق يوماً من خزانة هارون بعض من الأشياء، فطلب الرجل، وأمر أن لا يتكلم أحد بعد السؤال أصلاً، ففعلوا كما أمر هارون، والأعمى ألقى سمعه ولم يسمع شيئاً، فأمر يده على البساط، فوجد فيه نوى تمر، فقال: إن المسؤول عنه در و ياقوت وزمرد في سفط، فقال الرشيد: في أين هو، قال: في بئر، فوجدوه كما ذكر الأعمى، فتحير الرشيد فيه، فسأل عن سبب معرفته، فقال: وجدت

نوى تمر، وطلع النخلة أبيض، وهو كالدرة ثم يكون بسرا وهو أخضر، وهو لون الزمرد، ثم يكون رطباً وهو أحمر، وهو لون الياقوت، ثم لما سألتم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو، فعرفت أنه في بئر، فاستحسن الرشيد فراسته، فأعطاه مالاً جزيلاً.

ومن هذا القبيل، ما حكى عن أبي معشر، أنه وقف هو وصاحب له على واحد من هؤلاء، وكانا مارين في خلاص مسجون، فسألاه، فقال: أنتما في طلب خلاص مسجون، فعجباً من ذلك، فقال له أبو معشر: هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان تلقيانه قد خلص، فوجدا الأمر كما قال، فاستدعاه أبو معشر وأكرمه، وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك، فقال: نحن قوم نأخذ الفال بالعين والنظر، فينظر وأحدنا إلى الأرض، ثم يرفع رأسه، فأول شيء يقع عليه نظره، يكون الحكم به، فلما سألتماني، كان أول ما رأيت ماءاً في قربة، فقلت: هذا محبوس، ثم لما سألتماني الثانية، نظرت فإذا هو قد أفرغ من القربة، فقلت: يخلص.

وبعض من هذه الطائفة، يستدلون بالمكان الذي يضع السائل يده عليه من جسده وقت السؤال، فإن وضع يده على رأسه: فهو رئيسه وكبيره، والرجلين: قوامه، والأنف: بناء مرتفع أو تل أو نحوه، والفم: بئر عذبة واللحية أشجار وزروع.

حكى عن المهدي: أنه رأى رؤيا وأنسيها، فأصبح مغتماً بها، فدل على رجل كان يعرف الزجر والفال، وكان حاذقاً به، اسمه خويلد، فلما دخل عليه، أخبره بالذي أراده له، قال له: يا أمير المؤمنين، صاحب الزجر والفال ينظر الى الحركة، وأخطار الناس، فغضب المهدي وقال: سبحان الله العظيم، أحدكم يذكر بعلم ولا يدري ما هو، ومسح بيده على رأسه ووجهه وضرب بها على فخذه، فقال له: أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين، قال: هات، قال: رأيت كأنك صعدت جبلاً، فقال المهدي: لله أبوك يا سحار، صدقت، قال: ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين، غير أنك مسحت بيدك على رأسك، فزجرت لك،

وعلمت أن الرأس ليس فوقه شيء الا السماء، فأولته بالجبل، ثم نزلت بيدك الى جبهتك، فزجرت لك نزولك الى أرض ملساء فيها عينان مالحتان، ثم انحدرت الى سفح الجبل، فلقيت رجلاً من فخذك قريش، لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك على فخذه، فعلمت أن الرجل الذي لقيته من قرابتك، قال: صدقت، وأمر له بمال، وأمر أن يحجب عنه. وأمثال هذه الحكايات كثيرة تعرفها من تتبع المحاضرات.

علم الاختلاج

وهو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الانسان، من الرأس الى القدم، على الأحوال التي ستقع عليه. وأحواله، ونفعه، والغرض منه ظاهرة. لكنه علم لا يعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله. ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة، لكنها لا تشفي العليل ولا تسقي الغليل.

العنقود الثالث

في فروع أحكام النجوم

واعلم: أن أحكام النجوم غير علم النجوم، لأن الثاني يعرف بالحساب فيكون من فروع الرياضي؛ والأول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار فيكون من فروع الطبيعي.

علم الاختيارات

وهو علم باحث عن أحكام كل وقت وزمان: من الخير والشر، وأوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور، وأوقات يستحب فيها مباشرة الأمور، وأوقات يكون مباشرة الأمور فيها بين بين. ثم كل وقت له نسبة خاصة ببعض الأمور بالخيرية وببعضها بالشرية، وذلك بحسب كون الشمس في البروج، والقمر في المنازل، والأوضاع الواقعة بينهما: من المقابلة والتربيع والتسديس

وغير ذلك، حتى يمكن ــ بسبب ضبط هذه الأحوال ــ اختيار وقت لكل أمر من الأمور التي تقصدها: كالسفر والبناء وقطع الثوب، الى غير ذلك من الأمور. ونفع هذا العلم بيّن لا يخفى على أحد.

علم الرمل

وهو الاستدلال بأشكاله الاثني عشر على أحوال المسألة حين السؤال، وأكثر مسائله أمور تخمينية مبنية على تجارب غير كافية، وذلك لأنهم يقولون إن البروج الأثني عشر، يقتضي كل منها حرفاً معيناً وشكلاً معيناً من الأشكال المذكورة. فحين السؤال عن المطلوب يقتضي أوضاع البروج وقوى الشكل المعين من الرمال. فتلك الأشكال ــ بسبب مدلولاتها من البروج ــ تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج، إلا أنها أمور تقريبية لا يقينية. والى هذا يشير قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»، والمراد بذلك النبي ادريس عليه السلام، وهذا العلم كان معجزة له. والمفهوم من ظاهر الحديث، امكان الاطلاع بالرمل على بعض الأمور، لكنه ليس كذلك، اذ المعجزة لو أمكنت للبشر لم يبق فرق بين المعجزة والصنعة، ولم يتميز النبي عن غيره.

نعم يمكن للمولى ظهور خوارق للعادات، لكن الكلام ها هنا في غير الولي بطريق الصنعة، بل المراد في الحديث بقوله: فمن وافق خطه، هو التعليق بالمحال، يعني: فمن وافق خطه، فذاك هو خط ذلك النبي، لكنه لا يوافق لأنه معجزة لذلك النبي عليه السلام.

ومن التصانيف فيه:

(كتاب تجارب العرب)؛
و (مثلثات ابن محفوف)؛
و (كتاب الزناتي) أصح طرق هذا الفن.
وكتب هذا الفن أكثر من أن تحصى يعرفها أهلها

علم الفال

وهو علم يتعلم بذلك ما يحدث من الحوادث الآتية، بطريق اتفاق حدوث أمر من جنس الكلام، أما تسمعه من غيرك، أو تفتح مصحفاً، أو كلام من تعتقد فيه من الأنبياء أو الأولياء. وموضوع هذا العلم ظاهر من تعريفه. ومنفعته وفائدته كعلم الرمل، لكن الأصح الذي شهد الشرع بجوازه، والتجربة بصدقه، التفاؤل بالقرآن العظيم. ونقل هذا التفاؤل عن الصحابة وعن السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين. وطريق فتح الفال من المصحف كثير مشهور عند الناس، لكن الأحسن الاعتبار بالمعاني دون الألفاظ والحروف. كان النبي صلى عليه يتفاءل، و يعجبه الفال الحسن، ولا يتطير. ولما هاجر الى المدينة وقاربها، سمع منادياً ينادي: يا سالم، فقال لأصحابه: سلمنا؛ فلما دخل المدينة سمع آخر يقول: يا غانم فقال صلى الله عليه وسلم: غنمنا؛ فلما نزل، أتى برطب، فقال: حلالنا البلد، وأمثال ذلك كثيرة.

وأما التطير: فقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم وقال: «لا طيرة ولا هامة ولا صفر».

واعلم: أن الامام العلامة القاضي أبا بكر بن العربي، صرح في (الأحكام) في سورة المائدة، بتحريم أخذ الفال من المصحف. ونقله القرافي عن الإمام الطرطوشي، وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة. قال الدميري: ومقتضى مذهبنا كراهته.

وحكى الماوردي في كتاب (أدب الدين والدنيا)، أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾[1]، فزق المصحف وأنشأ يقول:

---

(١) سورة ابراهيم، آية: ١٥.

شعر

أتوعد كل جبار عنيد		فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر		فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده.

علم القرعة

وهو علم يستعلم بذلك ما سيحدث في الاستقبال، بطريق وقوع شكل من الأشكال التي تكتب عليها حروف، و يستدل بذلك على المطلوب، وذلك مثل علم الرمل بعينه، فاعتبر أحواله منه، إلا أنه أضعف دلالة من الرمل، مع ضعف دلالة الرمل كما ذكرناه.

علم الطيرة والزجر

وهذا عكس الفال، إذ المطلوب في الفال طلب الاقدام على الأمر؛ وفي الزجر طلب الهرب عن الأمر، وهو تشاؤم الانسان بشيء يرد المناظر والمسامع، مما تنفر منه النفس، مما ليس بطبيعي، فأما نفارها مما هو طبيعي في الانسان؛ كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار، فلا يعد من هذا. واشتقاق التطير من الطير. وأصله في زجر الطير، وما سواه ملحق به، ثم كثر في غيره. وهذا التطير في العرب كثير، حتى أن بعضاً من الناس انفتحت له أبواب الوساوس من المناسبات البعيدة في اللفظ والمعنى، حتى يفسد دينه، و ينكد عيشه، مثلاً يتشاءم بالسفرجل إذا سمعه أو أهدى اليه و يقول سفر وجلا، وإذا رأى ياسمينا أو سمع اسمه يقول، ياس ومين، وإذا رأى سوسنة أو سمعها يقول: سوء يبقى سنة. وكذا إذا خرج من داره، فاستقبل صاحب آفة: من أعور أو أشل أو أعمى، تطير به وتشاءم بيومه. مثلا إذا أراد العرب سفراً، يطيِّرون طيراً، فاذا طار عن اليمين يتوجهون الى المقصد، وان طار عن اليسار يرجعون عن السفر. والأول يسمى السانح والثاني البارح. وللعرب أمثال هذا كثيرة، لكن النبي

صلى الله عليه وسلم نهى عن الطيرة، وهي الزجر، وأمر بالفال. قال في كتاب (مفتاح دار السعادة): اعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعانه فلا يضره البتة، لا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو مر بسماعه: اللهم لا طير الا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك. وأما من كان معتنياً بها فهي اليه أسرع من السيل الى منحدره، وقد فتحت أبواب الوساوس فيما يسمعه و يراه، و يفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة، وما يفسد عليه دينه و ينكد عليه معيشته. انتهى.

قال ابن عبد الحكم: خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، والقمر في الدبران، فكرهت أن أصرح به، فقلت: ما أحسن استواء القمر في هذه الليلة، فنظر فقال: كأنك أردت أن تخبرني أن القمر في الدبران، أنا قوم لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار.

ومن غريب ما وقع في هذا الباب، أن جعفر البرمكي، اختار وقتاً لينتقل الى داره التي بناها، فاختاروا الليلة، فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية، إذ سمع منشداً يقول:

يدبر بالنجوم وليس يدري　　　ورب النجم يفعل ما يريد

فتطير ودعا بالرجل وقال له: ما أردت بهذا؟ قال: ما أردت به معنى من المعاني، لكنه شيء عرض لي وجاء على لساني، فأمر له بدينار، ومضى لوجهه، وقد تنغص سروره وتكدر عيشه، فلم يمضِ الا قليلا حتى أوقع به الرشيد ما هو المشهور.

العنقود الرابع

في فروع السحر

اعلم: أن استحداث الحوادث، ان كان بمجرد التأثير النفساني، فهو السحر؛ وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات، فهو دعوة الكواكب؛ وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالأرضية، فهو الطلسمات؛ وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص الطبيعية، فأما القراءة فهو علم الخواص، أو الكتابة فهو النيرنجات، أو الأفعال غيرهما فهو الرقي؛ وان كان على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة، فهو العزائم؛ وان كان باحضار تلك الأرواح في قوالب الأشباح، فهو علم الاستحضار، ويسمى تسخير الجن. وأما الأخبار عن الحوادث الغير الحاضرة: فأما عن الماضي أو الحال أو الاستقبال، فهو علم الكهانة. ثم إن الانسان كما يقدر على استحضار المجردات، كذلك يقدر على تغييب الحاضر عن الحس، ويسمى علم الاخفاء، وكذلك على اخفاء الأمور الحاضرة عن الحاضرين، ويسمى بالحيل. وأمثال ذلك كثيرة، فلنذكر هذه العلوم على هذا النهج.

علم الكهانة

وهو مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة: من الجن والشياطين، واستعلامها منها الأحوال الجزئية الجارية في عالم الكون والفساد، لكنها مخصوصة بالأمور المستقبلة، وكان ذلك في العرب كثيرا. وآخر من وجد وروى عنه الأخبار العجيبة «شق» و «سطيح»، وهما كانا كاهنين مشهورين في العرب في زمان الجاهلية. وقيل: كان وجود ذلك في العرب، أحد أسباب معجزات النبي، صلى الله عليه وسلم، لما كان يخبر به ويحث على اتباعه. كما يحكى منهم، أخبارهم بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل ولادته وكونه نبي آخر الزمان وخاتم الأنبياء. وفي هذا الباب حكايات غريبة عنهم لا يليق

ايرادها بهذا المختصر، فمن أراد الاطلاع عليها، فعليه بكتب السير والتواريخ، سيا كتاب (أعلام النبوة) للماوردي، إلا أنهم حجبوا بعد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم عن الاطلاع على المغيبات، حتى روى: لا كهانة بعد النبوة. فلا يجوز تصديقهم، بل المصدق يكون كافراً كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» عليه الصلاة والسلام. إلا أن المفهوم من كلام الإمام الرازي في كتابه المسمى (بالسر المكتوم) أن الكهانة على قسمين:

قسم يكون من خواص بعض النفوس، وهذا ليس بمكتسب؛

وقسم يحصل بالاشتغال على العزائم ودعوة الكواكب، وله طرق مذكورة في كتاب (السر المكتوم). ثم ان المفهوم من ذلك الكتاب، أن سلوك هذا الطريق محرم في شريعتنا هذا، فيجب التحرز عن اكتسابه وتحصيله.

واعلم: أن القسم الأول الذي ليس بمكتسب داخل في علم العرافة وقد نبهناك عليه هناك فلا تغفل.

علم النيرنجات

وهو معرب نيرنك؛ وهو التمويه والتخييل. وهو اظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة، وبالجملة مؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض، والاقبال والأعراض، وأمثال ذلك، بكتابات مخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم، وان كانت بكتابات مجهولة الدلالات، فكأنها أرقام وحروف للأوائل، وخواصها مجهولة اللمية معروفة الانية. وفيه كتاب (غاية الحكيم) للمجريطي، وكتاب (أسرار الشمس والقمر) لابن وحشية.

علم الخواص

وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة أسماء الله تعالى أو كتابه: من الزبور، والانجيل، والقرآن. و يترتب على كل من تلك الأسماء والدعوات خواص مناسبة لها.

وأعلم: أن النفس ــ بسبب اشتغالها بأسماء الله تعالى والدعوات الواردة في كتبه المنزلة ــ تتوجه الى جناب القدس، وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه، فبواسطة ذلك التوجه والتخلي، تفيض عليها آثار وأنوار، تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب اشتغال الأمور المذكورة. ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الأدوية، بحيث يعتقد الرائي أن ذلك لفعل السحر. كما يحكى أن كنيسة ببلاد الروم، عمل في جدرانها الأربعة وسقوفها وأرضها، ستة حجارة من المغناطيس متساوية في القدر، وجعل في هوائها صليب من حديد، بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة، بحيث أنه لا يغلب حجر منها بقيتها في الجذب، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً، فافتتن به قوم من النصارى.

علم الرقى

وهو علم باحث عن مباشرة أفعال مخصوصة، تترتب عليها بالخاصية آثار مخصوصة، كعقود الخيط والشعر وأمثالها. والرقية كثيراً ما تقع في الأمراض: كوجع العين ووجع السن، وكذا في اصابة العين وأمثالها. والرقية بالفارسية: «افسون أي اب سون» لأنهم يقرأونه في الأكثر على الماء، فيشربه المصاب أو يصب عليه. وإنما سميت رقية: لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي، بعضها فهلوية، وبعضها قبطية، وبعضها كالهذيانات، زعموا أنها كشفت من الجن أو سمعت في المنام، واليه يشير قوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾[1]. والشرع أذن للرقية، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى ابنة في وجهها صفرة: «استرقوا فان بها النظرة».

علم العزائم

وهو علم يتعرف منه كيفية تسخير الأرواح، واستخدامها في مقاصده، كتسخير الملك والجن. ومن هذا القبيل ما يفعله أصحاب الأوهام والنفوس

(١) سورة الفلق، الآية ٤.

القوية، التي إذا تجردت وتوجهت نحو شيء أثرت فيه. وأقرب شاهد له في الشريعة الاصابة بالعين، وقد أثبته النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنه حق. وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمة. وجل هذا قد يسمى تجرد النفس أيضاً: أما لخير أو لشر.

حكى: أن السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين، لما غزا الهند، انتهى الى قلعة منيعة عصت عليه مدة، فخرج اليه بعض أهلها، وقال: إذا كان وقت طلوع الشمس، مر الجيش يضرب الطبول، ففعلوا، فانفتحت، فسألوا عنها، فقال: إن أهل هذه القلعة أصحاب هِمم، وصرفوا همتهم الى دفعك عنها، ولا يشوش عليهم شيء كالطبول المزعجة. وغلبت العساكر القلعة. وطريق هذا التسخير أمر صعب لم نباشره، لكن سمعت كثيراً ممن أثق به، أنه باشرها، وحصل مرامه وأنجح مقاصده.

علم الإستحضار

وهو استنزال الأرواح في قوالب الاشباع.

واعلم: أن تسخير الجن أو الملك، من غير تجسدها وحضورها عندك، يسمى: «علم العزائم»، بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتها.

وأما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك يسمى: «علم الاستحضار»، ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها. وأما استحضار الملك، فإن كان سماوياً فتجسده لا يمكن إلا في الأنبياء، وان كان أرضياً ففيه الخلاف.

علم دعوة الكواكب

واعلم: أنك قد عرفت ان استحضار الجن وبعض الملك ممكن، فكذلك يمكن تسخير روحانية الكواكب، سيا السبعة السيارة، فيتوصل بذلك إلى المقاصد المهمة: من قتل الأعداء، واحضار المال والغائب، وأمثال ذلك من الأمور، فيستحضرها متى شاء بلا تكلف ومشقة. ويسمى هذا دعوة

الكواكب. وهذا سحر الصائبة الذين بعث الله تعالى إليهم ابراهيم عليه السلام، مبطلاً لمقالتهم ورداً عليهم.

كما يحكى: أن ملكاً اشتغل بدعوة «زحل»، وعرض له عدو ملك عظيم، لا يقدر هو على محاربته، وتحير خدامه في أمره، وهو اشتغل عن أسباب الحروب إلى الدعوة، فبينا هو جالس مع خواصه وندمائه، اذ نزل من السماء شيء، فخاف أهل المجلس منه، وتفرقوا والملك ثابت في مكانه. فما نزل واستقر أمام الملك، دعا أصحابه فرأوا ظرفاً من نحاس مثلث الشكل، وفيه رأس الملك الذي خاصمه مقطوعاً، ففرحوا بذلك وهرب العسكر، ونصر الملك بروحانية «زحل»، وقال: انتم سفهتموني باشتغالي بالدعوة، وهذا نفعه الأدنى، فاعتقدوا الدعوة كلهم، وأمسكوا عن طعن الملك في اشتغاله بها.

وأما كون الظرف من نحاس وكونه مثلثاً، فلإقتضاء طبيعة «زحل» ذلك المعدن وذلك الشكل. والله أعلم بحقيقة الحال.

علم الفلقطيرات

وهي خطوط طويلة، عقدت عليها حروف وأشكال ـــ أي حلق ودوائر ـــ زعموا أن لها تأثيرات بالخاصية، وبعضها مقروء. وقد رأينا كثيراً منها على الأوراق المتفرقة، لكن لم نر فيها تصنيفاً مفرداً، ولم نقف أيضاً على كيفية وضعها، وما جربنا أن لها تأثيراً أم لا، فبقيت عندنا مجهولة الحال.

علم الاخفاء

وهو علم يتعرف منه كيفية اخفاء الشحص نفسه عن الحاضرين، بحيث يراهم وهم لا يرونه. ولها دعوات وعزائم، إلا أن الغالب على ظني، أن ذلك لا يمكن إلا بالولاية بطريق خرق العادة، لا بمباشرة أسباب يترتب عليها ذلك عادة. وكثيراً ما نسمع هذا، لكن لم نر من فعله أو رأي من فعله، إلا أن خوارق العادات لا ينكر، سيما من أولياء هذه الأمة. قدس الله تعالى أسرارهم.

علم الحيل الساسانية

وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال. والذي باشرها يتزيى في كل بلدة بزي يناسب تلك البلدة، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي، فتارة يختارون زي الفقهاء، وتارة يختارون زي الوعاظ، وتارة يختارون زي الصوفية، وتارة يختارون زي الأشراف، الى غير ذلك. ثم هم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها. منها: ما حكى واحد، أنه رأى في جامع البصرة قرداً على مركب، مثل ما يركبه أبناء الملوك، وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوساتهم، وهو يبكي و ينوح، وحوله خدم يتبعونه، و يبكون و يقولون: يا أهل العافية، اعتبروا بسيدنا هذا، فانه كان من أبناء الملوك، عشق امرأة ساحرة، و بلغ حاله بسحرها الى أن مسخ الى صورة القرد، وطلبت منه مالاً عظيماً لتخليصه من هذه الحالة، والقرد في هذا الحال يبكي بأنين وحنين، والعامة يرقون عليه و يبكون، وجمعوا لأجله شيئاً كثيراً من الأموال ثم فرشوا له في الجامع سجادة، فصلى عليها ركعتين، ثم صلى الجمعة مع الناس، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال العظيمة. وأمثال هذه الحيل كثيرة منهم. وكتاب (المختار في كشف الأستار) بالغ في كشف هذه الأسرار.

علم كشف الدك وايضاح الشك

وهو علم يتعرف منه الحيل المتعلقة بالصنائع الجزئية: من التجارات، وصنعة السمين، واللازورد، واللعل، والياقوت، وتغرير الناس في ذلك. ولما كان مبناه محرماً أضربنا عن تفصيله. وان أردت الوقوف عليه، فارجع الى كتاب (المختار) المذكور الآن.

علم الشعبذة والتخيلات

والأخذ بالعيون المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه، والشعبذة ـــ وقد يقال: الشعوذة بالواو مكان الباء ـــ معرب شعابذة، وهي اسم رجل ينسب اليه هذا العلم.

وهو علم مبنى على خفة اليد، بأن يرى الناس الأمر المكرر واحداً لسرعة تحريكها، والواحد مكرراً، و يرى الجماد حياً، ويخفي المحسوس عن أعين الناس بلا أخذ من عندهم باليد، الى غير ذلك من الأحوال التي يتعارفها الناس بالآنية دون اللمية.

وهذا ليس من السحر في شيء، لكنه لشبهه به في رأي العين جعلناه من فروعه. وأما الآلات الموضوعة على ضرورة عدم الخلاء، كقدحي العدل والجور ودوران الساعات وجر الأثقال. وله أسباب يقينية، من اطلع عليها قدر على مثلها. وهذا العلم من فروع الهندسة حقيقة، فلذلك أخرناه الى هناك وان كان لعده من السحر نوع سبيل.

علم تعلق القلب

وهذا علم ربما يظهره بعض المتنبلين لمن في عقله خفة، حتى يظنون أنه يعرف الاسم الأعظم، أو أن الجن تطيعه. وربما أداه انفعاله الى مرض ونحوه، أو مطاوعة ذلك المتنبل فيما قصده.

علم الاستعانة بخواص الأدوية والمفردات

كاجتذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك. وهذا وان كان من فروع خواص الأدوية، لكن لعدم معرفة العوام سببه ربما يعد من السحر.

حكي: أن كنيسة ببلاد الروم أو الهند، عمل في جدرانها وسقفها وأرضها ستة حجارة مغناطيس متساوية في القدر، وجعل في هوائها صليب من حديد، بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً، فافتتن به قوم من النصارى.

الشعبة السادسة

في العلوم الرياضية

وهي العلوم الباحثة عن أمور يصح تجردها عن المادة في الذهن فقط. وتنحصر هذه في أربعة أقسام، لأن نظرها أما عن الكم المتصل أو عن الكم المنفصل. وكل منها أما قاراً لذات أولاً.

فالأول: الهندسة.

والثاني: الهيئة.

والثالث: العدد.

والرابع: الموسيقى.

علم الهندسة

وهو علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاع بعضها عند بعض، ونسبتها، وخواص أشكالها. وموضوعه: المقادير المطلقة، أعني الخط والسطح والجسم التعليمي، ولواحق هذه من الزاوية والنقطة والشكل. ومنفعته: الاطلاع على الأحوال المذكورة من الموجودات، وأن يكسب الذهن حدة ونفاذاً، ويروض بها الفكر رياضة قوية، لما اتفقوا على أن أقوى العلوم برهاناً هي العلوم الهندسية. ومن جملة منافعها: العلاج بها على الجهل المركب، لما أنها علوم يقينية لا مدخل فيها للوهم، فيعتاد الذهن على تسخير الوهم، والجهل المركب ليس الا من غلبة الوهم على العقل.

والمصنفات في هذا العلم كثيرة:

أشهرها وأوضحها: (تحرير خواجه نصير الدين الطوسي لكتاب اقليدس)؛

وأخصرها وأحسنها: (أشكال التأسيس) للأبهري؛

و (شرحه) لقاضي زادة الرومي.

وقد ذكر ابن سينا في كتاب (الشفا) جملة كافية منها. وكذا ذكر العلامة في كتبه من حقائق هذا الفن ما فيه كفاية. ثم ان للهندسة عدة فروع سنقف على تفاصيلها ان شاء الله تعالى.

علم الهيئة

وهو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة، العلوية والسفلية، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها.

وموضوعه: الأجرام المذكورة من الحيثية المذكورة. وقد يذكر هذا العلم تارة مع براهينه الهندسية كما هو الأصل، وهو المذكور في (المجسطي) لبطليموس، ولخصه الأبهري وعربه.

ومن الكتب المختصرة فيه: (هيئة ابن أفلح).

ومن المبسوطة: (القانون المسعودي) لأبي ريحان البيروني؛

و (شرح المجسطي) للتبريزي.

وقد يجرد عن البراهين، ويقتصر على التصور والتخيل دون اليقين ويسمى: «هيئة بسيطة».

فمن المختصر فيه: (التذكرة) لخواجة نصير الدين الطوسي.

ومن المتوسطة: (هيئة العرضي).

ومن المبسوطة: (التحفة) و (نهاية الادراك).

كلاهما للعلامة قطب الدين الشيرازي.

ومن المختصر المشهور:

(الملخص) لمحمود الجغميني. وعليه شروح كثيرة:

١ ــ كشرح مولانا فضل الله العبيدي؛

٢ ــ وشرح كمال الدين التركماني؛

٣ ــ وشرح السيد الشريف؛

٤ ــ وشرح قاضي زاده الرومي.

ومن الكتب المختصرة النافعة فيه غاية النفع:

(كتاب الفتحية) لمولانا علي بن محمد القوشجي. وعليه: شرح لمولانا سنان، لكنه ما كان ماهراً في هذا العلم. وشرحه أستاذي مولانا محمود الشهير بميرم جلبي. وهو ابن بنت المصنف رحمه الله، مولانا علي وقد كتبه عند قراءتي عليه كتاب (الفتحية).

وكان القدماء قد اقتصروا في هيئة الأفلاك على الدوائر المجردة، و يسمى: «هيئة مسطحة». وفيه (كتاب لأبي علي بن الهيثم).

ومنفعة هذا العلم ــ أعني علم الهيئة ــ وشرف موضوعه، ووثاقة أدلته، وثبات معلوماته ظاهرة. وكفى بهذا العلم شرفاً قوله عز وعلا: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾[1]. وسنذكر فروع هذا العلم فيما بعد، ان شاء الله تعالى.

علم العدد

و يسمى الأرثماطيقي.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

وهو علم تتعرف منه أنواع العدد، وأحوالها، وكيفية تولد بعضها من بعض؛ وموضوعه: الأعداد من جهة خواصها ولوازمها.

ومن الكتب المختصرة فيه: (سقط الزند في علم العدد).

ومن المبسوطة: (كتاب الارثماطيقي) من أبواب الشفا.

ومن المتوسطة: (كتاب نيقوماخس) والد أرسطو.

ومنفعة هذا العلم: ارتياض النفس بالنظر في المجردات عن المادة ولواحقها. ولذلك كانت القدماء يقدمونه في التعليم على سائر العلوم حتى المنطق، ولأنه مثال العالم، في صدوره عن واجب مجرد خارج عنه، كما أن الاعداد تنشأ عن الواحد وليس هو بعدد. وفروع هذا الفن كثيرة سنوردها ان شاء الله تعالى.

علم الموسيقى

وهو علم يعرف منه أحوال النغم والايقاعات، وكيفية تأليف اللحون وايجاد الآلات الموسيقاوية. وانما وضعوا هذه الآلات لضرورة تخلل الفترات بالصوت الانساني فتخل باللذة، ولأنه قد يوجد في بعض الآلات ما ليس في الطبيعة، فلم يرتضوا الاخلال به.

وموضوعه: الصوت من جهة تأثيره في النفس، باعتبار نظامه في طبقته وزمانا؛ ومنفعته: بسط الأرواح وتعديلها وتقويتها وقبضها أيضاً، لأنها يحركها أما عن مبدأيها، فيحدث السرور واللذة والكرم والشجاعة وما يناسبها؛ وأما الى مبدأيها، فتحدث الفكر في العواقب والاهتمام ونحوهما. ولذلك يستعملون النغم تارة في الأفراح والحروب وعلاج المرضى، وتارة في المآتم وبيوت العبادات.

وأما ما يقال عن سبب انفعال النفس عن الالحان، تذكرها عالمها الأول للمناسبات التي بين هذه الألحان، وألحان تسمع من حركات الأفلاك فليس على ظاهره، اذ ليس لحركات الافلاك قرع، ولا هناك هواء، حتى يحدث منها الصوت لما تقرر في الحكمة، بل معناه أن حركات الأفلاك حركة شوقية الى مؤثراتها من العقول، وأن حركاتها لعشقها على الأمر اللطيف الذي هو العقل

المؤثر، وكما أن نفوس الأفلاك عاشقة على الأمر اللطيف، فكذلك نفوس الانسان عاشقة على الأمور اللطيفة الموزونة، فاذا رأت النفس صورة حسنة، أو سمعت صوتاً حسناً، تتذكر عالم العقول، فتنبسط لها، وتنشرح لأجلها، وترتاح لاستماعها، كارتياح الأفلاك للأمر اللطيف.

و (كتاب الفارابي) أشهر كتب الفن؛

وكذا (كتاب الموسيقى) من أبواب (الشفا) لابن سينا؛

ولصفي الدين عبد المؤمن (مختصر لطيف)؛

ولثابت بن قرة (تصنيف نافع)؛

ولأبي الوفاء الجوزجاني (مختصر في فن الايقاع).

والكتب في هذا الفن كثيرة إلا أن الكل يفيد العلم. والعمل موقوف على سماع من الأستاذ الحاذق ثم التمرن فيما سمعه. ولهذا الفن أيضاً فروع لا تحصى ستسمعها ان شاء الله تعالى.

الشعبة السابعة

في فروع علم الهندسة

علم عقود الأبنية

وهو علم تتعرف منه أحوال أوضاع الأبنية. وكيفية أحكامها، وطريق حسنها كبناء الحصون المحكمة. وتنضيد المنازل البهية: والقناطر المشيدة، وأمثالها: وأحوال كيفية شق الأنهار. وتقنية القناء. وانباط المياه، ونقلها من الأغوار الى النجود، وغير ذلك. ومنفعته عظيمة في عمارة المدن والمنازل والقلاع. وفيه كتاب لابن الهيثم، وكتاب آخر لكرجي.

علم المناظر

وهو علم يتعرف منه أحوال المبصرات — في كميتها وكيفيتها — باعتبار قربها و بعدها عن الناظر، واختلاف أشكالها وأوضاعها، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات، وغلظته ورقته، وعلل تلك الأمور. ومنفعته: معرفة أحوال الأبصار، وتفاوت المبصرات، والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها. و يستعان بهذا العلم على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضاً.

ومن الكتب المختصرة فيه: (كتاب أقليدس)؛
ومن المتوسطة: (كتاب علي بن عيسى الوزير)؛
ومن المبسوطة: (كتاب لابن الهيثم).

علم المرايا المحرقة

وهو علم يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية، المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة، ومواقعها وزواياها ومراجعها، وكيفية عمل المرايا المحرقة، بانعكاس أشعة الشمس عنها، ونصبها ومحاذاتها. ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع وقد كان القدماء يعملون المرايا من أسطحة مستوية، وبعضهم من مقعر كرة، الى أن ظهر «دنوفلس»، وبرهن على أنها اذا كانت أسطحتها مقعرة بحسب القطع المكافي، فانها تكون في نهاية القوة والاحراق. وكتاب أبي علي بن الهيثم في المرايا المحرقة على هذا الرأي.

علم مراكز الأثقال

وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول. والمراد بمركز الثقل حد في الجسم عنده يتعادل بالنسبة الى الحامل. ومنفعته: معرفة كيفية معادلة الأجسام العظيمة بما دونها لتوسط المسافة، كما في القرسطون. وفيه كتاب لأبي سهل الكوهي تساهل في مقدمات براهينية. ولابن الهيثم فيه كتاب مفيد.

علم جر الأثقال

وهو علم يتبين منه كيفية اتخاذ الآلات الثقلية بالقوة اليسيرة؛ ومنفعته ظاهرة حتى للعوام. وقد برهن «ايرن» في (كتابه في هذا العلم) على نقل مائة ألف رطل بقوة خمسمائة رطل، وهذا أمر تستبعده العقول القاصرة.

علم المساحة

وهو علم يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام، بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب. ومنفعته جليلة في أمر الخراج وقسمة الأرضين وتقدير المساكن وغيرها.

ومن الكتب المختصرة فيه: (كتاب لابن محلي الموصلي)؛
ومن المبسوطة: (كتاب لابن المختار)؛ و (كتاب أرشميدس).

علم أنباط المياه

وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الأرض وإظهارها ومنفعته: احياء الأرضين وافلاحها. ونقل عن بعض العلماء أنه قال: لو علم عباد الله تعالى رضاء الله تعالى في إحياء أرضه، لم يبق في وجه الأرض موضع خراب.

وللكرخي فيه (كتاب مختصر). وفي خلال كتاب (الفلاحة النبطية) مهمات هذا العلم.

علم الآلات الحربية

وهو علم يتعرف منه كيفية ايجاد الآلات الحربية كالمنجنيق وغيرها. ومنفعته ظاهرة، لأنها شديدة الغناء في دفع الأعداء وحماية المدن. وهذا العلم أحد أركان الدين، لتوقف أمر الجهاد عليه، الذي هو من أركان الدين. ولبني موسى بن شاكر كتاب مفيد في هذا العلم.

علم الرمي

مثل رمي القوس والبنادق. وهو علم يتعرف منه رمي الأمور المذكورة بالمزاولة، ليكون عملها على وجه الاصابة. ومنفعتها عظيمة في كل الأمور.

علم التعديل

وهو علم يعرف به كيفية تفاوت الليل والنهار، وتداخل الساعات في الليل والنهار عند تفاوتها في الصيف والشتاء. ونفع هذا العلم عظيم.

علم البنكامات

علم يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات المقدرة للزمان. ومنفعته: معرفة أوقات العبادات، واستخراج الطوالع من الكواكب وأجزاء فلك البروج، فهذا العلم عظيم النفع في الدين. و (كتاب أرشميدس) هو العمدة في هذا الفن وللمتأخرين في هذا العلم تصانيف مفيدة حسنة جداً.

علم الملاحة

وهو علم يتعرف به آلات السفينة، وكيفية اجرائها في البحر، وأن مقدار هذا الثقل بهذا المقدار من الريح كم فرسخاً يتحرك في مقدار هذه الساعات. و يتوقف على معرفة سموات البحار والبلدان والأقاليم، ومعرفة ساعات الأيام والليالي، ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها، ورخائها وممطرها وغير ممطرها. ومن مبادئه: علم الميقات، وعلم الهندسة. و يتوقف على معرفة عجائب البحر وطبائعها وخواصها وصور الأقاليم، وغير ذلك مما يعرفه أهله. وهذا العلم يعرف بالتمرن عند المتمهرين فيه، ولذلك قلما يصنفون فيه. وهذا العلم عظيم النفع، لأن الله تعالى أمتن على عباده بالسفن. فهذا العلم مما يتم به أعظم منن الله تعالى على عباده. وفي هذا الفن كتب موجودة عند أهله. وأكثر مبادئه مستندة الى التجربة.

علم السباحة

(وهذا أيضاً من فروع علم الملاحة، إذ لا يقدر أحد على الملاحة أو لا تتم فيه الملاحة إلا بتحسين أمر السباحة) لكنها تحصل بالمزاولة والادمان.

علم الأوزان والموازين

وهذا العلم لضبط أثقال الأحجار في البناء، وضبط أثقال الأحمال، ومعرفة مقاديرها، ومعرفة الآلات التي توزن بها الأشياء: من الميزان والقسطاس والصاع والكيل، وأمثال ذلك. وضبط هذه الأمور لا يتيسر إلا لمن له حظ في علم الهندسة كما لا يخفى.

علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء

كقدح العدل، وقدح الجور.

أما قدح العدل: فهو اناء إذا امتلأ منها قدر معين يستقر فيها الشراب، وان زيد عليها ــ ولو شيء يسير ــ ينصب الماء و يتفرغ الاناء عنه، بحيث لا

يبق قطرة لأنه اذا ابتدىء الماء بالانصباب، يستتبع البواقي لعدم امكان الخلاء.

أما قدح الجور: فهو قدح له مقدار معين، ان صب فيه بذلك القدر القليل يثبت، وان ملىء يثبت أيضاً، وان كان بين المقدارين يتفرغ الاناء، كل ذلك لعدم امكان الخلاء. وأمثال هذه الظروف من فروع الهندسة، من حيث تعين قدر الاناء، والا فهو بالحقيقة من فروع علم الطبيعي. ومن هذا القبيل دوران الساعات، كما مر فيما سبق، ويسمى أيضاً: «علم الآلات الروحانية» لارتياح النفس بغرائب هذه الآلات. وأشهر كتب هذا الفن: (كتاب حيل بني موسى بن شاكر)؛ وفيه (كتاب مختصر) لفيلن، و (كتاب مبسوط) للبديع الحيري.

الشعبة الثامنة

في فروع علم الهيئة

علم الزيجات والتقاويم

وهو علم يتعرف منه مقادير حركات الكواكب، سيما السبعة السيارة، وتقويم حركاتها، واخراج الطوالع، وغير ذلك، منتزعاً من الأصول الكلية.

ومنفعته: معرفة موضع كل واحد من الكواكب، سيما السبعة، بالنسبة الى فلكها، والى فلك البروج وانتقالاتها، ورجوعها واستقامتها، وتشريقها وتغريبها، وظهورها وخفائها في كل زمان ومكان، ليتعرف بمعرفة هذه الأمور الاتصالات بين الكواكب: من المقارنة والمقابلة والتربيع والتثليث والتسديس، ويعرف كسوف الشمس وخسوف القمر، وما يجري هذا المجرى.

والغرض الأخير من معرفة هذه الأمور معرفة أمرين:

أما معرفة الساعات والأوقات، وفصول السنة، وسمت القبلة وأوقات الصلاة.

وأما معرفة الأحكام الجارية في عالم العناصر بسبب تلك الأوضاع.

إلا أن الغرض الأصلي لا بد أن يكون الأمر الأول، إذ هو المهم في الطبع والعادة والشرع. وأما معرفة الأحكام: فمع كونها مدخولة الصحة في الشرع، لا يكاد يستقيم شيء منها، وان وقع فانما يقع بطريق الاتفاق وعدم الصحة: أما لكون مبنى علم الأحكام على الدلائل الواهية، والبراهين الضعيفة، التي لا تفيد

شبهة، فضلاً عن ظن، فضلاً عن يقين؛ وأما لعسر تعيين الأوضاع العارضة للكواكب، لعسر الطرق، وعدم الاطلاع على الخطأ، لبعد مقادير الحركات عن الحس، حتى يصلحه المحاسب بعد ذلك. وأنفع الزيجات: «الزيج الايلخاني» التي تولاها خواجه نصير الدين الطوسي. والمشهور عند أهل مصر: «الزيج المصطلح». وبدمشق: «زيج ابن شاطر». وفي ديار العجم: «زيج الغ بيك» ابن شاهرخ بن أمير تيمور، وهو ــ والعلم عند الله ــ أقرب الزيجات من الصحة، وأقصى ما يمكن للبشر معرفته في هذا الشأن، وعليه التعويل في زماننا في معظم الأقاويل. وتولى هذا الزيج أولاً غياث الدين بن جمشد بسمرقند، وتوفاه الله تعالى في مبادي أحواله، ثم تولاه قاضي زاده الرومي، وتوفاه الله تعالى أيضاً قبل اتمامه، وإنما أتمه وأكمله مولانا علي بن محمد القوشجي رحمه الله.

علم كتابة التقاوم

وهو ترتيب خاص، يثبتون ما خرج من الزيج من الأعمال، على الترتيب الخاص، في أوراق اثني عشر، مجدولة بجداول على وجه خاص. ويرقونها بأرقام مخصوصة، ويكتبون فيها الشهور الاثني عشر وما يوجد فيها من المواسم والاختيارات والأحكام، الى غير ذلك مما يعرفه أهله. وبين نصير الدين الطوسي جميع أحوال التقويم ومصطلحاته في (رسالة له) هي ثلاثون باباً.

علم حساب النجوم

وهو حساب يبحث فيه عن كيفية حساب الأرقام الواقعة في الزيجات. وهذا وان كان من فروع علم العدد، إلا أنه ــ من جهة توقف التقويم عليه ــ صار من فروعه أيضاً، سيما وقد امتاز عن سائر أعمال الحساب بقواعد خاصة به، يعرفها من اهتم بها.

علم كيفية الأرصاد

وهو علم يتعرف منه تحصيل مقادير الحركات الفلكية، والقوانين المتعلقة

بتحصيلها، وكيفية التوصل اليها بالآلات الرصدية. ومنفعته: تكميل علم الهيئة، وتحصيل الزيجات، والاقتدار على تدوينها. وكتاب (الارصاد) لابن الهيثم يشتمل على نظري هذا الفن.

علم الآلات الرصدية

وهو علم يتعرف منه كيفية تحصيل الآلات الرصدية قبل الشروع في الرصد، فان الرصد لا يتم إلا بآلات كثيرة رتبوها، وتحصيل تلك الآلات يتوقف على معرفة أحوالها. وكتاب (الآلات العجيبة) للخازني يشتمل على ذلك.

علم المواقيت

وهو علم يتعرف منه أزمنة الأيام والليالي، وأحوالها، وكيفية التوصل اليها. ومنفعته: معرفة أوقات العبادات، ونواحي جهتها، والطوالع والمطالع من اجراء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الاظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان وسموتها.

ومن المصنفات فيه:

(نفائس اليواقيت في أحوال المواقيت)؛

و (جامع المبادي والغايات) لأبي علي المراكشي.

علم الآلات الظلية

وهو علم يتعرف منه مقادير ظلال المقايس وأحوالها الآخر، والخطوط التي ترسم في أطرافها، ومعرفة أحوال الظلال المستوية والمنكوسة. ومنفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات: كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ونحوها. ولابراهيم بن سنان الحراني فيه (كتاب مبرهن).

علم الاكر

وهو علم باحث عن أحوال المقادير المتعلقة بالأكر خاصة دون المسطحات، وتتوقف براهين علم الهيئة على ذلك أشد توقف. ومنفعته بينة لا تخفى.

علم الأكر المتحركة

وهو علم باحث عن أحوال المقادير المتعلقة بالأكر من حيث أنها متحركة، وتوقف علم الهيئة عليها أشد. ولهذا جل نفع هذا العلم.

ومن الكتب النافعة فيه:

(أكر مالاناوس)؛

و (أكر ساو ذو سيوس).

علم تسطيح الكرة

وهو علم يتعرف منه كيفية نقل الكرة الى السطح، مع حفظ الخطوط والدوائر المرسومة على الكرة، وكيفية نقل تلك الدوائر الى الخط. وتصور هذا العلم عسير جداً، يكاد يقرب من خرق العادة، لكن عملها باليد كثيراً ما يتولاه الناس ولا عسر فيه مثل عسر التصور.

ومن الكتب القديمة فيه:

(كتاب تسطيح الكرة) لبطليموس؛

و (المحدث الكامل) للفرغاني؛

و (الاستيعاب) للبيروني؛

و (آلات التقويم) للمراكشي.

علم صور الكواكب

واعلم: أن المنجمين تصوروا في فلك الثوابت ثمانياً وأربعين صورة. منها: ما على المنطقة يتوهم اثنتي عشرة صورة لتعيين البروج، وثمان وعشرين صورة أخرى لتعيين منازل القمر. و يندرج بعض هذه الصور في بعض. وبهذه الصور

ضبطوا من الكواكب الثوابت ألفاً واثنين وعشرين كوكباً، وعرفوا مواضعها في الطول والعرض، وجعلوا كل جملة منها متساوية المقدار تقريباً، ورتبوها في ست مراتب أولاها أعظمها، وعلى هذا القياس. ولعبد الرحمن الصوفي (رسالة صور الكواكب) نافعة في هذا الباب ولمحيى الدين المغربي أيضاً (رسالة) في هذا الباب.

علم مقادير العلويات

وهو علم باحث عن قدر الكواكب والأفلاك بالأميال والفراسخ، وقدر الشمس والقمر والأرض، وبعد كل من هذه الأجرام بعضها عن بعض. وهذا علم بعيد المتناول، إلا أن القدماء اجتهدوا فيه، وبينوا تلك المسائل ببراهين قطعية، لا يشك من يتولاها في صحتها.

علم منازل القمر

وهو علم يتعرف منه صور المنازل الثماني والعشرين، وأسماؤها، وخواص كل واحد منها، وأحكام نزول القمر في كل منها، الى غير ذلك.

علم جغرافيا

ومعناه: صورة الأرض.

وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، وعروض البلدان الواقعة فيه، وأطوالها. وكذا عدد مدنها وجبالها، وبراريها وبحارها وأنهارها، الى غير ذلك من أحوال الربع المعمور. ولبطليموس تأليفات كثيرة في هذا العلم نافعة جداً.

علم مسالك البلدان والأمصار

وهو علم باحث عن أحوال الطرق الواقعة بين البلاد، وأنها برية أو بحرية، عامرة أو غامرة، سهلية أو جبلية، مستقيمة أو منحرفة، والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال والتلال وأمثالها، ومعرفة ما في تلك المسالك من

المخاوف الحيوانية أو النباتية أو السبعية وأمثال ذلك. ومنفعة هذا العلم لا تخفى على أحد.

علم معرفة البرد ومسافاتها

وهو علم يتعرف منه كمية مسالك الأمصار فراسخ وأميالا، وأنها مسافة شهرية أو أقل أو أكثر. ونفع هذا العلم كالعلم المتقدم.

علم خواص الأقاليم

وهو علم يتعرف منه ما في كل أقليم أو بلد من المنافع والمضار والعجائب والغرائب. وهذا علم جليل ترتاح اليه النفوس. مثل: ما روى أن ببلاد الهند ورداً مكتوباً في الورقة منها: «محمد رسول الله»، رواه الذهبي في (الميزان). ونظيره ما ذكره ابن العديم في (تاريخه)، في ترجمة الحسن بن أحمد بن الحسن، الوراق الخواص المصيصي، أنه روى مسنداً الى علي بن عبدالله الهاشمي، أنه رأى في بعض بلاد الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض «لا اله إلا الله محمد رسول الله. أبو بكر الصديق عمر الفاروق».

فظننت أنه معمول، ففتحت وردة لم تفتح بعد فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شيء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، ولا يعرفون الله عز وجل.

وحكى الشيخ اليافعي في كتابه المسمى (بروض الرياحين)، عن بعض الشيوخ، أنه رأى ببلاد الهند، شجرة تحمل ثمرة تشبه اللوز لها قشر، ان كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية، مكتوب عليها بالحمرة: «لا اله إلا الله. محمد رسول الله» كتابة جلية، وهم يتبركون بها، ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث. فحدثت بها أبا يعقوب الصياد، فقال لي: ما استعظم هذا. كنت اصطاد على نهر الابلة، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن أو أذنها اليمنى: «لا اله إلا الله»، وعلى جنبها الأيسر أو أذنها اليسرى: «محمد رسول الله»، فقذفتها في الماء احتراماً لما عليها.

قلت: سمعت من أثق به، أنه يروي عمن يثق به، أنه رأى جرادة في أحد جناحيها: «لا إله إلا الله» وفي الآخر: «محمد رسول الله».

وأمثال هذه الغرائب والعجائب في الآفاق. خارج عن احاطة الأوراق.

سبحان مبدعها ومخترعها، جل جلاله وعم نواله. وكتاب (عجائب المخلوقات) للقزويني أتى بالعجب العجائب. وكتاب آخر في هذا الباب أحسن من كتاب القزويني، لكن لم أتذكر اسمه، ثم سألت عنه واحداً من أصحابي، فقال: إنه (خريدة العجائب) لابن الوردي.

وفيها كتاب آخر، (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الصقلي، و (تقويم البلدان) لياقوت الحموي، وغير ذلك.

علم الأدوار والأكوار

اعلم أن الدور يطلق في اصطلاحهم على ثلاثمائة وستين سنة شمسية؛ والكور على مائة وعشرين سنة قمرية. ويبحث في العلم المذكور عن تبدل الأحوال الجارية في كل دور وكور. وهذا من فروع أحكام النجوم كما هو ظاهر عند أهله.

علم القرانات

اعلم أن القران: هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد. ويبحث في هذا العلم، عن الأحكام الجارية في هذا العالم، بسبب قران السبعة كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معين.

واعلم: أن أرباب النجوم، زعموا أن الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم، ثم تفرقت، فتى اجتمعوا في برج واحد، يكون سبباً لحادث عظيم ــ باذن الفاطر الحكيم القادر العليم ــ في عالم الكون والفساد، كحدوث طوفان عظيم، منها طوفان نوح عليه السلام؛ أو تبدل ملة: كبعثة

الأنبياء؛ أو دولة كغلبة اسكندر وجنكيزخان وتيمور وأمثالهم، حسب تفاوت القرانات في البروج، وفي قران الكل أو البعض.

ولنصير الدين الطوسي (تأليف في هذا الباب)، وكذا لجاماسب الحكيم.

واعلم: أن من القرانات ما يكون في كل عشرين سنة، ومنها ما يكون في كل مائتين وأربعين سنة، ومنها ما يكون في كل تسعمائة وستين سنة، ومنها ما يكون في كل ثلاثة آلاف سنة وثماني وأربعين سنة مرة، ومنها ما يكون في كل سبعة آلاف سنة مرة.

والله أعلم بحقيقة الحال.

علم الملاحم

وهي جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة في الفتنة. ويعرف في هذا العلم ــ بسبب ضبط أحوال أحكام النجوم ــ كل وقعة وفتنة عظيمة، مثل: وقعة «بخت نصر»، ووقعة جنكيز، وهولاكو وتيمور، ما وقع منها وما سيقع؛ وتعيين زمان وقوعها في الآتي.

وهذا علم يعتني الناس به، ويستخرجون أحكامه، إلا أنك قد عرفت أن علم الأحكام لا يخلو عن شبهة وتخمين. ويكفيك في معرفة الملاحم ما وقع في الأحاديث النبوية، لأنه صلى الله عليه وسلم لم تفته حادثة يرجى وقوعها، لأن هذا الاطلاع في منصب النبوة، أدنى من نسبة القطرة الى البحر المحيط. وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى معظم ما سيقع منها بل الى كلها. فعليك بتتبع الأحاديث إن أردت معرفة هذا الشأن، إذ ليس قرية وراء عبادان وقد قال تعالى: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾(١).

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

علم مواسم السنة

واعلم: أن لكل أمة من الأمم، ولكل طائفة من الأقوام مواسم وأعياد، يراعونها ويحفظونها، ويجعلون لها وقتاً معلوماً في كل سنة لا يخطىء عنها أصلاً.

فالعلم المذكور يعرف منه أعياد كل قوم، وأنها من السنة في أي يوم، و يعرف شغل أهلها في ذلك اليوم؛ مثل يوم النيروز والمهرجان عند أهل فارس. وكان أهل القبط بمصر، يأتي ملكهم في يوم النيروز شخص و يرصد من الليل، و يكون مليح الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، فيقف على الباب حتى يصبح، وإذا أصبح دخل على الملك بغير اذن، و يقف بحيث ان الملك يراه، فيقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما اسمك؟ ولأي شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، واسمي المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، و بالهناء والسلامة وردت ومعي السنة الجديدة. ثم يجلس، و يدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة وشعير وجلبان وذرة وحمص وسمسم وأرز، من كلٍ سبع سنابل وسبع حبات، وقطعة سكر ودينار ودرهم جدد، فيضع الطبق بين يدي الملك، ثم يدخل عليه الهدايا يبتدىء من الوزير، ثم الناس على قدر مراتبهم، ثم يقدم الملك رغيفاً كبيراً مصنوعاً من تلك الحبوب، فيأكل منه و يطعم من حضره، ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أن يجدد فيه ما أخلق الزمان، وأحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء، ثم يخلع على وجوه دولته و يصلهم و يفرق عليهم ما حمل اليه من الهدايا.

وكان من عادة الفرس في عيدهم، أن يدهن الملك بدهن البان تبركاً، و يلبس القصب والوشي، و يضع على رأسه تاجاً فيه صورة الشمس، و يكون أول من دخل عليه الموبذان، يطبق عليه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وتفاح وعناب وعنقود عنب أبيض، وسبع باقات آس. ثم تدخل الناس مثل الأول على طبقاتهم.

ومن عادتهم في يوم النيروز، أنهم يجمعون بين سبعة أشياء ـــ أول أسمائهم سينات ـــ يأكلونها، وهي: السكر، والسمسم، والسميد، والسفرجل، والسماق، والسذاب، والسقنقور.

وعادات الناس في الأعياد خارجة عن حد التعداد. وليكتف بهذا القدر، إذ الغرض المثال لا الاستيفاء في الأمثال.

علم مواقيت الصلاة

وهو علم يتعرف منه أوقات الصلاة الخمس على الوجه الوارد في الشرع. وهذا العلم فرض علمه تقريباً، لأن ما يتم الواجب المطلق إلا به. وهو مقدور للمكلف، فهو واجب. وأما علمه التحقيقي، ففرض في البلد من يعرفه، فيكون من فروض الكفايات.

علم وضع الاسطرلاب

وهو علم باحث عن كيفية وضع الاسطرلاب، ومعرفة صنعة خطوطه على الصفائح، ومعرفة كيفية الوضع في كل عرض من الأقاليم. وقد يعمل اسطرلاب شامل لجميع البلاد، وهذا عظيم النفع جداً.

علم عمل الاسطرلاب

وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج الأعمال الفلكية من الاسطرلاب بطرق خاصة مبينة في كتبها. وهذا أيضاً علم نافع يستخرج منه كثير من الأعمال: من معرفة ارتفاع الشمس، ومعرفة المطالع والطوالع، ومعرفة أوقات الصلاة وسمت القبلة، ومعرفة طول الأشياء بالذراع وعرضها، إلى غير ذلك.

علم وضع ربع الدائرة المجيب والمقنطرات

وتعريفه وموضوعه: يعرف بالقياس الى وضع الاسطرلاب

علم ربع الدائرة

والكلام فيه كالكلام في الاسطرلاب، لكن طرق صنعتها وعملها غير طرق الاسطرلاب، كما لا يخفى على أولي الألباب. وكذا الحال في سائر الآلات مثل العصا، والزرقاله. والشكازية وأمثالها.

علم آلات الساعة

من الصناديق، والضوارب وأمثال ذلك. وتفاصيلها لا يحتملها هذا المختصر. ورأيت فيها مجلدات عظيمة. والغرض ها هنا التنبيه على اجمالها. ونفع هذا العلم بيِّن لكل أحد حتى العوام. والله ولي التوفيق والاعلام، ومنه الهداية والالهام.

الشعبة التاسعة

في فروع علم العدد

وقد تسمى بعلم الحساب.

وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعداد، لاستخراج المجهولات الحسابية: من الجمع والتفريق والتناسب والضرب والقسمة. ومنفعته: ضبط المعاملات، وحفظ الأموال، وقضاء الديون، وقسمة التركات بين الشركاء وغيرها. ويحتاج اليه في العلوم الفلكية وفي المساحة والطب. وقيل: يحتاج اليه في جميع العلوم.

وبالجملة: لا يستغني عنه ملك ولا عالم ولا سوقة. وزاد شرفاً بقوله تعالى: ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾[1]. وقوله تعالى: و﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ فاسأل العادين ﴾[3].

ولعلم الحساب فروع كثيرة نذكرها ها هنا.

علم حساب التحت والميل

وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد، وتغني عما عداها بالمراتب. وتنسب هذه الأرقام الى الهند.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) سورة يونس، آية: ٥.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ١١٣.

ومنفعته: تسهيل الأعمال الحسابية وسرعتها، خصوصاً الفلكية.

ومن الكتب الشاملة فيه: (كتاب خواجه نصير الدين الطوسي).

ولأهل المغرب طرق ينفردون بها في الأعمال الجزئية:

(فمنها) قريبة المأخذ: كطرق ابن ياسمين.

و (منها) بعيدة: كطرق الحضار.

ولابن الهيثم كتاب يبرهن فيه على أصول أعماله ببراهين عددية.

ومن الكتب النافعة في هذا العلم:

(كتاب الحمدية) لمولانا علي بن محمد القوشجي؛

و (كتاب المختصر) للصلاحي؛

و (شرحه)؛

وغير ذلك، مما لا يعد ولا يحصى.

علم الجبر والمقابلة

وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها. ومعنى الجبر: زيادة قدر ما نقص في الجملة المعادلة، بالاستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا. ومعنى القابلة: اسقاط الزائد من احدى الجملتين للتعادل. ومنفعته: استعلام المجهولات العددية إذا كانت معلومة العوارض، ورياضة الذهن.

ومن الكتب المختصرة فيه:

(نصاب الجبر) لابن فلوس الماridيني؛

و (المفيد) لابن محلي الموصلي.

ومن المتوسطة: (كتاب الظفر) للطوسي.

ومن المبسوطة:

(جامع الأصول) لابن المحلي؛

و (الكامل) لأبي شجاع بن أسلم.

وبرهن السموءل على مسائله بالبراهين العددية. وبرهن عليه الخَيَّام بالبراهين الهندسية.

و (أرجوزة) ابن الياسمين، و (شرحه) مختصر نافع أورد فيهما ما لا بد منه.

ومن الرسائل الوافية بالمقصود: (رسالة شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي).

علم حساب الخطأين

وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية إذا أمكن صيرورتها في أربعة أعداد متناسبة. ومنفعته: نحو منفعة الجبر والمقابلة، إلا أنه أقل عموماً منه وأسهل عملاً. وانما سمي حساب الخطأين لأنه يفرض المطلوب فيه شيئاً ويختبر، فان وافق، فذاك، والا حفظ الخطأ وفرض المطلوب شيئاً آخر، ويختبر، فان وافق، فذاك، والا حفظ الخطأ الثاني، و يستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين. وعلى هذا إذا اتفق وقوع المسألة أولاً في أربعة أعداد متناسبة، أمكن استخراجها بخطأ واحد.

ومن الكتب الكافية فيه:

(كتاب لزين الدين المغربي) وبرهن ابن الهيثم على طرقه.

علم حساب الدور والوصايا

وهو علم يتعرف منه مقدار ما يوصى به إذا تعلق بدور في بادي النظر. مثاله: رجل وهب لمعتقه في مرض موته مائة درهم، لا مال له غيرها، فقبضها ومات قبل سيده، وخلف بنتاً والسيد المذكور. ثم مات السيد. فظاهر المسألة أن الهبة تمضي من المائة في ثلثها. فاذا مات المعتق، رجع الى السيد نصف الجائز بالهبة فيزداد ماله، فيزداد مال المعتق فيزاد مال السيد من ارثه، وهلم جراً.

وبهذا العلم يتعين مقدار الجائز بالهبة. وظاهر أن منفعة هذا العلم جليلة وان كانت الحاجة اليه قليلة.

ومن كتبه: كتاب لابن فضل الدين الخونجي.

علم حساب الدرهم والدينار

وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية؛ ولهذه الزيادة لقبوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس، وغير ذلك.

ومنفعته: كمنفعة الجبر والمقابلة، فيما يتكثر فيه أجناس المعادلة.

ومن الكتب فيه:

(كتاب لابن فلوس الماريني)؛

و (الرسالة) للمغربي؛

و (الرسالة الشاملة) للخرقي؛

و (الكافي) للسموءل المغربي.

علم حساب الفرائض

وهو علم يتعرف منه قوانين تتعلق بحساب الفرائض المتعلقة بقسمة التركة. وهذا وان كان من فروع العلوم الشرعية لتعلقه بالفرائض، لكنه ــ من حيث كونه قواعد حسابية ــ يكون من فروع علم العدد. وتفاصيل هذا العلم مستوفاة في كتب الفرائض. وسنذكرها في علم الفرائض ان شاء الله تعالى.

علم حساب الهواء

وهو علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة من الخيال بلا كتابة. ولها طرق خاصة وقوانين عجيبة. وهذا النفع للتجار في الأسفار، وفي مواضع لا تتيسر فيها الكتابة. وأعظم منافعها لأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون

الكتابة أصلاً، وللخواص إذا عجزوا عن احضار آلات الكتابة. وفي هذا العلم رسائل شريفة يعرفها أهلها.

ومن الكتب المختصرة فيه:

(كتاب لابن محلي الموصلي)؛

و (مختصر لابن فلوس الماردين)؛

و (مختصر السموءل بن يحيى المغربي).

ومن المبسوطة:

(الكافي)؛

و (الكامل) لأبي القاسم بن السمح؛

و (شرح شمسية الحساب)؛

و (شرح مختصر الصلاحي)؛

و (أساس القواعد في شرح أصول الفوائد البهائية) لكمال الدين حسن الفارسي؛ وغير ذلك مما لا يدخل تحت الضبط.

علم حساب العقود

والمراد بالعقود: عقود الأصابع. وقد وضعوا كلا منها بازاء أعداد مخصوصة، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع، آحاد وعشرات ومئات وألوف، حتى وضعوا قواعد يتعرف بها حساب يمكن معرفة عشرة آلاف بيد واحدة. وهذا عظيم النفع للتجار، سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر، وعند عدم حضور آلات الكتابة. والعصمة عن الخطأ في هذا العلم أكثر من حساب الهواء. وكان هذا العلم يستعمله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. كما وقع في الحديث، في كيفية وضع اليد على الفخذين في التشهد، أنه عقد خمساً وخمسين، يعني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، عقد أصابع اليد غير السبابة والابهام، وحلق الابهام معها. وهذا الشكل في علم العقود دال على العدد المذكور. فراوي الحديث، ذكر مدلول ذلك الوضع في الأصابع، وأراد داله، أعني الهيئة الموضوعة للعدد المذكور، وهذا دليل على شيوع علم العقود عندهم. وكذا

السلف، لما ذكروا أقسام الدلالات من أنها طبيعية أو وضعية؛ وكل منهما أما لفظية أو غير لفظية. مثلوا للطبيعية اللفظية كلمة «أح» ــ بضم الهمزة وسكون المهملة ــ الدالة على السعال: وهو وجع الصدر؛ وبضم الهمزة وسكون المعجمة دالة على اللذة، وبفتح الهمزة وسكون المعجمة أيضاً دالة على الوجع. ومثلوا بالطبيعية الغير اللفظية بحركة النبض. ومثلوا بالوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة. ومثلوا للوضعية الغير اللفظية بالخطوط والعقود والاشارات والنصب. وأرادوا بالخطوط: نقوش الكتابة، فانها ليست بلفظ، وموضوعة بازاء الألفاظ. وأرادوا بالاشارات: الاشارة باليد والشفة والحاجبين وأمثالها. وبالنصب: الأحجار المنصوبة للدلالة على موضع العبور في الأنهار العظام. وعلى موضع تميز الأراضي بعضها عن بعض. وأرادوا بالعقود: عقود الأصابع الموضوع كل منها بازاء عدد مخصوص.

وفي هذا العلم (أرجوزة لابن الحرب) أورد فيها مقدار الحاجة. وفيها (رسالة لشرف الدين اليزدي) أورد فيها الكفاية. وسمعت في هذا العلم كتاباً مطولاً لكن ما رأيته.

علم أعداد الوفق

والوفق: جداول مربعة لها بيوت مربعة، يوضع في تلك البيوت أرقام عددية، أو حروف بدل الأرقام، بشرط أن يكون أضلاع تلك الجداول وأقطارها متساوية في العدد وأن لا يوجد عدد مكرر في تلك البيوت.

وذكروا أن لاعتدال الاعداد خواص فائضة، من روحانية تلك الأعداد أو الحروف. ويترتب عليها آثار عجيبة، وتصرفات غريبة، بشرط اختيار أوقات مناسبة وساعات شريفة. وفي هذا العلم كتب كثيرة نافعة في الغاية معروفة عند أهل هذا الشأن وهذا العلم من فروع علم العدد من حيث حساب الأعداد، ومن فروع علم الخواص من حيث آثاره ومنافعه. وستسمع «علم الوفق»، وكذا «علم الحروف والتكسير» ــ ان شاء الله تعالى ــ عند ذكر «علم الخواص» عند ذكر مقطعات السور.

وأحسن كتب هذا الفن:

(كتاب شمس الآفاق في علم الحروف والأوفاق)؛

و (كيفية الاتفاق في تركيب الأوفاق)؛

و (بحر الوقوف في علم الأوفاق والحروف).

والكتب في هذا الفن كثيرة، تفوق مائة مصنف، على ما رأيته وسمعته، بل هذا العلم بحر لا ساحل له، إذ ينتهي الى علم المكاشفة الذي غرق في بحاره عقول العلماء والحكماء.

علم خواص الاعداد المتحابة والمتباغضة

واعلم: أن كنكة الملك ــ من حكماء الهند ــ استنبط الأعداد المتحابة. وذكر أنها اذا وضعت في طعام أو شراب أو غير ذلك مما يستعمله شخصان، تألف بينهما محبة عجيبة، وان رسمتها على ثوبك لم يفارقك. والعدد الأصغر منها «كر»، والعدد الأكبر منها «دفر»، وترسمها برسم قلم الغبار، وتعطى الأصغر من شئت وتأكل أنت الأكبر، فان الأصغر يطيع الأكبر بخاصية ظريفة. و يستعمل في الزبيب، والحب، والرمان وأشباهها من الفاكهة عدداً لا رسماً.

ثم أن أفلاطون الالهي، بيّن خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة، وذكر أنه: لو كتب الأعداد المتحابة في كوز لم يمسه الماء، وشرب منه شخصان، فانه يتولد بينهما محبة أكيدة لم يعهد ذلك قبل؛ وأنه: لو روعي في الأعداد المتباغضة مثل ذلك، فانه يظهر بينهما عداوة راسخة باذن الله تعالى.

وأما طريق استخراج الأعداد المتحابة فقد بُيّن مستوْفى ببراهين عددية في كتاب (تذكرة الأحباب في بيان التحاب)؛ وهذا كتاب نفيس، يدل على فضل مؤلفه، وعلو كعبه في العلوم الرياضية، يشهد بذلك كتابه المذكور.

علم التعابي العددية في الحروب

وهو علم يتعرف منه كيفية ترتيب العساكر في الحروب، وكيفية تسوية صفوفها أزواجاً وأفراداً، أو تعيين أعداد الصفوف وأعداد الرجال في كل صف

منها، وهيئة الصفوف: أما على التدوير أو التثليث أو التربيع، الى غير ذلك، حسب ما تقتضيه الأحوال؛ وبينوا أن في رعاية الترتيب المذكور، ظفراً بالمرام، ونصرة على الأعداء، ولا يكون مغلوباً أبداً باذن الله القادر العليم. إلا أن العلماء أخفوا هذا العلم وضنوا به عن الأغيار. وللشيخ عبد الرحمن، من السادة الحرفية (تصنيف) مليح في هذا العلم، لكن ضن بها بعض الضن، إلا أن من وقف على أسرار الخواص الحرفية والعددية، لا تخفى عليه خافية. لكن لا بد من خدمة السادة الصوفية، وأن تستاهل للمكاشفات القرآنية، والأسرار الفرقانية، وإلا فأنت عن مثل هذا العلم بمعزل، وعن الوصول الى المقصد بألف منزل.

ومن يخطب الحسناء من غير أهلها بعيد عليه أن يفوز بوصلها

ولله در الامام الشافعي، رضي الله عنه حيث قال:

كيف الوصول الى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية ومالى مركب والكف صفر والطريق مخوف

رزقنا الله واياكم الوصول الى المقصد، بحرمة نبيه محمد، صلى الله عليه وآله وأصحابه وذرياته وأحبابه وسلم.

الشعبة العاشرة

في فروع علم الموسيقى

علم الآلات العجيبة

كالعود والمزامير والقانون، سيما الأرغون.

ولقد أبدع واضعها فيها الصنائع العجيبة والأمور الغريبة. ولقد شاهدت أرغنون، واستمعت بها مرات عديدة، ولم يزد المشاهدة والنظر الا دهشة وحيرة. ولا نطول الكلام بذكر أنواع الآلات، لأنها وان كانت من فروع العلوم الرياضية، لكنها محرمة في شريعتنا، فالاشتغال بتعدادها يضيع الأوقات، وعمر طالب على الآخرة، أشرف من أن يضيعها في أمثال هذه، وانما تعرضت لما تعرضت تتميماً للكلام. والتوفيق من الملك العلام.

علم الرقص

وهو علم باحث عن كيفية صدور الحركات الموزونة عن الشخص، بحيث يوجب الطرب والسرور لمن يشاهدها. وهذا من العلوم التي يرغب فيها أصحاب الترفه والأغنياء والأمراء، وما يجري مجرى هؤلاء من أصحاب الملاهي، ويعلمونها الغلمان الحسان، والجواري الفائقات، ليلتذ السمع والبصر معاً، بمشاهدة حسنهم وحسنهن، واستماع نغماتهن وغنجهن، حتى تكمل اللذة والحبور والفرحة والسرور. وأهل الهند ماهرون في أنواع الرقص، ولهم فيها يد طولى، إلا أن هذا العلم محرم في شريعتنا. وقد قيل: التلذذ بالغناء وضرب الملاهي كفر.

علم الغنج

وهو علم باحث عن كيفية صدور الأفعال التي تصدر عن العذارى والنسوان الفائقات الجمال، والمتصفات بالظرف والكمال. واذا اقترن الحسن الذاتي بالغنج الطبيعي، كان كاملاً في الغاية، وان كان الغنج متكلفاً أو عرضياً، يكون دون الأول، لكن كل شيء من المليح مليح. ولقد قال الشاعر:

ما أنت مادحها يا من يشبهها   بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها   ومضحك في نظام الدر في فيها
من أين للبدر أجفان مكحلة   بالسحر والغنج يجري في حواشيها

وهذا الغنج ان وقع في أثناء المباشرة والمخالطة والتقبيل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل، كان محركاً لقوة الوقاع، وينتفع به العاجزون عن القربان كل الانتفاع. والغنج في هذا الحال مرخص في الشرع، وهو يحمد في النساء في تلك الحال، بل قد تؤجر هي عليها في الجماع الحلال. ونساء العرب مشهورات بين الرجال بحسن الغنج ولطف الدلال. عصمنا الله واياكم عما لا يرضاه: في القول والعقد والعمل. إنه كريم منان.

الدوحة الخامسة

في الحكمة العملية

الدوحة الخامسة

في الحكمة العملية

وأعلم: أن الانسان لما كان مدنياً بالطبع، وكان أشخاصه ــ الا شرذمة من عصمهم الله، وقليل ما هم ــ مجبولين على جلب المنافع، ودفع المضار، بحيث يريدون أخذ ما في أيدي الآخرين بقوته الشهوية، ودفع ما يزاحمه في ذلك بقوته الغضبية، وكان ذلك مؤدياً الى التقاتل والتناحر، ولا أقل من العداوة والشحناء، المنافية هذه الأمور الى قضية التمدن والاجتماع، وعمارة المدن في الأصقاع،. اقتضت الحكمة الالهية وضع قوانين متعلقة بجميع الأشخاص على العموم، بحيث لا يختص بشخص شخص، ولا بطائفة طائفة، بل كل الطوائف والأمم سواسية في هذه السياسة، والقانون الجاري بطريق التعادل.

ثم ان هذه القوانين، لا بد وأن يؤخذ من انسان يعلمه الله تعالى بواسطة الملك، و يؤيده من عنده بالمعجزات الناقضات للعادات، ليصدقه الكل، إذ من له قوة قدسية حكمة تامة، لا يحتاج الى المعجزات الحسية في تصديقه، بل يقول:

لـو لم يـكـن فـيـه آيات مـبـيـنـة   كـانـت بـديهـتـه تـنـبـيـك عن خبره

وبالجملة: لا يحتاج الى المعجزات الحسية، بل يكتفي بمعجزاته الباطنية. وأما من هو نازل عن هذه الدرجة ــ بمرتبة أو بمراتب ــ يحتاج الى معجزة حسية، أما مرة أو مرات، بحسب قوة جهله أو ضعفه.

ومنهم: من يلتحق بمنزلة الحيوان بل الجماد، أو يغلب على طبعه العناد لا

ينتفع بشيء منها: كأبي جهل وأحزابه، عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى.

وبالجملة: لا بد وأن يكون لذلك الانسان المؤيد بالمعجزات جهتان: يستفيض بجهة قوته القدسية ولحوقه بالملأ الأعلى، بل الى قاب قوسين أو أدنى من جنابه سبحانه وتعالى؛ ويفيض بجهة بشريته ومبعوثيته لتكميل نوع البشر على بني نوعه من أفراد البشر. لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وذلك المعلم في زماننا هذا، ليس إلا أفضل المخلوقات من لدن بدء العالم، وسيد ولد آدم، ومقدم الجماعة، وفاتح باب الشفاعة، وفص خاتم النبيين، وخاتمهم وأفضلهم وأكملهم، سيد الأنبياء، وسند الأصفياء، حبيب رب العالمين، أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعلى سائر الأنبياء وسلم، مع شرف شرعه على سائر الشرائع بأمور: أظهرها البراءة عن النسخ والتبديل الى قيام الساعة، وساعة القيام، وأن تكون سمحة سهلة بيضاء نقية، مع اشتمالها على محاسن سائر الشرائع وأواسطها، والاجتناب عن طرفي الاقتصاد تفريطها وافراطها.

إذا عرفت ذلك.

فاعلم: أن سنة الله تعالى: جرت على أنه إذا خلى العالم عن مثل هذه الأنوار، ومعادن العلم والأسرار، لم يترك العالم سدى، بل جعل عقول البشر مهتدية الى قدر ما يبقى به النظام بين النوع، وأرشدهم الى ما تكمل به مصالح دنياهم أكثرياً، وبعض من مصالح آخرتهم.

فالذي جاءت به الرسل عن الله تعالى هي العدل حقيقة، وأما الذي استحسنته عقول العقلاء والحكماء فهو ما يشبه العدل، وهو السياسة الاصطلاحية، التي هرم عليها الكبير، ونشأ عليها الصغير، وبعيد أن يبقى سلطان، أو تستقيم رعية في حال ايمان أو كفر، بلا عدل قائم، أو ترتيب للأمور الذي يشبه العدل.

فالسياسة مما يبقى به نظام العالم، وإن لم تصلح بها أمور الآخرة. لكن

العمل بها الى أن جاء الشرع الشريف، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وأما الذين يقولون: لا بد للشرع من انضمام السياسة، فهذا خطأ الجهلة والعوام، إذ الشرع لا يحتاج إلى غيره، ومضمون قولهم هذا: أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة، فاحتجنا إلى تتمة من آرائنا؛ فيقتلون من لا يجوز قتله شرعاً، و يفعلون ما لا يحل فعله، و يسمون ذلك سياسة، وهذا اتعاط على الشريعة بما يشبه المراغمة به. أولئك الذين ينتصف الله منهم في الدنيا والآخرة. قاتلهم الله وخذلهم. وكيف يحتاج الشرع إلى السياسة، والأنبياء تكمل بهم أمور الدارين، وما يصلح به البشر كلياً. علمياً وعملياً وذوقياً وكشفياً وشهوداً، سيما ولا أكمل ولا أفضل مما نطق به خير البشر، وأشار إليه سيد الأنبياء، حتى لو اجتمع عقول العقلاء، وفهوم الحكماء والأصفياء، لم يقدروا المزيد عليها ولو بجزء من ألف ألف جزء من ذرة صغيرة.

الحمدلله الذي هدانا لهذه النعمة الجليلة. ونسأله: أن يرزقنا الحظوة الكاملة الجزيلة، من هذا المشرع الصافي، والمنبع الوافي، في الأول والآخر، والباطن والظاهر.

ثم ان الحكماء ذكروا علومهم العملية، وبحثوا فيها عن الأعمال الصادرة عن البشر. وتلك الأعمال:

أما أن تتعلق بالشخص وحده وهي: «علم الأخلاق»؛

أو يتعلق بأهل المنزل، لدوام الانس والائتلاف، وهي: «علم تدبير المنزل»؛

أو تتعلق بأحوال أهل البلد، لنظام أحوال الملك والسلطنة، وهي: «علم السياسة» وهذه علوم ثلاثة، ولنذكر كلا منها في شعبة، ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها.

الشعبة الأولى

في علم الأخلاق

وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل، وهي اعتدال ثلاث قوى هي: القوة النظرية، والغضبية، والشهوية، كل منها أوساط بين رذيلتين.

«الحكمة»: وهي كمال القوة النظرية. وهي التوسط بين رذيلتين البلادة والجربزة، الأولى تفريطها والثانية إفراطها.

و «الشجاعة»: وهي كمال القوة الغضبية. وهي التوسط بين رذيلتي الجبن والتهور. الأول تفريطها والثاني افراطها.

و «العفة»: وهي كمال القوة الشهوية. وهي التوسط بين رذيلتي الخمود والفجور، الأول تفريطها والثاني افراطها.

وهذه الثلاث ــ أعني: الحكمة، والعفة، والشجاعة ــ لكل منها فروع، كل منها توسط بين رذيلتين. وخير الأمور أوساطها. فيذكر في علم الأخلاق تعريفات هذه الأمور. ثم طريق العلاج: بأن يفتر عن طرفي التوسط، و يعتدل في الوسط.

فموضوع هذا العلم: الملكات النفسانية، من حيث تعديلها بين الافراط والتفريط. قال الحكماء للاسكندر: أيها الملك، عليك بالاعتدال في كل

الأمور، فان الزيادة عيب والنقصان عجز. ومنفعته: أن يكون الانسان كاملاً في أفعاله بحسب الامكان، ليكون في أولاه سعيداً وأخراه حميداً.

ومن الكتب المختصرة فيه:

(كتاب البر والاثم) لأبي علي بن سينا؛

(كتاب الفوز) لأبي علي مسكويه.

ومن المبسوطة:

(كتاب الامام فخر الدين بن الخطيب الرازي) رحمه الله.

الشعبة الثانية

في علم تدبير المنزل

وهو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدامه، وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال، ووجه الصواب فيها؛ وموضوعه: أحوال الأهل والأولاد والقرائب والخدم وأمثالها، من حيث الانتظام. ومنفعة هذا العلم، عظيمة لا تخفى على أحد حتى العوام، لأن حاصله انتظام أحوال الانسان في منزله، ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبين الأشخاص المذكورة. ويتفرغ باعتدالها وانتظامها على كسب السعادة العاجلة والآجلة. وأشهر كتب هذا العلم: (كتاب بروش). وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا. وستعرف الكتب الجامعة الثلاثة.

الشعبة الثالثة

في علم السياسة

وهو علم يعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها: من أحوال السلاطين والملوك والأمراء، وأهل الاحتساب والقضاة والعلماء، وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال، ومن يجري مجراهم.

وموضوعه: المراتب المدنية وأحكامها.

ومنفعته: معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة. والمراد به وجه استبقاء كل واحد منها، ودفع علل زوالها، وجهات انتقالها. من أعظم أسباب انتقال الدولة، الاخلال بركن من أركان الشريعة. وقال حكيم: لا يزال السلطان ممهلاً، حتى يتخطى الى أركان العمارة ومباني الشريعة، فحينئذ يريح الله منه.

ومن جملة مسائل علم السياسة: معرفة ما ينبغي عليه الملك والسلطنة في نفسه، وحال أعوانه، وأمر رعاياه، وعمارة المدن.

وهذا العلم يحتاج اليه الملوك والسلاطين أولاً، ثم سائر الناس، لما أن الانسان مدني بالطبع، ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكناً، والهجرة عن الردية، وأن يعلم كيف ينفع أهل مدينته و ينتفع بهم، و (كتاب السياسة) الذي أرسله أرسطوطاليس الى الاسكندر، يشتمل على مهمات هذا العلم. و (كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة) لأبي نصر الفارابي، جامع لقوانينه.

ومن الكتب الجامعة لهذه العلوم الثلاثة:

(كتاب الأخلاق الناصرية): وهو لخواجه نصير الدين الطوسي. وهو كتاب لطيف نافع في الغاية، إلا أنه وقع باللسان الفارسي.

و (كتاب الأخلاق الجلالية): وهو لجلال الدين محمد الدواني. وقد لخصه هذا الفاضل وأجاد فيه، وأورد غرائب الحكايات، إلا أنه وقع باللسان الفارسي.

ومن الكتب المختصرة الجامعة لأصول هذه الفنون الثلاثة:

(رسالة مولانا عضد الدين).

وعليها: (شرح) لتلميذه شمس الدين الكرماني.

وشرحتها شرحاً جامعاً نافعاً في زمن الشباب. والله أعلم بالصواب.

الشعبة الرابعة

في فروع الحكمة العملية

علم آداب الملوك

وهي أحوال عرفها الأمراء والملوك بالتجارب، والحدس، والرأي الصائب، مما ينبغي أن يفعله، ومما ينبغي أن يجتنبه. قال معاوية، رضي الله عنه: لا ينبغي للملك أن يكون كذاباً لأنه إن وعد لم يرج، وان أوعد لم يخف؛ ولا غاشاً لأنه لا ينصح ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة؛ ولا حديداً لأنه إذا احتد هلكت رعيته؛ ولا حسوداً لأنه لا يشرف أحد فيه حسد، ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم؛ ولا جباناً لأنه يجترىء عليه عدوه وتضيع ثغوره. وقال بعضهم: أكره المكاره في السيد: الغباوة وأحب أن يكون عاقلاً متغافلاً، كما قال أبو تمام:

شعر

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وقال ذو القرنين لأرسطوطاليس، لما أراد الخروج: عظني بما أستعين به في سفري، فقال: أجعل تأنيك زمام عجلتك، وحيلتك رسول شدتك، وعفوك ملك قدرتك. فأنا ضامن لك قلوب الرعية، إن لم تجرحهم بالشدة عليهم، أو تبطرهم بفضل الاحسان اليهم.

قال قيس بن عاصم لبنيه: إذا مت، فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم فتهونوا.

قلت: تعيين الكبار، إنما يقبل، إذا كان ــ مع كبره ــ عاقلاً، وعالماً بالمصالح، ومجرباً للأمور، وإلاّ فتقديم الكبار ــ لمجرد كبرهم في السن ــ غير مقبول؛ أما ولي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عتاب بن أسيد بمكة، وكان سنة نيفاً وعشرين سنة، وأمر سعد بن أبي وقاص وسنه دون العشرين، وولي المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة، واستصغره الناس، فسألوه تعبيراً بذلك، فقالوا: كم سن القاضي؟ قال: سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة. فجعل جوابه احتجاجه. وولي الحجاج محمد بن القاسم، قتال الأكراد بفارس، فأبادهم، ثم ولاه السند والهند وسنه سبعة عشر، حتى قال فيه الشاعر:

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ... ولداته إذ ذاك في أشغال
قعدت بهم لذاتهم وسمت به ... همم الملوك وسورة الأبطال

وقال شاعر آخر:

لا تعجبوا من علو همته ... وسنه في أوان منشاها
ان النجوم التي تضيء لنا ... أصغرها في العيون أعلاها

ولهذا قيل: ليس من المروءة سؤال الرجل عن سنه، لأنه ان كان شاباً استصغروه، وان كان كبيراً استهرموه. وأظن أن قائله الامام مالك رضي الله عنه. والله أعلم.

واعلم: ان على السلطان وظائف كثيرة، مستوفاة في كتب وضعت في هذا الشأن، إلا أنا نذكرها هنا بعضاً من الوظائف التي لا مندوحة عنها أصلاً.

منها: تجنيد الجنود، واقامة فرض الجهاد، لاعلاء كلمة الله تعالى. فان الله تعالى لم يُوَلِّه على المسلمين ليكون رئيساً آكلاً شارباً مستريحاً، بل لينصر الدين ويعلي الكلمة. فمن تقاعد عن هذا، وأخذ في أخذ أموال المسلمين ظلماً، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين، واستحق المقت والخذلان من الله الكريم المنان.

ومنها: أن ينظر في الاقطاعات، ووضعها موضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين، ويحمي حوزة الدين، ويكف أيدي المعتدين، وإلاّ فان فرقها في مماليك اصطفاها، وزينها بأنواع الملابس المحرمة، وترك الذين ينفعون الاسلام جياعاً في بيوتهم، ثم سلبه الله النعمة، فلا يلومن الا نفسه.

ومنها: الفكرة في العلماء والفقراء والمستحقين، ويرتب كفايتهم من بيت المال، الذي هو في يده أمانة ليس هو فيه الا كواحد منهم، وولوه نسبة ولاء المسلمين، فان تركهم فقراء وعيالهم جياعاً، منهم من يطوي ليلته بل أكثر، وهو يمن بسماطه وزينته ولباس حواشيه، فذلك أحمق سيجد ما عمله محضراً.

ومنها: وظائف بيت مال المسلمين. وقد قدر الشارع المصاريف فيه، وجعل لكل مال أقواماً، وقد رأوهم يصرفونه الى شهواتهم ولذاتهم، ويهبون الألوف للشعراء ولمماليكهم وللمغنين وأرباب البدع بل الكفرة. فالله تعالى ينصف منهم يوم الجزاء، فلا يلومن الا نفسه.

ومنها: أن يصلحوا أحوال نوابهم: من تفقدهم حال الرعايا، صغيرهم وكبيرهم جليلهم وحقيرهم، غنيهم وفقيرهم؛ والنظر في القرى والغلات، وايصال الحقوق الى مستحقيها، ولا يعتذروا بعدم الامكان في هذا الزمان، لأنهم مطالبون بذلك في الآخرة. فعليكم الجد والله يعين.

ومنها: اقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها، يعلم أهلها أمر دينها، والقاء مقاليد الأحكام اليهم، لأنه لا حاكم إلا الله تعالى، ولن يفعل بالعقول شيئاً، ﴿ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[1] الكافرون الظالمون.

ومنها: رفع المبتدعة والملاحدة، وتقرير مذهب الأشعري الذي اتفق على صحته، ولله الحمد على المذاهب الأربعة الجارية في زماننا هذا.

ومنها: استكثارهم أرزاق العلماء، وان قلت، واستقلالهم أرزاق أنفسهم وإن كثرت. وان بعضاً منهم، ربما يعيب على بعض الفقهاء ركوب الخيل

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٧.

ولبس الثياب الفاخرة، مع أنها نفسه يتبختر في أنعم الله تعالى، مع الجهل والمعصية. ولو اعتبر وجد رزق أكبر فقيه دون رزق أقل مملوك عنده. أما يستحي هذا الأمير من الله تعالى، وإذا سلبه الله نعمته فلم يتعجب و يبكي.

ومنها: لباسهم الألبسة المحرمة، ومع ذلك يطلبون النصر من الله، ومنا أن ندعو لهم، ولو أنهم اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا الى دعائنا.

والكلام في هذا الباب طويل الذيول والأذناب. ولنقتصر بهذا القدر عذراً عن الأطناب.

ومن الكتب المصنفة في آداب الملوك: (سراج الملوك) للإمام الطرطوشي.

د

وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، نسبة الى «طرطوشة» بضم المهملتين، مدينة بالأندلس في آخر بلاد المسلمين، الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي زندقة. وزندقة لفظة فرنجية معناها: رد تعال. صحب أبا الوليد الباجي بسرقسطة، وأخذ عنه الخلاف، وسمع منه وأجازه، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بأشبيلية. ورحل الى الشرق، وحج، ودخل البصرة و بغداد، وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي، المعروف بالمستظهري، وعلى أبي أحمد الجرجاني. ودرس بالشام مدة. وكان إماماً عالماً عاملاً، زاهداً ورعاً ديناً، متواضعاً متقشفاً، متقللاً من الدنيا، راضياً منها باليسير. وكان يقول: إذا عرض لك أمران: أمر دنيا، وأمر أخرى، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى. وكان كثيراً ما ينشد:

إن لله عـبـاداً فـطـنـاً   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فـكـروا فيها فلما علموا   أنها ليست لحي وطناً
جعلوها لجة واتخذوا   صالح الأعمال فيها سفنا

ولما دخل على الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش، بسط مئزراً كان معه

وجلس عليه، وكان الى جانب الأفضل رجل نصراني، فوعظ الأفضل حتى بكى وأنشده:

يا ذا الذي طاعته قربة ... وحقه مفترض واجب
ان الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار الى النصراني، فأقامه الأفضل من مجلسه. وكان الأفضل قد أنزل الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد، وكان يكرهه، فلما طال مقامه به ضجر، وقال لخادمه: الى متى نصبر، أجمع لي المباح، فجمع له، فأكله ثلاثة أيام، فلما كان عند صلاة المغرب، قال لخادمه: رميته الساعة، فركب الأفضل من الغد فقتل. وولى بعده المأمون بن البطائحي، فأكرم الشيخ إكراماً كثيراً، وصنف له:

(كتاب سراج الملوك): وهو حسن نافع في بابه. وله في غير ذلك تصانيف كثيرة. وله طريقة في الخلاف. وله أشعار كثيرة. ومن لطيف شعره:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بانجازها مغرم
فأرسل باكمه خلابة ... به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدرهم

ونظير هذه الأبيات ما قيل:

شعر

إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم

وكانت (ولادة) الطرطوشي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة تقريباً.

و (توفي) في ثلث الليل الأخير، من ليلة السبت، لأربع بقين من جمادى الأولى، سنة عشرين وخمسمائة بثغر الاسكندرية.

ومن الكتب المصنفة في آداب الملوك:

(سلوان المطاع في عدوان الطباع) لابن ظفر. وقد عرفته في المحاضرات.

علم آداب الوزارة

وأعلم: أن الوزارة من أركان السلطنة، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري﴾[1]. فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء، لكان أحق الناس بذلك كليم الله تعالى موسى بن عمران.

ثم ذكر حكمة الوزراء فقال: «أشدد به أزري وأشركه في أمري». دلت الآية على أن موضع الوزارة، أن يشد قواعد المملكة، وأن يفضي اليه السلطان لعجزه، ويجري إذا استكملت فيه الخلال المحمودة. ثم قال تعالى: ﴿كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً﴾[2]. دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين، وأهل الخبرة والمعرفة، تنتظم أمور الدنيا والآخرة. وكما أن أشجع الناس يحتاج الى السلاح، وأن أفره الخيل يحتاج الى السوط، وأن أحد الشفار يحتاج الى المسن، كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير.

وكتاب (الاشارة في آداب الوزارة) نافع في هذا الباب. و يورد ما يحتاج اليه الوزارة في كتاب (سراج الملوك) للطرطوشي، و (نصيحة الملوك) للغزالي. وأمثال ذلك يعرفها من يطلبها.

علم الاحتساب

وهو النظر في أمور أهل المدينة، باجراء ما رسم في الرياسة الاصطلاحية، ونهى ما يخالفها؛ أو بتنفيذ ما تقرر في الشرع، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و يواظب على هذه الأمور ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، إذ السلطان بمنزلة الرأس من البدن، الذي هو منبع الرأي والتدبير، والوزير بمنزلة اللسان الذي هو المعبر والسفير، والمحتسب بمنزلة الأيدي والأقدام، أو المماليك والخدام. وكل من

---

(١) سورة طه، آية: ٣٠.

(٢) سورة طه، آية: ٣٣.

هؤلاء في مصلحة لا يتم النظام بدونها. وعلم السياسة المدنية مشتمل على بعض لوازم هذا المنصب الجليل. ولم نر كتاباً صنف في هذا العلم خاصة.

علم قود العساكر والجيوش

وهو علم باحث عن ترتيب العساكر ونصب الرؤساء. وذكر في (الأحكام السلطانية) للماوردي، ما يكفي في هذا الباب: لضبط أحوالهم، وتهيؤ أرزاقهم، وتمييز الشجاع عن الجبان، والقوي عن الضعيف، ويحسن الى الأقوياء والشجعان، فوق احسان الضعفاء من الأقران، ثم يستميل قلوب الشجعان بأنواع اللطف والاحسان، ويهيىء لهم ألبسة الحروب وما يليق بهم من السلاح، ثم يأمر كلا منهم بالزهد والصلاح، ليفوزوا بالخير والفلاح، ويأمرهم أن لا يظلموا أحداً، ولا ينقضوا عهداً، ولا يهملوا ركناً من أركان الشريعة، فانه الى استيصال الدولة ذريعة. ولقد سمعت من مشائخي العظام، وشاهدت مراراً في سوالف الأيام، أن من تعرض لحرم الشريعة وأركان الاسلام، لن يفلح أبد الآباد، ولا يمهله رب العباد.

يحكى: أن الخشوار ملك الهياطلة، لما أسر عنده فيروز بن يزدجرد ملك فارس، أخذ عليه عهداً أن لا يقصده بمكروه، فأطلقه، ووضع تخوم أرض الهياطلة صخرة وعهد أن لا يتجاوزها. ولما رجع فيروز الى دار ملكه، داخلته الحمية والأنفة، فقصد الخشوار بسوء، فحذره وزراؤه فلم يسمع، وقال مربذ موبذ ــ حافظ حفظة الدين وهو عندهم كالنبي: لا تفعل أيها الملك، فان رب العالم يمهل الملوك على الجور، ما لم يأخذوا في هدم أركان الشريعة، وأن العهود والمواثيق من أركانها، فقال فيروز: إني حلفت أن لا أتجاوز الصخرة، وأنا آمر بحملها على فيل، ولا يتجاوزه أحد من جنودي. فغلب على فيروز سلطان الهوى فآل أمره الى ما آل، على ما بين في كتب التواريخ كيفية الحال. اللهم اعصمنا مما لا ترضاه من سوء الأفعال وخطأ الأقوال. أنك الكريم المتعال.

تم بحمد الله **الجزء الأول**

ويليه **الجزء الثاني** وأوله الدوحة السادسة

فهرس موضوعات الجزء الأول

و يتضمن :

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة